رامي مراد

والغابات الكونية

مأمون المغازي

ليليث للنشر
والتوزيع

رامى مراد والغابات الكونية

مأمون المغازى محمد

رقم الإيداع / ١٦٣٣٤ / ٢٠١٣ ط١

تدمك / ٥ - ٤٠ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

غلاف / فاطمة عشرى

ليليت للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

المراسلات : ٩ش صلاح الدين - عطارين

مول الوطنية التجارى - الدور الثانى

ت : ٠١٢٢٤٢٧٢٣٢٧

: ٠١١٤٤٥٩٥٧٥٧

Dar.lilitte@gmail.com

lilettepublishing@gmail.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤن الفنية

مأمون محمد المغازى

رامى مراد والغابات الكونية

دار ليليت للنشر والتوزيع

ص ،سم ١٧,٥×١٢,٥

تدمك /٥ -٤٠ -٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

رقم الايداع / ١٦٣٣٤/ ٢٠١٣ ط

رواية

يسعدني أن أهدي عملي هذا كل رامي مراد،

وكل طفل عربي وكل طفل في شتى بقاع الأرض، لا أفرق بين أحد منهم وشريكهم في الإهداء صديقي الأروع الأستاذ: سامر خليل وهو الأب الروحي لرامي مراد وقد سلمه لي، فأدخلته هذا العالم ليعيش تجربته التي أسردها دون أي تدخل مني ليعيش حياة تليق به

مأمون المغازي

١ - أسرار خلف سواد الليل

السماء غائمة والرياح تهب بشدة هذه الليلة، تطيح بأوراق الأشجار الذابلة وتهيج الغبار... الوقت كئيب... مديرة المدرسة الأستاذة سالي تقضي هذه الليلة في مكتبها... لم تعد إلى بيتها منذ الصباح... هي مضطرة أن تقضي الليل كله في مكتبها الفسيح الذي يطل من خلال الحائطين الزجاجيين على ملاعب المدرسة وحديقتها... الظلام الدامس والغبار العالق يجعلان لون السماء شاحبًا، وأضواء المصابيح كأنها أشباح تتراقص في خبث، تتربص بفريسة ستخرج من جحور السماء البعيدة.

سمحت الأستاذة سالي للطارق بالدخول... إنه السيد صالح؛ قائد حرس المدرسة الذي ظهر من الباب بجسمه الضخم ورأسه الكبير ويديه العريضتين حتى إن مقبض الباب يبدو ضئيلا حين تحيط به أصابعه... بأدب شديد ألقى التحية، واستدار ليغلق الباب... ككل مرة يدخل فيها هذه الغرفة يجول بعينيه في كل مكان وكل ركن وكل

رف وخزانة كأنه يتفقد الميداليات والأوسمة والدروع اللامعة والبراقة على القوائم ونماذج أوشحة المدرسة المعلقة في الخزائن تنعكس في مرايا بلورية في خزائن زجاجية منقوش عليها اسم المدرسة... إنك قد تعتقد أنه يعد قطع الأثاث وكل محتويات الغرفة... أشارت إليه المديرة أن يجلس في أقرب كرسيي من طاولة مكتبها فاستجاب لإشارتها بامتنان، سألته المديرة إن كان شيء قد ظهر، فأجابها: إلى الآن لم يظهر أي شيء، والحراس منتشرون في كل مكان، والقوة التي أرسلتها الحكومة منتشرة بين الأشجار والأبنية وعلى الأسطح، كما أن نظام المراقبة الإلكترونية لم يرصد أي شيء غريب.

* * *

كان يتكلم وعيناه تعبران من خلال الحائطين الزجاجيين، ويده اليمنى تعبث بشاربه العريض الذي اعتاد كل من يعرفونه ألا يرونه مشذبًا أبدًا... بصوت كله توتر سألته: وإلى متى نبقى في هذا القلق؟ وإلى متى يبقى أبنائي في هذا الرعب والخوف والهلع لكل صوت يأتي من الخارج حتى همهمات الفراغ؟

قال: تعلمين يا سيدتي أنها إجراءات أمنية، وليس هناك أي دليل مادي على أن المدرسة ستتعرض لاقتحام... كل ما لدينا رسالة إلكترونية والخبراء الآن يعملون على تحديد مصدرها، وغير مقتنعين بأن مصدرها مجهول.

قامت الأستاذة سالي عن مقعدها... هم السيد صالح بالوقوف إلا أنها أشارت إليه ألا يفعل فبقي في مكانه، بينما بدت هي في بدلتها السوداء، وجسمها الممتلئ، ووجهها الأبيض وعينيها العسليتين، وشعرها البني القصير المنسق؛ بدت في حالة خليط من الصلابة والتوتر... تدلت نظارتها المعلقة في سلسلة ذهبية على صدرها... تحركت عدة خطوات... واجهت الجدار الزجاجي المطل على الملاعب... قالت بصوت مسموع: ليت هذا الظلام ينطق ويخبرنا بما يخبئ لنا في هذه الليلة... هل ترى أنه من الأنسب أن نخبر تلاميذنا؟ استنكرت قائلة: يا لي من حمقاء، يبدو أن القلق أثر على تفكيري... هل نخبرهم بما يعلمون؟!... ضغطت على زر مسخن الماء... سألت السيد صالح إن كان يريد أن يشرب معها القهوة... شكرها السيد مبديًا

أن لا قابلية لشرب شيء، فمعدته مضطربة، ابتسمت ابتسامة باهتة بينما تقول: نسيت أن معدتك عصبية... إنه أمر يدهشني فأنت رجل أمن ومن الضروري أن تتحلى بالصبر والهدوء في المواقف العصيبة، قال: أنت تعلمين أنني أخشى على هذه المدرسة وكل من فيها من أي ضرر أو سوء، أنا أعتبر نفسي جزءًا من هذه الأبنية، من هذه الغرف والملاعب والمختبرات، من الأبواب والملاعب... أنا أعرف كل شيء عن المدرسة... المطابخ، المسرح، القاعات الكبرى والصغرى... بلا أي تعبير في وجهها قالت: نعم أنا أعرف هذا جيدًا منذ تسلمنا العمل في هذه المؤسسة العملاقة منذ اثنتي عشرة سنة، وأنا أيضًا يا سيد صالح... هذه المدرسة هي الحلم والتحدي الأكبر الذي قبلته وليس لي أبناء إلا تلاميذ المدرسة، ولا أعرف أي نفس شريرة تريد أن تهدم الحلم بمدرسة (عالم واحد) التي ترتب للاحتفال في نهاية هذا العام الدراسي بتخريج أول دفعة لها... هذه المدرسة حلم الكثيرين ومشروع كبار المفكرين والمهتمين بالإنسانية... يا سيد صالح إنه المشروع الأكبر في عالم ينذر بالدمار... نزل الماء الساخن على مسحوق القهوة في الكوب كأنه أحاسيس الأستاذة سالي الملتهبة التي تحرق عقلها وأعصابها...

رفعت الكوب لترتشف من القهوة المرة... ربما كانت المرارة التي تشعر بها وتعيشها أشد من مرارة القهوة.

* * *

تنهد السيد صالح تنهيدة عميقة ارتفع معها صدره العريض وانخفض وما زال يفرك شاربه... عادت الأستاذة سالي إلى نفس الموضع الذي كانت تقف فيه كأنها تحاول أن تقرأ السماء... كان القمر قد خرج من جوف غيمة بوجه رأته شاحبًا فهمست إليه: كأنك تشاركني الخوف والقلق؛ لذلك تستحي أن تطل في وجهي... ليتك تبوح بما ترى مما لا نرى، أو تذيع لنا سرًا سمعته عن تلك المؤامرة التي توشك أن تدمر كل ما بني وتقضي على حلم رائع ونموذج فريد في هذا العالم الذي نحلم له أن يكون أسرة واحدة... شعر السيد صالح أن التوتر يدفع المديرة إلى الانهيار، فقال: هوني على نفسك يا سيدتي، وكان يشير إلى الأرقام المضيئة في الجهة المقابلة لمكتبها من الحائط الزجاجي قائلاً: الساعة تعلن منتصف الليل ولم يحدث شيء إلى الآن، فترفقي بنفسك.

التفتت إليه الأستاذة بحدة تسببت في انسكاب بعض القهوة على حذائها وطرف بنطالها... بينما تلتفت برقت السماء وأرعدت، تبع ذلك برقة عملاقة أضاءت الأرض رغم الكثيف العالق، ثم اهتزت المدرسة لرعدة كأنها قنبلة عملاقة مدمرة... هب السيد صالح واقفًا إلى جوار الأستاذة التي كانت تصرخ فيه دون أن تنظر إليه: منتصف الليل؟ أترفق بنفسي؟ هل تترفق أنت بنفسك الآن؟ هل كل الساهرين بالمدرسة يترفقون بأنفسهم؟

* * *

تزامن البرق والرعد مع قول السيد صالح: منتصف الليل، وكل هذا تزامن مع ذكرى سيئة مستقرة في نفس الأستاذة سالي، لم يكن هذا الأمر يخص السيد صالح وإنما يخصها هي... لقد تذكرت تلك الواقعة المشؤومة ليلة هاج البحر فجأة بأمواج لم تشهدها الجزيرة، ولم تشهدها الأرض وقد حدث هذا الهياج دون مقدمات... في تلك الليلة كانت الأستاذة سالي تقيم في فندق قريب من ساحل البحر ضمن الفريق العلمي والهندسي الذي يقوم بإنشاء هذه المدرسة ووضع مناهجها ومقرراتها... بعد منتصف الليل بساعة، وبدون أي مقدمات انطلق

برق لامع، ورعد كالقنابل وانطلقت أمواج البحر كالوحوش الجائعة تهدم كل ما في طريقها، وتقتلع الأشجار، وما تعرض للتدمير الفندق الذي يقيم فيه الفريق، لولا أن القدر خدم أكثرهم واستطاعوا النجاة بأعجوبة من الكارثة بنزولهم إلى السرداب السري المحصن... بدأت الدموع تنهمر من عينيها وذكرى العالم الشاب علاء الدين تتجسد لها حين انهدم عليه الجدار بينما يفتح لهم باب نفق السرداب.

* * *

كان علاء الدين عالمًا في نظم الاتصالات... هو الذي وضع النظام الذي تعمل به المدرسة والذي تستطيع به التعامل مباشرة مع أولياء الأمور وكل الجهات المسؤولة ويربطها بكافة دوائر المعلومات والمستشفيات ويتيح لها متابعة التلاميذ أثناء العطلات ومتابعة التكليفات والواجبات حين لا يكونون فيها لأي سبب ... رأته أمامها جالسًا إلى جهاز الكمبيوتر مبتسمًا لها قائلاً: أحلم بجيل لا يعرف الأحقاد ويرى المستقبل كما ينبغي أن يكون عليه الإنسان مخلوقًا مكرمًا يهزم الحروب ويهزم الجهل والمرض ويهزم الشر... رأته وهو يمد يده إليها

بأقراص مدمجة قائلاً: رغم كل هذا التقدم احتفظي بهذه النسخة معك يا أستاذتي فنحن من الآن نحارب حربًا شرسة... مدت يدها في الهواء كأنها تتسلم منه الأقراص، قائلة: أنت على صواب يا عزيزي... شهقت شهقة مختنقة... التفتت إلى السيد صالح الواقف إلى جوارها سائلة: محاربة الخير أصعب أم محاربة الشر يا سيد صالح؟

كست الدهشة وجه السيد صالح بسبب شرود وبكاء الأستاذة ونطقها بسؤال رآه صعبًا... بل تلعثم في إطلاق الإجابة، وبعد تأمل وصمت أجاب: محاربة الخير أسهل بكثير من محاربة الشر يا أستاذة.

من فوق مكتبها سحبت منديلاً لتجفف به دموعها بينما تقول: عقل الإنسان جعل مفهوم الشر ومفهوم الخير نسبيين أيها السيد... إنها المصالح يا سيد صالح... ضحك السيد صالح للعبارة وجرسها الموسيقي، ثم قال: كلنا علمنا بأسباب الإعصار والفيضان الذي ضرب أطراف الجزيرة يا سيدتي وجماعة النجمة السوداء ما زالوا في السجن، فردت عليه قائلة: النجوم بشائر خير، وهؤلاء جعلوها سوداء ونذر سوء...

جاء هذا الرد من الأستاذة بعد نفس عميق ونظرة جابت أطراف السماء التي لم يبق فيها إلا أطلال نجوم تلوح من بعيد حيث ثار الغبار والسحب السوداء تحجب ما تريد رغمًا عن الإنسان.

الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل بعشر دقائق وانقطعت البروق والرعود ولم يسقط المطر الذي توقعه السيد صالح، وبينما يعد لنفسه كوبًا من القهوة انطلقت الصيحات في كافة أرجاء المدرسة، وصوت طفل يصرخ بحدة وفزع: إنه هناك... صدقيني إنه هناك... صدقوني... أراهم عند الحظيرة... أنا أراهم.

تدافع التلاميذ عبر الممرات المؤدية إلى الصالات آتين من مهاجعهم... أوقدت كل أنوار البهو الكبير... كل المشرفين اندفعوا إلى البهو وتحلق الجميع حول رامي الذي يجلس على كرسيه المتحرك صارخًا إلى الأستاذ مستجيب مدرس الجغرافيا: إنه هناك يعمل عند الحظيرة، أنا رأيته، صدقني... الحارس الواقف عند الباب يصرخ: لا أحد هناك... خرج مسؤول غرفة المراقبة الإلكترونية والدهشة على

وجهه صائحًا: ما هذه الخرافات أيها الولد؟ لا شيء في المكان الذي تتكلم عنه... كانت الأستاذة سالي يتبعها السيد صالح قد هبطا إلى البهو، يجتازان الزحام والصراخ إلى حيث رامي الذي صرخ وعيناه في عينيها: صدقيني إنه هناك يا أستاذة... هناك، مشيرًا باتجاه الحظيرة وبينما تشير لمن يمسكون بكرسيه انطلق بكل ثقة دافعًا عجلتي الكرسي باتجاه الباب الكبير والعصبية تشع منه صارخًا: أنتركه يا أستاذة؟

رامي يحبها، ويحترمها لأنها دائمًا تشجعه وتتحدث معه في كل ما يحتاج الحديث فيه، وتستمع قصصه ومواقفه اللطيفة... توجهت الأستاذة سالي معه ومن خلفها السيد صالح وكذلك الأستاذة لينا مدرسة الموسيقا والأستاذ مستجيب أستاذ الجغرافيا توجهوا إلى الباب المطل على الحظيرة بينما منع القائمون على الأمن التلاميذ من اللحاق بهم، وعند الباب اشتد صراخ رامي الذي يشير بعنف ناحية الحظيرة البعيدة موجهًا نظر الجميع إلى السقف الهرمي قائلاً: انظروا... إنه يشق السقف... نظر السيد صالح إلى رامي بدهشة قائلا باستهتار: أي شق يا بني؟ إنها فتحة التهوية تعبث بها الريح... نظر إليه رامي بكل غيظ قائلاً: ألا ترى المحلق فوقها تمامًا؟ ألا تراه رغم حجمه الضخم؟

حاول رامي أن يدفع كرسيه نحو المزلج المخصص للكراسي المتحركة، إلا أن السيد صالح أمسك به وبالكرسي بعنف، وموجها كلامه إلى المديرة قائلاً: يبدو أن رامي يريد تحويل الليل إلى حكاية سخيفة من حكاياته... التفت مصدرًا أمرًا إلى أفراد الأمن أن يقودوا التلاميذ إلى مهاجعهم في هدوء... غافله رامي مندفعًا بكرسيه... يدفعه بكل ما أوتي من قوة... انطلقت خلفه الأستاذة لينا يتبعهما الأستاذ مستجيب... في تلك الأثناء كان أفراد يرتدون ملابس سوداء وخوذات صفراء يخرجون من عدة أماكن قد شكلوا حائطًا، منع رامي من التقدم... صرخ فيهم: إنه هناك، ألا ترونه أنتم أيضًا؟ كانوا يتهامسون بسخرية والضحك يكاد ينفجر من أفواههم بينما رامي مستمر في صياحه وصراخه: إنه يفر... يفر... نظر رامي يتقلب بين السماء وسطح الحظيرة... إنه يفر أيها الحراس... ينظر إلى أستاذيه... ينظر إلى الجميع بينما يشير: إنه يفر.. كانت الأستاذة لينا تحاول تهدئته قائلة بابتسامة حذرة: لا شيء هناك... اهدأ... لن نغضب منك... أصيب رامي بخيبة أمل حين سمع هذه الكلمات وحين نظر في وجه الأستاذ مستجيب المكسو بابتسامة ساخرة حين كان يدير به الكرسي دافعًا إياه باتجاه باب البهو.

حين وصلوا الباب كانت نظرات لئيمة من عيني السيد صالح تحرق رامي بينما كانت الدهشة تتصاعد حدتها على وجه الأستاذة سالي فأشارت إلى المجتمعين، وتكلمت في حزم: تفضلوا إلى أسرتكم، فالغد ينتظركم بما فيه من أعمال شاقة... أشارت إلى الأستاذة لينا التي فهمت إشارتها فدفعت بكرسي رامي باتجاه المصعد الذي أقل ثلاثتهم.

خرج الثلاثة من المصعد متوجهين إلى مكتب الأستاذة سالي... في المكتب قدمت الأستاذة الشوكولاتة لرامي والأستاذة لينا التي كانت تعد له كوبًا من الحليب الدافئ... تناولت المديرة الكوب من الأستاذة لينا وقدمته له مع ابتسامة رقيقة مطمئنة... بينما يرتشف رامي من كوب الحليب في توتر وجهت المديرة الحديث إلى الأستاذة لينا قائلة: من حسن الحظ أن مناوبتك الليلة... كنت أنوي استدعاءك لبعض الوقت، لكن السيد صالح كان هنا، وأنا أعرف أنكِ لا ترتاحين له، مع أنني أرى أنه يؤدي عمله على أكمل وجه... تناولت ذراعها برفق منتحية بها ناحية الجدار الزجاجي، تنظران إلى الساحات والملاعب وتتهامسان برفق، بصوت لا يكاد يسمعه رامي، قالت المديرة للأستاذة

لينا: ألا ترين أن سلوك رامي الليلة غريب جدًا؟ أنا لم أتوقع أن يفعل ما فعل الليلة... بنفس مستوى الصوت قالت الأستاذة لينا: رامي مؤدب وملتزم، ولا أعتقد أنه كان يمثل علينا.

ـ فماذا تسمين ما حدث الليلة؟

ـ لا أعرف، لكن أنا متأكدة أن شيئًا غريبًا يحدث وحل اللغز عند رامي.

بدت علامات دهشة على وجه المديرة، حاولت أن تخفيها خلف ابتسامة ناعمة دالة على عدم التصديق... استدارتا وجلستا في مقعدين بالقرب من رامي وبابتسامتها المعتادة استقبلت المديرة وجهه قائلة: هدأت يا رام؟

هز رأسه إيجابًا؛ لكن علامات الغضب والحيرة لم تزل بادية على قسماته المضطربة... لاحظت المديرة أنه لم يشرب كل الحليب، وحين سألته عن السبب أجابها بأنه اكتفى... اقتربت منه المديرة، قربت وجهها من وجهه أكثر وأكثر فشعر بأنفاسها الحارة تسير على وجهه

بخطى ثقيلة، كانت الأستاذة لينا واقفة في مكانها تتأمل الموقف في صمت مترقب، تقف وشعرها الأصفر ينسدل إلى منتصف ظهرها وقوامها الممشوق يظهر من خلف المديرة المنحنية على رامي... عينا رامي حائرتين بين النظر في وجه المديرة وعينيها، تترقبان النظرات الحائرة المندهشة في وجه أستاذة الموسيقا... ألقت عليه المديرة سؤالاً من وراء ابتسامة حانية وعينين ذكيتين حريصتين: ماذا رأيت يا رام؟ بنفس الإصرار أجابها: رأيت كائنا غريبًا، فتح فتحة في سقف الحظيرة وأنزل أسلاكًا في جوفه... بابتسامة حائرة قالت المديرة: إنها فتحة التهوية يا رامي، ألا تعرف هذا؟ أنا أعلم أنك تحب الخيول وتذهب كثيرًا إلى الحظيرة ومؤكد أنك تعرف أن السقف مكون من ألواح مفصلية تفتح وتغلق آليًا.

كانت تتكلم والابتسامة لا تفارق وجهها، إنها بين التصديق وعدمه، وتنقل النظر بين رامي والأستاذة لينا التي كانت تنظر في كل تفاصيل وجه رامي وهو يتكلم، ورأت أن تخفف من وطأة الموقف فأخذت تثني على ملابس رامي وهندامه، مازحته قائلة: أكنت تريد أن تتسخ هذه

البيجاما الجميلة؟ أتعلمين يا أستاذة سالي؟ يعجبني جدًا أن رام يحب ألوان الأزرق والأصفر والبنفسجي ولا أعرف كيف يجد هذه الملابس الجميلة التي أتمنى أن أشتري لابني مثلها، لكم أتمنى أن يكون ذكيًا مثل رام وأن يحب الرياضة والموسيقا مثله... ابتسم لها رامي ابتسامة لطيفة مهذبة... عقبت المديرة التي كانت قد اعتدلت في جلستها مدركة مغزى كلام الأستاذة لينا، اعتدلت معقبة: رام؛ أريد منك أن تدرس باجتهاد لتحقق في السنة الرابعة تفوقًا كما حققت في السنوات الثلاث الماضية، وأشارت بإصبعها إلى شهادة تقدير معلقة على الحائط من(اليونسكو) تشيد بجهود المدرسة التي يتعلم فيها التلميذ رامي مراد الذي حقق التفوق في مسابقة أصغر سفير للسلام... عقبت الأستاذة لينا قائلة: هو مشارك في نفس المسابقة هذا العام، وأنا متأكدة أن تقاريره ممتازة...

عقارب الساعة تشير إلى الثانية والنصف صباحًا... الهدوء عم المدرسة، قررت المديرة أن يرافقاه إلى مدخل الممر المؤدي إلى مهجعه لينام، فقد تأخر بهم الوقت جدًا... عند باب الممر ودعهما منطلقًا بكرسيه في الممر، بينما كانتا تلتفتان في طريق آخر، إنهما تتجهان

نحو الباب المطل على الحظيرة... طلبت المديرة إلى الحارس أن يفتح الباب فضغط على عدة أزرار تشكل الرقم السري فانفتح الباب كاشفًا عن الليل وأضواء المصابيح التي كالأشباح... أشارت الأستاذة لينا نحو سقف الحظيرة دون أن تنطق... نظرت الأستاذة سالي لترى االفتحات مغلقة... لم تكن الدهشة قوية فإغلاق السقف أمر طبيعي بعد الجلبة التي حدثت... نظرت الأستاذة لينا إلى المديرة سائلة: أترين أنه من الطبيعي أن تفتح الفتحة في هذا الطقس المترب يا أستاذة؟

مطت المديرة شفتيها... هزت كتفيها ورأسها... بدت علامات حيرة في عينيها ثم قالت: هل تعلمين أنها تعمل بمجسات خاصة تفتحها حين ترتفع درجة الحرارة داخل المكان نتيجة تنفس الخيول؟ بنفس مطمئنة أجابتها: ما أعرفه هو أن السقف كله يفتح، لكن هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها فتحة واحدة فقط تنفتح خصوصًا في هذا الطقس.

كانت الأستاذة (لينا) تتكلم واضعة يدها اليمنى في جيب سترتها الرياضية رمادية اللون بينما يسراها تخلل شعرها... ظلت أصابعها

تعبث برأسها أثناء الحديث وعلامات الاهتمام بادية على وجهها الأبيض وعينيها الزرقاوين. وفي جوف الحيرة نصحتها المديرة أن تذهب إلى غرفتها لتنام بينما تصعد درجات السلم الرخامي الأنيق ذي الحاجز المصنوع من الحديد المطروق، المشغول بالنحاس.

(رامي) في فراشه يغالب أفكاره ليستطيع النوم، ويوسف في السرير المقابل يغط في نوم عميق... مد يده، أضاء المصباح الصغير المجاور لسريره، نظر في الساعة، إنها الثالثة والنصف صباحًا، ولابد أن يحضر طابور الصباح في تمام السابعة... جلس في السرير ساحبًا كرسيه المتحرك ليوازي السرير، وبخفة انتقل من السرير إلى الكرسي المتحرك، هي حركة اعتادها لزمن طويل ويتقنها... إنه في كل شيء مجتهد يحب أن يتقن كل ما يفعل، يساعده على ذلك جسمه الرشيق الرياضي وذراعاه القويتان... كرسيه أيضًا جميل أنيق، إطاراه الخلفيان من الكويتشوك الأزرق يحيطان بمركز داخلي من النيكل على شكل نجمة خماسية تمثل المركز... العجلتان الصغيرتان في مقدم الكرسي يشبهان تمامًا الإطارين الخلفيين يفرقهما الحجم... كرسي رامي رياضي

لا متكأ له على الجانبين، إنما فقط بروز خفيف من البلاستيك القوي الأملس لونه أصفر... أما مقعد الكرسي وظهره فمن القماش السميك أزرق اللون مع شريطين أصفرين متوازيين، مخاطين في المنتصف.

واجه رامي النافذة ينظر عبر الظلام مفكرًا فيما حدث... إنه لا يكاد يصدق نفسه وما حدث... ربما شعر بالغرابة، فوحده رأى تلك الكائنات، أرسل نظره إلى البعيد، عبر الظلام كانت الحظيرة تبدو كأنها قطعة من جبل مستقر على الأرض، لم ينتبه رامي إلى أنه لا يرى الحظيرة الآن كما كان يراه حين أتى المخلوق الغريب، وحين كان بين الأساتذة والتلاميذ، وحين هم بالانطلاق نحوه... ازدحمت الأفكار في رأسه الذي سنده على حافة الشباك وبلا وعي غرق في النوم.

في تلك الأثناء كانت الأستاذة سالي تكتب تقريرًا بكل ما حدث، وما مرت به في يومها... كانت تكتب التقرير وتدون بعض الملاحظات في ورقة خاصة، وقد أطل عليها الصبح وهي غارقة في أفكارها ومحاولتها الاقتناع بما قال رامي إلا أنها في نفس الوقت تحاول أن تبعد فكرة

تلك الأشباح، كما تحاول أن تطرد من عقلها أن تكون جماعة النجمة السوداء وراء تهديد الليلة الماضية، خصوصًا وأنها تعلم أن كافة أفراد الجماعة في السجن وفق آخر تقرير منشور عن محاولة هرب فاشلة حاولوا القيام بها... على الرغم من أن هذه الفكرة أدخلت إلى نفسها بعض الارتياح إلا أنها تركت غرفتها متوجهة إلى الساحات مرتدية بدلة رياضية خضراء كي تمارس رياضة الصباح... كانت الخامسة صباحًا، لكن الغبار لم يزل عالقًا، وبينما تتمشى قررت أن تنحو ناحية الحظيرة لتتفقدها، وهناك وجدت الأبواب مفتوحة، وعمال النظافة يعملون باجتهاد، ولم تجد أي آثار للعنف في السقف أو الحوائط كما لم تجد أية إصابات في الخيول، فغادرت إلى ممارسة رياضتها.

في طريق العودة قابلت المديرة الأستاذ إبراهيم أستاذ الفلك قادماً من الطريق المؤدية إلى القبة الفضائية... ألقى عليها التحية، ردت تحيته ثم سألته عن سبب خروجه في هذا الوقت الباكر ولماذا لم يسلك النفق، فأجابها بأنه لم ينم ليلته وكان يحاول إيجاد دليل لإثبات أو نفي ما قاله رامي؛ مما أصابه بالإرهاق الشديد فأراد أن يريحه ببعض

المشي... استوقفتها عبارته (إيجاد دليل إثبات أو نفي) فسألته بدهشة: هل يمكن أن يكون ما قاله رامي حقيقة يا أستاذ؟

عبث الأستاذ إبراهيم في شعره المجعد الطويل الذي يشبه قبعة قديمة رمادية اللون، ثم عدل من جاكيت بني اللون يلبسه فوق قميص أصفر وبنطال من الجينز ثم قال بصوت هادئ رخيم: ولم لا يكون صحيحًا يا أستاذة وهناك أبحاث تثبت أن غابات كونية تقترب من الأرض، وأن بها مخلوقات غريبة تتغذى على نواتج التجارب النووية وأبخرة النفايات وثاني أكسيد الكربون؟ كانت عينا الأستاذ إبراهيم تضيقان معبرتين عن حالة من التركيز الشديد، وازدادتا ضيقًا حين رفع صوته قائلاً: لكن الأشد غرابة أن يرى هذه الظاهرة إنسان في الوقت الذي لم تستطع أحدث الأجهزة والكاميرات تقديم رصد دقيق يمكن الأخذ به... كان الأستاذ يتكلم بنبرات دالة على الحيرة بينما الأستاذة سالي فاتحة فمها في دهشة تجعلها لا تجد عبارات الرد أو المشاركة في الحديث، فأضاف: صحيح يا أستاذة أن المرصد الملحق بالمدرسة متقدم لكنه يبقى مرصدًا تعليميًا، فعقبت: لكنه على الأقل يستطيع

رصد أي تحرك غريب في محيط الأرض والقمر، فأضاف: بل أكثر من ذلك بكثير، يمكنه رصد حركة بقية الكواكب في المجموعة، ويمكنه رصد حركة الأقمار الاصطناعية، وتحركات المحطات الفضائية وسفن الفضاء، وبالقبة أجهزة متطورة للتعامل مع الأقمار الاصطناعية في حدود المسموح به، وبصفتي عالم فلك معتمد من كافة الهيئات العلمية لدي صلاحيات أكثر لكني لا أمارسها في حضور تلاميذي، ومع هذا وبكل وسائل المسح الفضائي لم أستطع إثبات ما رآه رامي... ضرب رأسه في تعبير عن خيبة الأمل... نظرت المديرة في عينيه وقالت: الآن عرفت سبب اختفائك المفاجئ حين صرخ رامي عند الباب، قال: نعم، لقد توجهت مباشرة إلى المرصد، وبعد أن أدرت أجهزة الرصد، طوال الليل كنت أتابع كل تفصيلات الأفلام التي سجلتها الأجهزة حتى إنني لم أستطع رصد إشارات صوتية.

كانا قد اقتربا من باب الدخول إلى البهو الكبير، استأذن الأستاذة وتركها منصرفًا إلى الداخل باتجاه المطعم فهذا موعد تناول إفطاره... نادته الأستاذة بعد أن ابتعد عنها بضع خطوات بينما هي واقفة على

آخر درجة من درجات السلم قبل الدرجة العريضة أمام الباب، حين اقترب منها قالت: تعلم أني أثق بك جدًا، وأنت أحد شركاء الحلم الكبير؛ لذلك أرجوك أن تهتم بكل التفصيلات وأن توافيني بكل جديد... هل تعتقد أن الأمر خطير؟

ابتسم ابتسامة لا تخلو من الحيرة قائلاً: علمني المرصد والمناظير أن الكون لغز كبير، لكن الإنسان هو اللغز الأكبر.

٢- قلوب الأصدقاء

بنفاد صبر كانت سارة تجلس في أحد أركان البهو الكبير منتظرة وصول رامي وبقية الأصدقاء... إنها تشبه دمية قديمة من قماش عتيق ناتجة عن الليلة المنقضية في قلق وحيرة فرامي لم يترك لها أي رسالة إلكترونية تطمئنها، ولا علم لديها بما حدث بعد أن تركوا البهو إلى مخادعهم ليلاً... كانت ترتدي زيها المدرسي البنفسجي والقميص الأزرق ورابطة العنق المخططة بالتركواز والأبيض، إنها على ما يبدو نسيت أن تمشط شعرها فاسترسل بسواده على كتفيها ووجهها مما جعل عينيها تبدوان ضيقتين جدًا وشفتاها جافتان كأنها لم تشرب منذ عدة أيام، عيناها تجولان في كل مكان، ناحية كل باب، وسلم وممر، فجأة من بعيد لمحت يوسف يعبر الممر المؤدي إلى مهاجع البنين، يدفع كرسيه المتحرك وعلى وجهه ابتسامة عريضة اعتاد أن يستقبل بها سارة مع تحية الصباح... سارة لم تنتظر أن يصل إليها بل هرولت نحوه، كان آتيًا في هندامه المعتاد، يرتدي زي الصف السابع المميز بلون الجاكيت الرمادي والقميص الأبيض ورابطة عنق مخططة باللونين الأزرق

والأحمر الداكن، اعتاد أن يعلق حقيبة يد صغيرة على مشجب في الجانب الأيسر من كرسيه أسود اللون ذي الذراعين الأنيقين اللذين يتفنن في تجميلهما... وقفا متقابلين، وبينما يرتب شعره الطويل الذي يغطي أذنيه ورقبته، أخذت سارة توجه له الأسئلة عن رامي، وأين هو؟ هل رآه حين رجع؟

بطبيعته المرحة التي تحول أصعب المواقف إلى كوميديا رد عليها بأنه كان نائمًا، لكنه حين استيقظ مع الفجر وجد رامي مسندًا رأسه إلى النافذة ولم يرد عليه حين ناداه وبتكرار النداء لم يرد، فقام إليه وأيقظه بهدوء ورده إلى فراشه، وهو الآن يستعد للنزول... ثارت سارة وبدأت تتكلم بصوت متوتر مخنوق كي لا ينتبه التلاميذ إلى الحوار الدائر:

ـ قالت: هل نمت قبل أن يرجع صديقك؟

تغيرت ملامح وجهه حين أصابته عصبيتها بصدمة حركت مشاعره وشعر بالحرج نتيجة لسؤالها

قال: كنت مرهقًا يا سارة ولا أعرف كيف نمت.

قالت: أي إرهاق يجعلك تنام وأنت تعلم أنه لم يرجع، ولا تعلم ماذا حدث له؟

قال: ما حدث له! أنت دائمًا تضخمين الأمور وتعظمينها، ما بكِ؟

بهمس دال على الغيظ قالت: أنا تركت له رسائل كثيرة، وكنت أتوقع أنك تشاركني القلق عليه... أنت هكذا دائمًا وأشاحت بوجهها عنه.

ظهر رامي في آخر الممر المتسع منعطفًا فيه من أحد الممرات الخمس المؤدية إليه آتية من مداخل مهاجع البنين... كان مرتديًا زيه المدرسي البنفسجي الداكن والبنطال الأسود والقميص الأزرق مع رابطة العنق المخططة بالتركواز والأبيض... كان يدفع كرسيه في حالة تنم عن إعياء وكسل، وجهه الجميل ذو العينين الواسعتين يكسوه حزن وحيرة... كادت سارة أن تقفز إليه، لكن منعها قانون المدرسة الذي يمنع دخول الفتيات ممرات البنين، فكان عليها أن تنتظر وصوله إليها.

لحق سام به في الممر مرتديًا زي الصف العاشر المميز بالجاكيت الأزرق والبنطال الأسود والقميص البنفسجي ورابطة العنق المخططة بألوان الأسود والأحمر... سار إلى جواره في هيئته الأنيقة وجسمه المتناسق... عبث بشعره في شبه مرح قائلاً: كنت أنتظر عودتك، ورأيتك بينما كنت تدخل إلى غرفتك، كانت على وجهك علامات الإرهاق فلم أشأ أن أناقشك في شيء كي تتمكن من أن تنام، أشار باتجاه سارة و يوسف قائلاً: ها هما صديقانا هناك ينتظران... كان سام يتكلم بلهجة كلها حب وحنو على صديقه المقرب... رفع رامي رأسه مرسلاً إليه ابتسامة كسلى، قائلاً: لن يصدقني أحد مهما فعلت ومهما قلت يا سام. ثم أطرق برأسه بينما يدفع عجلات كرسيه بهدوء بين الطلاب المارين عبر الممر، ثم قال: أكاد ألا أصدق نفسي، فليس لدي أي دليل على ما رأيت... ربت سام على كتفه الأيسر بلطف قائلاً: أنا أصدقك يا رام على الرغم من صعوبة الموقف... شعر سام أن جسم صديقه ارتعد ارتعادة خفيفة حين سمع هذه العبارة التي ربما تبث فيه بعض السعادة.

وصل الاثنان إلى حيث يقف يوسف وسارة التي تحولت ملامحها الجافة ولغتها الحادة مع يوسف إلى الرقة والعطف في حديثها إلى رامي الذي قال وبدون مقدمات: سأقص كل شيء بالتفصيل... تبادل الثلاثة النظرات وهزوا رؤوسهم إيجابًا وتحركوا جميعًا لينتظم كل واحد في مكانه استعدادًا لسماع كلمة الصباح التي سيلقيها اليوم الأستاذ إبراهيم أستاذ علم الفلك.

انتهى لقاء الأربعة بعبارة يوسف: لولا القوانين لما استمعت لكلمة الأستاذ إبراهيم فلابد أنه سيتعرض لموضوعات الفلك المعقدة التي لا أحبها والتي تشعرني أنني لا أساوي أي شيء أو أنني علبة عصير فارغة في مقابل تلك الأجرام التي تسبح في هذا الكون، لكن لا بأس سأسمح له اليوم أن يفرغ العلبة على ملابس الجميع... ضحك الجميع من عبارته وحركات يديه ورأسه وتعبيرات وجهه.

اصطف جميع الطلاب في أماكنهم المعتادة في انتظار خروج الأستاذ عليهم ليلقي الكلمة، كان رامي يمثل رأس المثلث الذي يضم

تلاميذ الصفوف الرابع والخامس والسادس، وكالعادة يمثل الجالسون على الكراسي المتحركة رؤوس المثلثات الأربعة الممثلة لفرق المدرسة، ويجلس الذين يستعملون العكازات وحالات الشلل الدماغي في الأماكن المخصصة لهم في مقدمة المستطيل المستعرض الذي يضم طلاب الصف الثالث عشر الذي هو فترة الإعداد للمرحلة الجامعية واختيار التخصص الدراسي... لقد اعتاد رامي أن يكون رأس المثلث لمجموعته فهو الوحيد فيها الذي يستعمل الكرسي المتحرك بينما يتناوب يوسف وثلاثة تلاميذ آخرون المكان في مجموعته.

كان الطلاب ينظرون ناحية رامي في صمت، لم يسأله أحد من الطلاب عما حدث الليلة البارحة مما جعله يتساءل بينه وبين نفسه عن السبب، ولم يكن نفس السؤال ببعيد عن عقول أصدقائه.

ارتفعت إحدى رخامات البهو عن مستواها الطبيعي مع صوت موسيقا الطابور النحاسية، فاعتدل كل الواقفين... بعد انتهاء العزف تقدمت الأستاذة سالي وصعدت المنصة، فهمهم كل الحاضرين، فهذه

أول مرة يخرق فيها النظام في المدرسة، فاليوم للأستاذ إبراهيم... ألقت المديرة التحية على الجميع، وبابتسامة ذكية قالت: لقد استأذنت الأستاذ إبراهيم أن أنال سعادة اللقاء بكم بدلا عنه اليوم، وكما تعلمون فالأستاذ إبراهيم عالم كبير كما أنه صاحب قلب كبير أيضًا، ويحبكم جدًا، ويحلم لكم بمستقبل مشرق، إننا هنا شركاء في الحلم الذي نغني كل يوم أغنيته، وأنا سعيدة جدًا أننا أسرة واحدة حقيقية، وأنكم تحققون أفضل النتائج في كافة الاختبارات، ويسعدني اليوم أن أحيي الطالب سام روبير من الصف العاشر الذي أراه أحد أهم علماء المستقبل، والذي استطاع أن يقدم بحثًا قيمًا مدعمًا بالتجارب المعملية لإنتاج نوع من البكتيريا سيحدث نقلة نوعية في عدة مجالات، وليس هذا رأيي أنا وحدي وإنما سبقني إليه الفريق العلمي الذي قيم موضوع البحث ونتائجه والمتوقع منه ومن تطويره... كانت الابتسامة العريضة لا تفارق وجهها، واتسعت ولمعت عيناها حين عقبت معلنة سعادتها برامي الذي كان مساعد سام في المختبر أثناء فترة البحث والتجريب، وقد نفذ لائحة التلميذ المساعد بكل دقة كعادته في كل الأعمال التي تسند إليه... تنحنحت ملتقطة أنفاسها مستغلة موجة التصفيق الحاد

التي انطلقت تالية الموجة الأولى... كادت سارة أن ترقص لما سمعته من المديرة عن سام وعن رامي الذي كان يوزع ابتسامات مختلطة بالخجل على كل الموجودين... هدأت موجة التصفيق لتعلن المديرة عن إقامة حفل مسائي سيحدد موعده وسيجدون الإشعارات على بريدهم الإلكتروني علاوة على البطاقات التي سيجدونها في صناديق بريدهم المعلقة في القاعات الخاصة.

بدون مقدمات زائدة عرجت المديرة على أحداث الليلة الماضية بقولها: إن ما حدث الليلة البارحة لم يتجاوز كونه مزحة سخيفة من تلك الجماعات غير المسؤولة التي تهدف فقط إلى إثارة الذعر والشغب، وإننا نقدر للتلميذ رامي مراد حرصه الشديد على مدرسته وهذا الاهتمام الزائد الذي نشهد بأنه لم يتوفر لطالب غيره في المدرسة ... لقد علمنا أنه قضى الليل يترقب ويراقب من وراء النافذة كأنه الحارس الأمين على المدرسة وعلى كل من فيها، وهو بهذا قدم لنا مثالاً حيًا للابن البار والإنسان المسؤول صاحب المروءة والشجاعة، الذي يمكن أن يعتمد عليه؛ لذلك فأنا أرشحه من الآن أن يكون التلميذ المثالي

لشهر نوفمبر لينضم إلى الجالسين على طاولة الخمسة عشر، وسأنتظر ما يقدمه الأساتذة واللجنة المختصة بهذا الأمر خلال أربع وعشرين ساعة.

دائمًا يحرص المجتهدون في هذه المدرسة على الحصول على تقدير التلميذ المثالي، وهي مسابقة شهرية تقوم أساسًا على التقارير التي يقدمها الأساتذة عن تلاميذهم والتي تشمل تقديرات المواد النظرية والعملية والأنشطة العامة، والأنشطة الخاصة، والأنشطة خارج المدرسة، ومستوى الالتزام بالمواعيد وتطبيق لوائح المدرسة، والمشاريع التي يقدمونها، ولا يقتصر الأمر على التقارير فقط وإنما يعتمد أيضًا على التقارير التي تقدمها لجنة مختصة بهذا الشأن، تتابع بحرص ودقة التقارير المقدمة من الأساتذة ومطابقتها للواقع، بل ويمكنها عقد اختبارات خاصة أو إجراء مسابقات خاصة من خلالها يمكن الموافقة على التقارير أو رفع نقاطها أو الحسم منها.

حيت المديرة كل الواقفين وتمنت لهم يومًا سعيدًا... هبطت الدرجة الرخامية التي كانت تقف فوقها المديرة، وحين غادرت غادر الطلاب

إلى غرف الملابس لتبديل ما يلبسون بملابس الرياضة، المتطابق في اللون مع زيهم الذي يلبسون، وعلى الرغم من كثرة الفضوليين الذين وجهوا أسئلتهم لرامي إلا أن الوقت لم يكن يسمح بالكثير من الثرثرة، فعلى الجميع أن يكونوا في ساحة العروض الصغرى الكائنة بين المبنيين الدراسيين لأداء الطابور الرياضي اليومي الذي يستمر لمدة نصف ساعة صباحية... كان رامي من أوائل الذين يصلون إلى أرض الطابور كل يوم في همة ونشاط، وعلى الرغم من أن نصفه السفلي لا يتحرك إلا أنه يؤدي أكثر التمارين مع زملائه بأن يجلس على العشب الأخضر في مكانه من الطابور مادًا ساقيه أمامه على الأرض مؤديًا تمارين اليدين والجذع والصدر، وكثيرًا ما كان يوسف يكلمه في هذا الأمر ناصحًا إياه أن يبقى فوق كرسيه، فإدارة المدرسة لا تلزم مستخدمي الكراسي المتحركة بالنزول عن كراسيهم، إلا أن رامي كان يجد سعادة في أن يؤدي التمارين مع زملائه وبنفس الكيفية، بل وينصح يوسف أن يفعل مثله ففي هذا فائدة لجسمه، إلا أن يوسف يفضل أن يبقى على كرسيه كبقية زملائهما.

انتهت التمارين وعاد الجميع والأساتذة إلى غرف الملابس، بدلوا ملابسهم وتوجه الجميع إلى قاعة الطعام لتناول وجبة الإفطار الساخنة وهم ممتلئون بالنشاط وقد سبقهم إلى القاعة الفريق المكلف بالخدمة لهذا الأسبوع والمكون من عدد من الأساتذة والتلاميذ الذين يتناولون الأطعمة من المصاعد التي ترفعها من المطابخ إلى قاعة الطعام ليرصوها على عربات التقديم، ومن ثم يرصونها على طاولات الطعام التي تحمل مفارشها ألوان فرق المدرسة، لكن هذا لا يلزم التلاميذ الجلوس ضمن فرقهم بل يمكن لكل طالب أن يجلس بين أصدقائه الذين يريد الجلوس معهم، وكذلك الأساتذة يجلسون بين طلابهم وليس بالضرورة أن يجلس كل أستاذ على رأس طاولة وإنما يجلسون أينما أرادوا، وبما أن التكليفات أسبوعية كان في صدر القاعة طاولة خلفها خمسة عشر مقعدًا، ظهورها عالية تشبه ظهور العروش، في المنتصف مقعد المديرة ويحمل رقم (١٥) وإلى يمينه مقعد الأستاذ المثالي للشهر والذي يشترك في اختياره الطلاب والأساتذة وفق نظام ثابت متعارف عليه من خلال عشرين جهازًا تشبه آلات سحب النقود، ليس على من يريد أن يمنح صوته إلا أن يضع إحدى يديه على شريحة ضوئية مثبتة في

الحائط ناطقًا اسم الأستاذ ثلاثيًا، ومن حق كل فرد في المدرسة أن يدلي بصوته ثلاث مرات حتى لو عن طريق أكثر من جهاز، والحقيقة أن الشريحة والميكروفون متصلان بحاسوب معد لهذا الأمر وهو مبرمج بنظام قادر على قياس معدلات التوتر بحيث لا يحتسب صوت متوتر أو قلق، لهذا له الحق في الإعادة لثلاث مرات لضمان الصدق والعدل في منح الدرجة، وفرز الأصوات وتصفيتها خاص بهذا الحاسوب الذي تشرف عليه مديرة المدرسة، فهم يعتبرون هذا الأمر مسألة سرية نتيجتها تؤخذ في الاعتبار لمنح الدرجات والترقي والحصول على المكافئات، وكما يسعى التلاميذ لتحقيق التميز يسعى الأساتيذ أيضًا.

حين دخل رامي القاعة توجه إلى سام مباشرة هامسًا في أذنه: أتوقع أن تحمل إحدى هذه اللافتات الضوئية المعلقة فوق المقاعد اسمك مع بداية الأسبوع القادم، مشيرًا نحو طاولة الخمسة عشر... عدل من جلسته إلى جواره على الطاولة التي لحق بهما إليها يوسف وسارة التي كانت تدفع أمامها كرسيًا متحركًا حجمه أصغر من كرسي رامي، تجلس عليه فتاة صغيرة السن والحجم، لها عينان جميلتان

وبشرة ناعمة بياضها امتزج باللون الوردي، شعرها المنتظم في ضفيرتين قصيرتين بنيتي اللون، تبدو عليها علامات الإحراج، بابتسامتها المعتادة قدمتها سارة إليهم: إنها زهرة تلميذة في الصف الأول... بدأ سام بالتعريف بنفسه، تبعه رامي، وبينما تجلس سارة في مكانها كان يوسف يعرف بنفسه بمرحه المعتاد وعباراته المنمقة الرقيقة قائلاً: ستتفتحين بيننا يا زهرة... وبما أن سارة أتت بك إلى طاولتنا فلابد أنها رأت فيك ما يميزك على الباقين، ولابد أنك موهوبة أيضًا، فما موهبتك؟

حاولت زهرة الصغيرة التخلص من خجلها ومن شعورها بأنهم غرباء عنها، فابتسمت ابتسامة طفولية ثم قالت: أنا أحب الرسم، لكن سارة لم تر بعد أي شيء من رسومي، وبينما تتكلم كانت الأستاذة لينا قد أتت في خفتها المعهودة, فهي خفيفة الظل, مرحة، تحب تلاميذها, تهتم بنفسها من مبدأ حبها لشخصيتها وأنها قدوة للفتيات، لذلك تريد أن يحذين حذوها, وهذا يحدث بالفعل فهن يرجعن لها في أمور كثيرة تخصهن, ليس الفتيات فحسب, وإنما كذلك الأولاد فهي تعاملهم كما تعامل ابنها الذي تحبه كثيرًا وتعلق صوره في غرفتها, وتضعها على

طاولة مكتبها... حين رأت زهرة بين الطلاب المقربين منها فاجأتها بقبلة على خدها قائلة: أهلاً بالموسيقية النابغة على طاولة هؤلاء العفاريت, انتفضت زهرة انتفاضة خفيفة تحولت إلى نشوة خجولة والتفتت رافعة رأسها لتواجه وجه الأستاذة بابتسامة وتحية تحمل إشارات الحب والاطمئنان, وقد يكون السبب وراء هذا الاطمئنان اندماج الأستاذة مع الفريق الذي ضمتها إليه سارة وليس بينها وبينهم سابق معرفة.

اتخذت الأستاذة مقعدها بين سارة ورامي، في مواجهة سام ويوسف ملتفتة بوجهها وعينيها الممتلئتين بالود نحو زهرة المجاورة لسارة, قائلة: زهرة تجيد عزف البيانو وصوتها جميل، أنا موقنة أنكم ستعجبون بها حين تسمعون غناءها وعزفها... كانت تتكلم خلال تناولهم البيض المقلي والخبز مع الزبد والجبن والعصير، أما الحليب فهو إلزامي مع طعام الإفطار... أشارت الأستاذة لينا إلى طاولة الخمسة عشر قائلة: أرى أنك ستكون هناك ولن تجالسنا لشهر كامل يا سام، ثم همست في أذن رامي وأتوقع أنك ستكون إلى جواره يا عزيزي المشاغب... تضاحكوا جميعًا في فرح.

انتبهوا إلى ذلك الفتى السمين ذي الرأس الذي يشبه رأس الباندا بعينيه الضيقتين المحاطتين بسواد لا يتسق وحالة الكسل البادية عليه... كان الفتى ينظر إلى سام نظرات كلها غيظ وكره، يرسلها خلسة من فوق خديه الغليظتين وأنفه الذي يشبه حبة الزيتون الملقاة في صحن وحيدة بين تلال لا تجانس بينها... بعد قليل مال يوسف على سام هامسًا: أيسر يكاد يخنقك بنظراته، أرى بطنه الكبير يزداد انتفاخًا كلما نظر إليك تحديدًا, أشعر بانتفاضة قلبه, بهدوء وثقة ودون النظر ناحيته رد عليه سام دعك منه، إنه إن لم يجد أحدًا يكرهه كره نفسه، أنا تعبت من كثرة توجيهي إياه، ونصحه ومساعدته، بل حاولت مرارًا أن أضمه لمجموعتنا لعله يعدل من سلوكه إلا أنه دائمًا يبحث عن المشاكل وما يؤذي به الآخرين، ثم اعتدل في جلسته أكثر وتوجه بوجهه وعينيه الذكيتين نحو يوسف مضيفًا: أعتقد أنه يريد أن يقتلني بعد أن عنفته بقسوة حين ركل رامي ركلة موجعة في مباراة كرة القدم الأخيرة حين مرر رامي الكرة أربع مرات من بين ساقيه، كان صوت سام آخذا في الحدة، لكنه سيطر عليها وهو يقول: ثم ما الذي يأتي به إلى هنا؟ مائة وعشرون طاولة في الصالة ألا تعجبه منها

إلا هذه الطاولة؟ فهم رامي ما يدور، فهمس دون أن يلتفت: إنه يكاد يخنق ماريا بنظراته، إنه حاقد عليها لأنها الفائقة على الصف الثامن للأسبوعين الماضيين... الكلام يخرج من بين شفتي رامي حاملا الكثير من الأسى الممتزج بالشفقة، هو مشفق على أيسر مما يعانيه من كره للآخرين وفيه يضيع الكثير من وقته وجهده، ومشفق على الآخرين لمعاناتهم مع أيسر بما يسبب لهم من مضايقات.

كان رامي وكل من حوله يعرفون لذة الوجود على طاولة الخمسة عشر، فهو كثيرًا ما اتخذ عليها مقعده بين النجوم، ولطالما استمتع كلما قامت الأستاذة سالي بخدمتهم وفق التقليد المتبع، وهو أن تقوم مدير المدرسة على خدمة الجالسين إلى جانبيها على تلك الطاولة.

لم يكن الأستاذ إبراهيم ببعيد عنهم... كان يجلس على تلك الطاولة التي تجمع كلا من الأستاذ راضي المدير المساعد لشئون الطلبة بجسده النحيل، هو صاحب وجه طويل, بشرته خمرية ناعمة، أنفه طويل متناسق مع خديه المستويين، و عينيه البنيتين المعتدلتين، يحب

اللباس الكلاسيكي ورابطات العنق الملونة، هو في الحقيقة دارس ومتخصص في علم النفس التربوي وكثيرًا ما يغلبه الكلام عن النظريات وتطبيقاتها, لكنه ليس من الصنف الجامد الذي يتكلم فقط بما يقرأ، لكنه بالفعل يعي معنى الفروق الفردية بين الناس على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم المعيشية، ويلجأ إليه الأساتذة كثيرًا لتفسير تصرفات التلاميذ. والأستاذ فريد المدير المساعد لشؤون البحث العلمي، دائمًا هو منشغل البال يميل إلى تفسير كل الأشياء بأسلوب علمي، منظم جدًا، لكن في بعض الأحيان عشوائي جدًا وهذا جعل الكثيرين يتهمونه بالتناقض لكنه هادئ الطباع لا يعير هذه الآراء كثير اهتمام، ومن المعروف عنه حبه للحلويات والسكريات عمومًا على الرغم من تحذير الأطباء له ويعلل بأن هذا هو عيبه الوحيد والآفة التي يتمنى أن يتخلص منها، جسمه ممتلئ، رأسه يميل إلى الكبير، زاد من حجمه الصلع الذي لم يبق من شعره إلا القدر اليسير، وحتى هذا لا يتركه وإنما يداوم على حلاقته بالموسي فتراه بلا أي شعر في وجهه ورأسه. إلى جواره يجلس الأستاذ سيف المدير المساعد للشؤون المالية، وهو رجل خمسيني بشرته بيضاء تميل إلى الاحمرار، يحب الملابس الزاهية معللاً

بأنها تستحضر الابتهاج، ممتلئ قليلاً في قوام يتناسب مع عمره، طويل ليس بالطول اللافت للنظر إلا إذا لم يكن بمفرده أمامك والأستاذة نادية المدير المساعد للأنشطة، أنيقة في بدلاتها التي تراوح فيها بين الألوان الداكنة والفاتحة، واليوم تلبس بدلة بنية اللون بلون الشكولاته وينساب من فوق شعرها شال من القماش الشرقي بألوانه المتداخلة، لا تبدو عليها ملامح تدل على عمرها الأربعيني، شقراء شعرها ملون، تحب استعمال العطور معللة أن الكون كله مكون من عطور خلقها الله في كل مخلوقاته، وعلى الإنسان أن يكون عطرًا دائمًا، تحب عملها جدًا وتبتكر أنشطة يمارسها الطلاب وأنشطة يمارسها الأساتيذ، وأنشطة يتشارك فيها الجميع، ذات اجتماع عللت اهتمامها بالأنشطة إلى أن الجسد ليس مكونًا من لحم و عظام ودم وإنما هو في الحقيقة مبني من طاقة مستمدة من طاقة الكون الكلية والإنسان جزء من هذا الكون المتحرك فلابد أن يكون هو الآخر في حركة مستمرة كي لا ينفصل عن حقيقته وأنه جزء لا يتجزأ من المنظومة الربانية المتكاملة، كان يجلس مع هؤلاء عدد من الأساتذة والطلاب من مختلف المراحل الدراسية.

بين هذا الجمع الذي لا يختلف كثيرًا عن الجموع الملتفة حول الطاولات كان الأستاذ راضي يتهامس والأستاذة نادية في حديث يبدو أنه جاد، لكن عيناه لا تفارقان رامي وكأنه يحاول أن يستطلع كل ما يدور في أفلاك عقله، يجتهد ليتسلل إلى أدق التفاصيل التي لا يظهرها الصبي حتى لنفسه لعله يجد تفسيرًا مبررًا لما كان عليه الليلة البارحة، وفي كل مرة يرجع إليه بصره والتساؤلات عالقة كما الإجابات إلى أن انتهى الجميع من تناول طعامهم، وسادت الحركة أرجاء الصالة بين متوجه لإلقاء فضلات طعامه في الصناديق المخصصة لذلك وخارج إلى المباني الدراسية مرورًا بالبهو الكبير، وبينهم رامي الذي يدفع بعجلتي كرسيه المتحرك في بقايا الملل الذي سكنه والذي ما زال يغرقه في أفكار كثيرة رغم حداثة سنه، ومع هذا الذي هو فيه رأى رجلين غريبين عن المدرسة، عرف من يوسف أن ملامحهما تدلان على أنهما من مكتب التحقيقات، فهما في صحبة السيد صالح مدير أمن المدرسة، ويبدو أنهم في طريقهم من مكتب المديرة إلى خارج المدرسة... نظر رامي لصديقه بوجه ارتسم عليه الحزن والدهشة وأخذ يسترجع كل ما دار في الليلة الماضية، وبسرعة انحنت سارة عليه هامسة: الجميع

مهتمون بالأمر يا عزيزي، لكن التنبيهات تقضي بمنعنا من مناقشتك في هذا الأمر، قال سام الذي كان يدفع الكرسي الذي تجلس عليه زهرة: هذا الأمر في صالحك يا رام فبعض الأمور الأكثر أهمية من الأفضل عدم طرحها للنقاش كي لا تفقد أهميتها.

* * *

دخل رامي الغرفة الدراسية الخاصة بالأستاذ ماكس أستاذ الرياضيات وذهنه حائر، لكنه يريد أن يكون منتبهًا أثناء الدرس فقد تعلم مرارًا أن يرتب عقله فلا تتداخل الأمور فيقع عقله في التشويش فيخسر شيئين لا شيئًا واحدًا... كانت سارة تسير من ورائه في نفس الاتجاه ليتخذا مكانيهما أمام جهازي كمبيوتر من بين عشرين جهازًا موزعة في الغرفة الفسيحة، وحينما يتخذون أماكنهم يعيد كل طالب ترتيب الجهاز الذي يجلس إليه مدخلا بياناته وشيفرته الخاصة ليتمكن من فتح مخازن معلوماته الخاصة ظهر على الشاشة الضوئية الكبيرة التي على الجدار الكائن خلف الأستاذ عبارتان: الأولى: أول واجب تسلمه الأستاذ هو المقدم من التلميذ رامي مراد العبارة الأخرى: أفضل

إجابات تسلمها الأستاذ للطالبة: ناتالي عباس، خلال دقيقتين ظهرت على شاشة صغيرة جانبية عبارة: أفضل الإجابات في مجموعات الأستاذ ماكس كانت للطالب سام روبير بالصف العاشر في المستوى الثاني عشر رياضيات. امتلأت نفوس الطلاب سعادة وتهامسوا همسًا سريعًا متبادلين عبارات التهاني والثناء، ولم يزل رامي يتلقى هذه العبارات بوجه مبتسم ابتسامة مجاملة لمن حوله، والأستاذ ينظر لطلابه نظرة كلها زهو وهو يقول: أنا فخور جدًا بأن مجموعة من الفائقين ضمن طلابي، وسعيد لأن ناتالي حققت أفضل إجابات لواجب الأمس، همست سارة إلى رامي بابتسامة لا تخلو من غيظ مختلط بالسخرية: ليس لها أن تفرح كل هذا الفرح فهي في الصف السادس وما زالت تدرس رياضيات المستوى الرابع، كانت تهمس بسرعة لكن هذا لم يمنع أن تسمع صوت رامي الخافت جدًا وهو يقول بحزن وأسى: يبدو أنني تسرعت في إرسال إجاباتي إلى الأستاذ، فليس لدي غير خطأ واحد، لولاه كنت أحرزت الدرجة كاملة، لكن حظي العسر جعلني أخطئ في خطوة أفقدتني خمس درجات كاملة، ولم يشفع لي كوني أول من قدم واجبه، ردت سارة قائلة: مجموع درجاتي يقل عنها ثلاثة أرباع الدرجة،

لكنني أيضًا قدمت الواجب في وقت متأخر، هنا أشار الأستاذ بسبابة يده اليمنى هذه السبابة الطويلة النحيلة في إشارة إلى أن الدرس سيبدأ، تكلم الأستاذ بصوته الهادئ المهذب ونظراته الذكية التي يمكن من خلالها لكل من أمامه أن يدرك أن عقله لا يتوقف عن العمل رغم هدوئه وثقته وثباته.

* * *

مرت الأيام على رامي ثقيلة بين نظرات التلاميذ فمنهم المحبين الذين يريدون معرفة خفايا الأمور ومنهم من لا يميلون لرامي والفضوليون الذين لا يهمهم إلا الكلام، إن لهم من الصفات ما يجب أن يتخلوا عنها فليس من الجيد أن نتتبع أسرار الغير، وليس من الجيد أن نزعج الغير بكثرة الإلحاح عليه لمعرفة ما لا يخصنا، وهذا ما حدث مع رامي فقد تحمل الفضوليين كثيرًا بإلقاء بعض عبارات مثل: أنا بخير أو كل شيء على ما يرام، أو أن يقول: ربما تتكشف أمور في الأيام المقبلة... انزعج رامي جدًا حين قرأ في إحدى مجلات الحائط الإلكترونية عبارة تقول: رامي مراد أو رام كما ينادونه تلميذ فائق لكنه يشرع في

إضاعة هذا التفوق بالغرور الذي سيقضي على مستقبله في المدرسة فقد بدأ في إشاعة الذعر والهلع في نفوسنا، ونحن نطالب إدارة المدرسة باتخاذ إجراء حاسم حيال هذه الأمور التي أزعجتنا كثيرًا... حين رأى رامي التوقيع تحت هذه المقالة ابتسم في سخرية فالكاتب هو أيسر، وقد أدرك أن هذا السمين الكسول ينوي أن يشن عليه حربًا في المدرسة وقد وجد الفرصة لإثارة الشائعات وأن يكون محط أنظار التلاميذ فهو الآن يلعب دور الحريص على المدرسة وأمنها واستقرارها... صحيح أن رامي انزعج لكنه دائمًا على يقين أن الذي يشيع الكذب بين الناس هو أول من يؤذى بهذا الكذب... تمتم بينه وبين نفسه بعبارة أثيرة (من ظلم فإنما ظلم نفسه)

٣-التحقيـــــــــــــق

انفتحت غرفة مكتب المديرة ليدخل الأستاذ إبراهيم في هيئته المتثاقلة مرتديًا بنطالا وقميصًا أسودين غير أن القميص مخطط بخطوط بيضاء طولية، رفيعة، كان منحنيًا تلك الانجناءة البسيطة التي تميزه والتي تدل على أن هذا الرجل قضى عمرًا طويلاً منحنيًا على الكتب والدراسات وأنه يعيش بين الأوراق والكتب والأقلام، كانت علامات الإرهاق بادية على وجهه فظهر وكأنه فارق عمره الخمسيني إلى عامه الثمانين... تقدم مغلقًا الباب من ورائه، حاملاً في يده كتابًا يبدو عليه أنه جديد فلم يزل غلافه لامعًا بلونه البني والعنوان المحفور فيه... قدمته الأستاذة سالي التي كانت تجلس وراء طاولة مكتبها وعلامات الاهتمام بادية عليها... قدمته إلى الرجلين الغريبين الجالسين في المقعدين المقابلين لها، فنهض أحدهما معرفًا بنفسه، فعرفه الأستاذ إبراهيم من فوره، إنه السيد نبيل البابي عضو مجلس أمناء منظمة (إنسان بلا حدود)، وقد بدت عليه أمارات التقدير والتبجيل للأستاذ وهو يعرفه بالغريب الآخر ذي الجسد الناحل الذي لم يقف ولم يزح نظارته

السوداء عن عينيه ووجهه الشاحب المدبب الذي ينبئ عن أنه لم يبتسم في حياته مرة واحدة، إنه السيد بيتر توم المحقق في دائرة الأمن العام في الجزيرة... اكتفى بيتر بأن هز رأسه في تحية هزيلة خرجت من بين شفتيه الرقيقتين اللتين بدت عليهما علامات الإسراف في التدخين.

تقدم الأستاذ إبراهيم ليجلس في مقعد جلدي كبير بالقرب من السيد صالح الذي كان ينظر للجميع نظرات جامدة خالية من التعبير كأنه أنزل ستائر كثيفة تحول بين أفكاره وقسماته. وجه السيد توم كلامه مباشرة إلى الأستاذ إبراهيم بطريقة جامدة وبلا مقدمات وبدون لياقة:

ـ تقول السيدة سالي: إنك قد رأيت ما حدث هنا ليلاً منذ شهر.

ـ نعم رأيت.

ـ هل ترى أن تلك الجلبة التي حدثت كانت مبررة؟

ـ هل تحقق معي؟

كانت طريقة كلام السيد توم متعالية توحي بأنه يتهم من أمامه،

مما جعل الأستاذ إبراهيم ينفعل، وعليه تدخلت المديرة قائلة: أبدا يا أستاذ إبراهيم إن السيد توم قال بأن هذه الزيارة ودية لجمع المعلومات، اكتسى وجه السيد نبيل بلون أحمر دال على الخجل والحنق في نفس الوقت للأسلوب الذي يستخدمه المحقق مع عالم يقدرونه.

تابع المحقق كلامه قائلاً: أفترض أن العلماء يمكنهم رؤية ما لا يراه غيرهم ويستطيعون تفسير غوامض الأمور.

- أنا لم أر شيئًا غامضًا أيها السيد.
- أين كنت حين حدث ما حدث؟

بنفاد صبر قال الأستاذ إبراهيم: كنت أستعد للنوم، ولما سمعت الصياح هرعت إلى البهو، ثم إلى المرصد مباشرة.

- و الطفل الذي أخبروني عنه؟
- أنا أستاذ فلك وأعتقد أن السيد نبيل أخبرك.

سادت لحظات ثقيلة من الصمت شقتها طرقات على باب الغرفة، أمرت المديرة بالدخول، دخلت الأستاذة لينا، أشارت لها المديرة بالجلوس في صمت، أكمل توم كلامه قائلاً: يا أستاذ، معلوماتي

تفيد بأن الولد كان يصيح بأنه رأى مخلوقات غريبة فوق الحظيرة، فرد عليه الأستاذ إبراهيم هازًا رأسه كأنه يسخر ممن أمامه، ثم قال: ربما قرأ رامي هذا الكتاب الذي في يدي أو قص عليه أحد ما فيه فتخيل ما قال؟! أيرضيك هذا السؤال؟

ابتسم السيد بيتر موجها كلامه إلى السيد صالح قائلاً: حتى العالم يقول: تخيل، وأنت تسببت في إشاعة الذعر، ففغر السيد صالح فاه وكأن الكلام انحشر في حلقه الفسيح ولم ينطق مقلبًا نظره بين المحقق والأستاذ إبراهيم الذي كان مبتسمًا ابتسامة دالة على يقينه بأن هذا المحقق أتى رغمًا عنه، والدليل طريقته في توجيه السؤال للأستاذة لينا التي كانت تجلس في ثقة مرتدية بنطالاً أبيض وتي شيرت أزرق، لكنها أيضًا كانت حانقة على هذا المحقق الذي يتكلم متهمًا الجميع مقدمًا للسؤال بقوله: يقولون إنك مقربة من رامي، فهل رأيت عليه أية علامات غريبة؟ أو تصرف أمامك بطريقة توحي بمثل الحكايات التي يسمعها؟ أو أنه يتقمص شخصياتها؟ بثقة يخالطها الحرص أجابته قائلة: لا. أبدأ. إنه تلميذ مهذب، يتبع لوائح المدرسة، وصديق للجميع، ولم نعهد عليه الكذب.

كان صوتها الحاني الرقيق مختلطًا الآن بنغمة تدل على أنها خائفة على رامي من هذا الرجل التافه ثقيل الظل، الذي أخذ يستدعي أساتيذ المدرسة، يسألهم نفس الأسئلة التافهة.

عقارب الساعة تشير إلى تمام الواحدة بعد منتصف النهار، إنه وقت تناول الغداء، ولأن المديرة غائبة عن المطعم فقد اتخذ مكانها الأستاذ راضي المدير المساعد لشؤون الطلاب فقد كان هذا دوره في أن يحل محل المديرة إن غابت عن المطعم، وكان عدد من الأساتيذ ينظر إلى رامي بنظرات تتسرب من صمتهم الظاهر وحشود الكلام بدواخلهم، أولئك الذين مثلوا للاستجواب التافه من محقق ثقيل الظل، لكنهم لا يستطيعون مناقشة رامي بناء على التعليمات.

* * *

انتبه رامي ومن حوله أصدقاؤه إلى الأستاذة لينا التي أتت مهرولة لتنضم إلى طاولتهم، تشغل مقعدها المعتاد... هي الأكثر من بين الأساتيذ تشمل رامي بنظراتها الحانية، وقد تبينت أن المحقق تافه

لا يريد أصلاً أن يصل إلى نتائج مرضية لأن المعروف عنه أنه دائمًا يريد إغلاق القضايا على أقرب حدث دون الخوض في دقائقها حتى لو كانت النتائج ظالمة.

لم تجد الأستاذة لينا أي حرج في أن تخبر رامي أن المحقق يدير استجوابات حول ما دار في تلك الليلة، كما لم تتحرج في أن تظهر علامات الاشمئزاز من هذا المحقق، كما أبانت لهم عن موقف الأستاذ إبراهيم الذي سألت عنه سارة فأفادتها الأستاذة لينا بأنه مدعو لتناول الغداء معهم في مكتب المديرة، لم يستطع الرفض أمام إلحاح السيد نبيل البابي، نطقت اسمه وكأنه من المعتاد سماعه من رامي وفريقه، إلا أنهم في الحقيقة لا يعرفونه أبدًا، وهذا ما انتبهت له وهي تنتهي من تناول آخر ما في طبق السلطة الخضراء فعقبت مع ابتسامة بأنها ستحدثهم عنه في وقت لاحق فعلى رامي أن ينهي غداءه ويستعد فلابد أن المحقق سيستدعيه، وهمست إليه وهي تقطع قطعة من شريحة اللحم في طبقها: لا تتأذى من عجرفته وثقل ظله يا رام وإني لحزينة أن يتولى هذا التحقيق شخص لا يقدر المسؤولية... أدت هذه الكلمات إلى

اكتساء وجه رامي بحمرة الحنق والملل، وتعاركت في قسماته عبارات وأسئلة، كأنه يريد أن ينفي عن نفسه تهمة الجنون وإزعاج السلطات.

لم يكد رامي ينهي طعامه حتى وجد الأستاذ إبراهيم يقترب منه وعلى وجهه تلك الابتسامة المتسربة من الانشغال بالأفكار... وضع يده على كتف رامي قائلاً: هيا أيها المشاغب الجار للمتاعب، ثم ربت على كتفيه وكأن عينيه تفيضان الحنان. وكان رامي أحد القليلين الذين لا يرون الأستاذ إبراهيم رجلا جامدًا جافًا من المشاعر، لا يحب تكوين علاقات مع الآخرين، فابتسم له قائلا في نبرات فيها توتر: أنا لم أكذب يا أستاذ، لكنني في نفس الوقت لا أعرف ماذا حدث، ولا أستطيع أن أصف ما رأيت بالضبط, ودون أن تفارقه الابتسامة والثقة قال الأستاذ إبراهيم: كانت المديرة تريد أن تأتي لاصطحابك بنفسها، لكني فضلت أن آتيك أنا، ألا يفسر هذا لك أننا حريصون عليك يا بني؟

ـ أعرف هذا وأنا أحبكم جميعًا وأحب المدرسة وكل من فيها.

ـ ونحن نحبك يا رامي، لهذا لا تخف أو تتضايق من المحقق السمج.

ـ أنا لا أخاف يا أستاذ، وكذلك أنا لا أكذب.

ـ ونحن لا نريد أن تكذب، وأنا شخصيًا مهتم جدًا بالموضوع... هل تسمح أن أقود بك الكرسي؟

ـ بكل سرور يا أستاذ.

كان الأستاذ يدرك جيدًا أن الإقدام على مساعدة معاق أمر غير الذي يعتقده البعض، بل هو أمر حساس جدًا فالبعض يقدم مباشرة ودون إذن على المعاق آخذا بيده أو دافعًا به كرسيه، وهذا أمر محفوف بالغضب، حيث لابد من أخذ إذنه فمنهم الكثيرين جدًا الذين يعتدون بأنفسهم ويعتمدون على قدراتهم ويمارسون حياتهم كما يحبون.

كان الحوار الذي دار بين الأستاذ إبراهيم ورامي يحمل الكثير من الود و الاحترام المتبادل بين الاثنين، كما أنه بث الثقة في نفس رامي المنشغل بما سيجري في غرفة المديرة، لكن ليس بنفس القدر الذي يشغله أمر التجربة التي مر بها تلك الليلة وما تلاها من أيام، وأمر آخر يشغله وهو تسرعه في تقديم واجب الرياضيات لأنه أدرك أن التسرع

وحده هو ما أوقعه في ارتكاب الخطأ، لكن هذا كله أيضًا لم يمنعه من التعبير بنظرات الحب والامتنان للأستاذ إبراهيم الذي يعبر به البهو الكبير الآن في طريقهما إلى المصعد، وعند الباب وبلغة المتعجب قال: ألست معي يا رامي أن ما قلته يمكن أن يكون خيالاً؟ فالتفت رامي إليه وقد تفجر وجهه بالدهشة والحيرة معًا وقال: لا أعرف، لكنني رأيته يمد أسلاكًا أو حبالاً في الحظيرة، فحك الأستاذ إبراهيم رأسه بسبابته التي غاصت في شعره، وهز رأسه في حركة توحي بقبوله ما قال تلميذه، ولم يعقب.

ارتطمت نظرات رامي بعيني السيد صالح اللتين أخرجتا وحشين ارتعب لهما قلبه، فهو لا يشعر بأي ود تجاه هذا الرجل الذي قال بمجرد أن رآه في أسلوب تختلط فيه مشاعر الاضطراب والخوف والعدوانية: رامي مراد، هذا هو رامي مراد، كانت المفاجأة حين قام السيد نبيل البابي عن مقعده مستقبلاً رامي في ترحيب واحتفاء مادًا له يديه كما يستقبل الصديق صديقه بعد غياب طويل، وأردف قائلاً: أهلاً بأصغر سفير في العالم، يسعدني أن أخبرك أننا جميعًا في منظمة (إنسان بلا

حدود) نقدرك ونحبك ونتابع أخبارك باستمرار، ومما زاد من سعادتي ما أخبرتني به الأستاذة سالي من أنك كنت مساعد الشاب النجيب: سام روبير في تجاربه الأخيرة... اختلطت ابتسامة رامي بالدهشة وزالت عنه الرهبة التي كانت قد وقعت في نفسه إثر نظرات وكلمات مدير أمن المدرسة، وتداخلت على لسانه عبارات الشكر التي يريد أن يرد بها على السيد البابي، غير أن كل هذا لم يمنع عينيه من التردد بين البابي والمحقق والمديرة التي بدت عليها علامات الضيق والتملل الممتزجين بالجد، وبمجرد أن انتهى ترحيب السيد نبيل برامي أشارت إلى المحقق قائلة: تفضل يا رامي، هذا السيد بيتر، جاء ليحقق في أمر أنت تعرفه، و بوجه جاف صلب استقبل المحقق رامي سائلاً:

ـ أنت رامي مراد؟

وبعينين صامدتين لا تحملان أي تعبير أومأ رامي برأسه قائلاً:

- نعم.

ـ في أي صف؟

ـ الرابع.

ـ يقولون: إنك من الفائقين؟ فهل أنت فائق؟

ـ نعم أنا فائق، وأحصل على تقديرات ممتاز.
ـ لكنك تثير الشغب أحيانًا. صح؟
ـ لا. من قال لك هذا؟ أنا أحب كل زملائي.
ـ فبم تفسر ما فعلت وما قلت؟
ـ كان الحقيقة يا سيدي.

كان التوتر قد ملأ نفس رامي، فأعادته نظرات الأستاذ إبراهيم إلى حالة الثقة والهدوء التي كانت لازمة في مواجهة هذا الذئب الذي يستميت لتثبت ضحية بين مخالبه لينهي الأمر الذي أجبر على إنجازه.

ـ وماذا رأيت؟

ـ رأيت مخلوقا ليس مثلنا عالقًا في الفضاء فوق الحظيرة يمد أسلاكًا أو حبالاً في جوف الحظيرة، وحين رأيته هممت بالإسراع نحوه وصرخت أطلب النجدة للخيول لكن الجميع لم يصدقوني وحالوا بيني وبينه، وبينما يمنعني الجميع كنت أصرعلى أن أواجهه ولو بمفردي، وحدثت الجلبة وواجهني الحراس، وكان المخلوق ينظر نحونا في ثقة الواثق أن أحدًا لا يمكن أن يراها واستمر في عمل لم أستطع أن أعرف ما هو،

حين أدرك هذا المخلوق أننا ربما رأيناه بدأ تسحب ما يمده ويرتفع في الفضاء من جديد مختفيًا عن نظري، وما زلت خائب الأمل إلى هذه اللحظة التي تكلمني فيها وأعرف أنك لن تصدقني بل وأعرف أنك ستسخر مني. هل تسخر مني الآن؟

المحقق لم يرفع عينيه من وجه رامي وشعر رامي بما يقول أنه سيأسر عقل هذا المحقق لأنه يقص عليه ما حدث بالتفصيل لعله يوقظ ضميره ويتعامل مع القضية بجد وهمة، إنه يثيره بأن قال له: أعرف أنك ستسخر مني، ويسأله كي يحيل انتباهه إلى ما قص عليه لا إلى أن يسخر منه ومما يقول، والمحقق يجتهد في ألا يستثار لطرف الصبي، إنه يجتهد ليبقى في جوه النفسي الجامد، فلا يميل ناحية الاقتناع بالقصة التي تلقى على مسمعه بالتفصيل الذي رآه مملاً وأنه من اختلاق طفل قالوا إنه مجتهد وبارع في أداء ما يكلف به، لهذا صنع ابتسامة باردة ودهن بها وجهه واستلذها بين شفتيه ومن خلالهما عاود بث الفتور والملل في نفس رامي وهو يقول له: أتريد أن تقنعنا جميعًا أنك الوحيد الذي يرى هذه المخلوقات من بين كل من في المدرسة، إنك تريد حتى

أن تثبت فشل القوة التي أرسلت للتصدي لمن أرسلوا رسالة التهديد إلى مدرستكم، والتفت يجول بعينيه في كل الوجوه منتهيًا بعيني المديرة يهمس بصوت مسموع: يبدو لي أننا سنبدأ مرحلة من التخيلات والأوهام ونشر الشائعات من خلال هذه المدرسة التي قد تفقد سمعتها بسبب كل من فيها، أما المديرة فقد رشقته بنظرة مستنكرة حادة وكأن عبارة طرده من مكتبها كانت قد استعدت للانطلاق من قلبها إلى وجهه الجامد، الحاقد، متمالكة نفسها همست هي الأخرى بصوت مسموع: ستبقى المدرسة على حالها محتفظة بمكانتها ومشروعها، وعلى كل منا أن يلتزم بما هو مكلف به، وأنت هنا لتتقصى الحقائق وتحمى حتى ذرات الغبار المتطاير هنا، وليس لتوجيه الاتهامات إلينا، فالسلطات التي كنت تكلمني عن أننا نزعجها ليست موجودة من حال الأصل إلا لتحمينا من أن يزعجنا أحد.

البرود امتزج بالنزق في أنف المحقق والتفت بكل جسمه نحو رامي، رافعًا نظاراته السوداء عن عينيه اللتين أرشقتا مباشرة في عين الصبي. تصارعت في وجهه نظرات الموجودين، فريقان من العيون

يتصارعان على وجهه وعينيه وفي عقله وقلبه، وشعر أن أنفاس المحقق اجتازت كل الفضاءات التي تفصل بينهما لتلهب وجهه وتعبث شادة شعر رأسه تكاد تقتلعه من جذوره فرد قائلاً: أنا لا أكذب ولا أحب الكذب يا حضرة المحقق، ارتفع صوته دالاً على غيظ وحقد وتقوس في مكانه كقط بري يستعد الآن للوثب على فريسة في مرمى مخالبه وأنيابه وهو يعقب: ولا أحب أن يسخر مني أحد، فما لك إلا أن تصدق أو لا تصدق، أما أن تقتنع أو لا تقتنع فهذا أمر يرجع لك أنت وليس مثلي من يعلمك هذا.

في حركة وئيدة كان المحقق يستعيد وضعه الأول على المقعد ممتقع الوجه لاهث الأنفاس غارقًا في الدهشة، فليس الذي يتكلم الآن طفل الحادية عشرة وإنما هو شخص لم يحسب حسابه، شخص فاهم يعرف كيف يقتنص الفرصة، ويعرف ماذا يقول، شجاع لا يخاف، معتد بنفسه، يشعر بالأمان بين هؤلاء الذين لا يطيقهم المحقق لكرهه للعلم وما يسميه مماحكات العلماء الفارغة الذين يزعمون أن العالم قابل للإصلاح وأنهم من خلال هذه الأبنية وهذه الأخلاط من الأطفال والأولاد يمكنهم خلق جيل يعيد التوازن للفكر والأخلاق والمعتقدات،

هذا هو الرجل الذي عرف عنه أنه يبطش بالمجرمين، ليس لأنهم مجرمون، وإنما ليحسب كل الناس ألف حساب له ولا يقترب أحد من مقر عمله شاكيًا أو مشكوا عليه، مدعيًا أن سوء المعاملة ممن يملك السلطة للناس يمنعهم من ارتكاب الهفوات الصغيرة كما يمنعهم من ارتكاب الجرائم الشنعاء تمامًا... بلا وعي مد يده في جيب الجاكيت الرمادي الذي يلبسه مخرجًا علبة سجائره، فسقط في نظرات المديرة المعنفة له دون كلام فأعاد السيجارة التي كان يسحبها إلى مثواها في العلبة متأففًا، يقطر وجهه الغيظ... أشاح السيد صالح بوجهه مع ابتسامة ساخرة من المحقق الذي حاول تمثيل الهدوء بإعادة الأسئلة على رامي: هل قرأت كتابًا اسمه... اسمه... اسمه... لقد نسي اسم الكتاب، وكيف يتذكره وهذه الأمور لا تعنيه، إنه ربما لم يقرأ غير عناوين ملفات القضايا التي تصله لينجزها ببرود غير معتبر العدل... نظر نظرة سائلة للأستاذ إبراهيم وكان يهم بالضحك لهذا المشهد المسرحي لممثل ضعيف لم يحفظ دوره وينتظر أن يلقنه الملقن العبارات، لكنه تماسك وأعاد عليه اسم الكتاب بهدوء شديد، قرأ اسم الكتاب كلمة كلمة بصوت المعلم المحفظ لتلميذ كسول: وحوش... الغابات... الكونية.

لم يكن رامي قد سمع باسم هذا الكتاب من قبل، ولم تأت مناسبة علمية يناقش فيها موضوع يحمل هذا العنوان، الغابات الكونية فكرة مطروحة علميًا، نظريًا، قد يكون مر به هذا الاسم مرورًا عابرًا وقد لا يكون قد مر به أو بزملائه وإلا لكان قد ناقشهم فيه، ومن أين للمحقق أن يعي هذا أو يعرفه؟ إنه يكرر عليه السؤال بسرعة قبل أن يفلت منه الاسم مرة أخرى: هل قرأت كتابًا اسمه: وحوش الغابات الكونية؟ ورد عليه رامي بهدوء شديد نافيًا أن يكون قرأه، صاحبت رده نظرات متفحصة في وجه أستاذه الذي يعرف بهذا الكتاب، يمسك بزمام نفسه فلا ينفلت منه السؤال لأستاذه عن هذا الكتاب وما إذا كان موجودًا بالفعل... لم يستطع، حاول، سيطر، استنشق كل الهواء، زفر، انتفض انتفاضة خفيفة، في النهاية انطلق منه السؤال موجهًا للأستاذ إبراهيم، ولم يزد الأستاذ في الإجابة عن أن قال: نعم. نزلت نعم في أعماق عقل الصبي، في قلبه، في كل الأسئلة التي كان يطرحها على نفسه، في لحظات بدأ يسترجع كل ما رأى، يستحضر المشاهد كلها، عادت إليه المشاهد الهاربة من ذاكرته نتيجة للضغوط التي لا يحتملها ذهن طفل في عمره، تحول إلى صخرة راسخة مستقرة على مقعد متحرك،

أغمض عينيه ثم فتحهما كمن فزع من نوم عميق أو كمن يطرد عنه نومًا هجم بغتة على جفنيه، امتقع وجهه، إنه الآن أقرب إلى تصديق كل ما رآه، بل إنه قال: فلماذا لا تصدقونني؟ يعتقد أنه يهمس بالسؤال لكن في الحقيقة هو صرخ به في وجوههم، هل صرخ؟ بل كان يقاوم البكاء الذي انحشر في حلقه، التفت الجميع نحوه، خافوا عليه في هذه اللحظة، حتى أن المديرة قامت من مكانها مسرعة تقدم له كوب ماء بلل به شفتين صغيرتين جفتا فجأة، ضمته إليها كأقرب ما تكون الأم من ابنها، تململ المحقق في مكانه، لم يترأف بحال الفتى المستعد الآن لأن يتحدى الجميع، باغته بالسؤال:

ـ هل تقرأ قصصًا خيالية يا رامي؟

عقد رامي ذراعيه على صدره، استعاد ابتسامته البريئة الرقيقة المستمدة من ابتسامة المديرة التي كانت تتحرك إلى مكانها، نطق بهدوء الواثق: أستاذ تاريخ العلم دائمًا يقول لنا: الخيال هو نقطة الانطلاق للعلم، الخيال سابق على كل شيء، منذ التحقت بهذه المدرسة أدركت أن ما يكرره هذا الأستاذ علينا قاعدة كل الطلاب يتعاملون

بها وينطلقون منها، الخيال هو الخطوة الأولى، في المختبر، سام يقول ـ بينما أعاونه ـ لنتخيل أن هذه البكتيريا ستتكاثر... وتتكاثر... لنتخيل أننا زرعنا الفطر على رقائق من ورق قطني... وينمو... لنتخيل أننا لن نحتاج في ريه إلى أكثر من أبخرة بكتيرية... ويروى... لنتخيل أن البكتيريا ستخفف من انطلاق ثاني أكسيد الكربون بمعدلات عالية...

ألم يفهم المحقق؟ ظل فاغرًا فاه إلى أن سأل: ماذا تقصد، واتخذ رامي في هذه اللحظة هيئة الأستاذ وهو يقول: أقصد أننا نتعلم هنا، في هذه المدرسة أن كل ما وصل إليه الإنسان من علم ظل خيالاً حتى جاء من حولوه إلى حقيقة.

ابتسمت المديرة ابتسامة عريضة هادئة وكأن رامي بما يقول أثبت أن أسلوب المدرسة أسلوب ناجح، وأن تلاميذها يستوعبون ما يدرس لهم، أما المحقق فكانت له وجهة نظر أخرى مغايرة تمامًا ظهرت حين سأل رامي: هذا يعني أن ما قلته لهم وتكرره الآن ربما يكون خيالاً؟

كاد صبر رامي أن ينفد، ما به هذا المحقق؟ هل فقط يسأل ولا

يسمع؟ أيوحي له مقرًا بما قال وينهي هذا الأمر السمج، أم يناقشه ليصل معه إلى نتيجة؟ ألا يصدقون الصغار إلا فيما يريدون تصديقه فقط؟ لكنه لم يصدق أيضًا الكبار وضايقهم كلهم، فلماذا لا أنتقم لهم منه على طريقتي أنا؟ أنا أريد أن ينتهي هذا الأمر كله، أريد أن أختلي بالأستاذ إبراهيم، أريد أن أصعد معه الآن إلى المرصد فلابد أن لديه من العلم ما يحل به كل الألغاز ويخرجني مما أنا فيه، لا أريد أن أبقى لوقت أطول مع هذا الذي جاء ليعذبنا جميعًا... ألا يكفيه ما نحن فيه وأن المدرسة مهددة من النجمة السوداء؟ لابد أن هذا الرجل متعاون مع أعضاء جماعة النجمة السوداء... ماذا لو قلت هذا الآن؟ ماذا لو رميته بهذا التهمة؟ هل يرتدع ويهرب من أمامنا مذعورًا لأنني كشفت سره؟ لكن الجميع سينهرونني وسيجد فرصته لأن يثبت أنني كاذب وسيعمم هذا الرأي على كل كلامي فلا دليل عندي على أنه ينتمي للنجمة السوداء، وهو ينتظر فرصة ليقتلني لأنني أزعجه وأحرمه من الكسل الذي يحب أن يعيشه... انقض المحقق ساقطًا في هذه الأفكار مخرجًا رامي منها بسؤال:

ـ هل تشاهد أفلام الأساطير والخيال العلمي يا رامي؟

لمعت عينا رامي وابتسم حتى بانت أسنانه وأجاب:

ـ أحيانًا حين يكون.

ـ هل تشاهد أفلام الكبار؟

ـ وهل أنت مقتنع بإجابتي السابقة؟

ـ ماذا تقصد؟

ـ أقصد أنك تسأل ولا تنتبه للإجابة يا سيدي.

ـ ماذا تقصد؟

ضحك رامي ضحكة بها ما يفضح السخرية وقال: ماذا أقصد مرة أخرى؟ أقصد أن خيال مضافة للعلم في سؤالك... خيال علمي... تخيل بالعلم... نتخيل ما سيكون بالعلم... قاطعه المحقق مكررًا عليه السؤال السابق: هل تشاهد أفلام الكبار؟ وأقصد أفلام الرعب تحديدًا. نقل رامي بصره بين الحاضرين، وابتسامة عريضة تملأ وجهه، الدهشة تغمره الآن، لكنه ببساطة شديدة يجيب: أعتقد أن أفلام مصاصي الدماء كانت مرعبة فيما مضى، كذلك أفلام المبعوثين من الموت، هل لك أبناء يا حضرة المحقق؟

دهش المحقق بيتر لهذا السؤال الذي باغته به رامي دون سابق إنذار، انطلق الحقد من عينيه ليملأ المكان وهو يجيب من تحت أنفه: نعم. ولد وبنت، ابتسم له رامي من جديد وهو يسأله: في أي المراحل التعليمية؟ فأجابه بلا مبالاة في الثالث والرابع، لم يترك له رامي فرصة للانفلات من هذا الشرك لهذا كرر عليه نفس سؤاله: هل يشاهدون أفلام الكبار؟ أقصد ما أطلقت عليه: أفلام الرعب؟

تبادل كل الجالسين النظرات لثوان مما جعل بيتر لا يجد فرصة للتملص من الإجابة قائلاً ـ وقد احمر وجهه الذي كان جامدًا ـ وهل تخلو منها القنوات؟ وهل يرون المخلوقات الغريبة؟ هذا سؤال رامي الذي جاء بصوت هامس، صوت اخترق المحقق حتى آخر قلبه، سقط في عقله مباشرة وبلا رحمة، شعر بالنار تجري ما بين لحمه وعظامه، قام واقفًا كأن ثعبانًا نهش عرقوبيه ناهرًا الجميع: ليس هناك أدلة على أن ما قاله هذا الصبي حقيقي أو أن له صلة من بعيد بالحقيقة والواقع، إنه يكرر كلامًا يراه في الأفلام ويقرأه في القصص والروايات الخرافية، ولا يريد غير لفت الانتباه إليه، يبدو أنه يبحث عن دور له بين الطلاب

الفائقين أو لعله يبحث عن دور تمثيلي بين المشاهير، كانت أرنبة أنفه تتحرك في ذعر، أصابعه ترتجف فاضحة غيظه من الصبي الذكي ومما هو فيه من حرج، أردف قائلاً في محاولة جادة إلى إعادة الأمور إلى نصابها: لا أستطيع أن أخالف القانون أو أخرق قواعد عملي وإنني مضطر إلى إكمال التحقيق والتقصي حول ما قاله رامي مراد الطالب في الصف الرابع وأعتبر الموضوع كلامًا حول ظاهرة كونية غريبة، لهذا أحيل الأمر إلى (مركز المجامع العلمية) لإبداء الرأي لنتمكن من البت في الموضوع.

رفع جهازًا صغيرًا بحجم يد رامي، وقدمه له طالبًا أن ينظر فيه في بؤرة محددة، ففعل، بعد بضع ثوان نطق الجهاز بالبيانات الشخصية لرامي كاملة مسبوقة بعبارة أقر أنا رامي مراد، ومن بعد البيانات عبارة بأنني قلت كل ما ورد في هذا الملف أمام المحقق بيتر توم وبحضور السيد نبيل البابي والسيدة سالي بيكر وأنا مسؤول عن كل ما قلت، عرض بيتر الجهاز على المذكورين ففعلا مثل رامي تمامًا ثم نطق الجهاز بعبارة: تم في ساعته وتاريخه وحفظ الملف غير قابل للتعديل بالزيادة أو النقص وأثبت في حهات الأمن العام والتحقيقات، وسيجرى اللازم.

كانت ساعة الكتابة قد بدأت منذ عشر دقائق حين وصل رامي إلى القاعة المخصصة، سارة في مكانها من بعيد تتابع الحديث الذي يدور بين رامي والأستاذ جاك أستاذ الكتابة الإنجليزية، الذي كان يستفسر منه عن سبب تأخره بطريقة العارف بالأسباب، ورد عليه رامي بنفس الطريقة مما جعل الأستاذ يخفت من صوته قائلاً: أعرف أنه ليس الإنسان المناسب لمثل هذا العمل، لم تفارق الابتسامة وجه الأستاذ وهو يشير إلى اللوحة المعلقة والمكتوب عليها: أفضل واجب كتابة قدم هذا الأسبوع هو للطالب: رامي مراد بالصف الرابع، ابتسم رامي حين قرأ، لكن السعادة لم تستطع قهر الحزن المسيطر عليه بعد لقائه بالمحقق... تناول الأستاذ كتابًا عنوانه (معارك بلد الأبطال) وقدمه لرامي فتناوله، ودفع بكرسيه نحو الطاولة التي يجلس إليها يوسف وسارة... فتح رامي الكتاب بعد أن حياهما تحية لا تحمل أي تعبير، فقد كان يريد تعويض الوقت الذي فقده من الساعة المقررة، فتح الكتاب، وجد البطاقة المحدد فيها الجزء المقرر للكتابة، تناول قلمه وأوراقه وبدأ النسخ من الكتاب... لقد اعتاد رامي أن يكون خطه جميلاً، منسقًا، وأن يلتزم قواعد الكتابة، وكانت هذه الساعة الدراسية

هي الوحيدة التي تجمع كلا من رامي وسارة بيوسف، وقد اعتادوا أن يكون العمل فيها مرحًا، إنهم تعلموا أن البساطة وروح الود تكفلان لأي عمل أن يتحول إلى متعة، وأن ينجز على الوجه الأقرب للدقة والإتقان... حاول يوسف تجاذب الحديث مع رامي بالهمس ليعرف منه ما دار، فاختصر رامي كل ما دار وما يشعر به في عبارة واحدة: تمنيت أن يكون المحقق هو الوحش الذي رأيت، قالها بسرعة وبصوت خافت ، جامد.

نسخ كل منهم المقرر له واطمأن رامي لأن خطه جميل ومنمق، وأنه أتقن استعمال علامات الترقيم كما ينبغي وفي أماكنها وبما تدل عليه، ومع هذا لم يقتنع بأنه الأفضل، فهو لم يستطع أن يبعد عن ذهنه قلقه وضيقه من المحقق الذي كان يريد فقط إثبات أنه مختل، أنه مجرد طفل يلعب يسيطر الخيال والأوهام... أثنى كل من يوسف وسارة على خط رامي الجميل وتنسيقه لموضوعه، وتوجهوا إلى الأستاذ جاكسون ليسلموه الأوراق، قالت سارة وهي تشكر الأستاذ: ننتظر الواجب الجديد في بريدنا، شكرهم الأستاذ، وغادروا القاعة إلى الممر الطويل بالطبق الثالث.

في المبنى (د) وقبل أن يفتحوا أي موضوع جاء صوت الإذاعة الداخلية معلنًا عن لقاء مفتوح مع السيد نبيل البابي في تمام الساعة الخامسة مساء في صالة المطعم، نظروا جميعًا في ساعاتهم: كانت العقارب تشير إلى الرابعة مما يعني أن ساعة واحدة تفصلهم عن هذا اللقاء، قال رامي دون أن ينظر إلى أحدهما: هل سمع أحدكما بكتاب اسمه وحوش الغابات الكونية؟ تبادل يوسف النظرات المستفسرة مع سارة التي كانت مندهشة للسؤال والعنوان، فهما لم يسمعا بهذا الكتاب من قبل، نظرات سارة تريد أن تقول لرامي: إن الأحداث قد تكون أثرت على عقلك، أما يوسف فضحك ضحكته المرحة المعتادة قائلاً: يبدو أن حكاياتي عن لعنة الفراعنة التي لم يصدقها أحد أثرت على صاحبنا فخرجت من المقابر والأهرامات إلى العالم الخارجي، فردت سارة مادة شفتيها: إن لعنة الفراعنة علم متقدم، قاطعها رامي قائلاً بين الجد والسخرية: يريد الأخ أن يقنعني أن السحر هو السبب يا سارة... توقف المصعد في الطابق الثاني، انفتح الباب، ليدخل عليهم سام وقد أهل قائلاً: سارة تتحدث العربية؟ فردت عليه بالإسبانية وهي تضحك: عربيتي أحسن من عربيتك سيد سام، فرد عليها بالإسبانية:

إسبانيتي أفضل من إسبانيتك يا صغيرتي العزيزة، عقب يوسف قائلاً: اشكرها لأن أمها هي التي تمدك بالكتب التي علمتك الإسبانية... كانت سارة مبتسمة مشرقة وهي تشير بإبهام يمناها إلى صدرها في زهو جميل وشموخ... كانوا أثناء الحديث قد اجتازوا الممر إلى الممشى حول ساحة العروض، رامي طوال هذا الوقت سابح في أفكاره كأنه لا يريد أن يخرجهم من حالة المرح التي يعيشونها بعد يوم دراسي حافل بالجد والعمل، علاوة على أنه يدرك أنهم مهمومون بموضوعه وأن الذي هم فيه لحظة طارئة فهم شركاؤه في المعاناة التي يعيشها، إنه مشفق عليهم من أن يتحملوا معه أو عنه المعاناة بالأفكار وعدم تصديق المحقق له، لهذا كله هو صامت يوجد لنفسه مساحة من التصورات والأخاييل... من الخلف نقره سام نقرة خفيفة في مؤخرة رأسه قائلاً: وماذا عنك يا أيها العبقري؟ ابتسم رامي ابتسامة المتفكر دون أن ينظر إلى الخلف سائلاً إياه: هل سمعت بكتاب اسمه وحوش الغابات الكونية؟ ببساطة شديدة أجابه سام: قرأت أخبارًا عنه منذ شهر تقريبًا، قيل إنه كتاب يثير الجدل في الأوساط العلمية، أثار هذا الكتاب حفيظة المؤسسات الفضائية، وهم ممتعضون جدًا من المعلومات والفرضيات التي يطرحها

الكتاب، وقرأت أن كبريات الشركات العالمية، واتحادات الصناعة ثائرون على الكتاب ومؤلفه لأن ما ورد فيه يهدد أعمالهم ونشاطاتهم، والمحافظون قائمون ضده بحملات تجريح وتكذيب لأنه يأتي بأوهام تخالف ما استقرت عليه الأعراف في كل شيء، ونعتوا المؤلف بالجنون والخرف وإثارة البلبلة الروحية. كان رامي يستمع لصديقه بصمت بالغ، وعقل متيقظ، كان قلبه يخفق مع كل كلمة، وعيناه تلمعان، أما سارة ويوسف فكانا يلتقطان أنفاسًا مستغربة ما يقول سام، فهو لم يخبرهم بما قرأ من قبل، وينظران ملء أعينهما لرامي والبادي عليهما أن رامي قد يقفز الآن صائحًا في الجميع بعبارات تؤكد أنه يعرف أكثر مما يعرفون، أو أنه سيدفع بكرسيه جريًا إلى كل من في المدرسة مؤكدًا أنه على صواب والمحقق على خطأ... حين قطع سام الكلام بصمت طلب إليه رامي أن يكمل حديثه دون أن ينظر لهم، بقي على جلسته لم يغيرها ولم يغير من وضع رأسه ونظره الرامي إلى البعد، الرامي في مسافات بعيدة وأمكنة غير التي يرونها، أمكنة لا يعرفها، يحاول أن يرسم لها خارطة، ومخلوقات يحاول أن يجسدها وينتظر ما سيقوله صاحبه لتكتمل له الصور، وخاب أمله حين رد عليه سام بأنه لا يعرف أكثر

من ذلك لأن هذا الذي نشر فقط وانقطع النشر بعد يومين متتاليين من النشر المتوالي في العديد من الصحف حتى أن الدوريات العلمية لهذا الشهر لم تورد أي شيء عن الكتاب أو عن صاحبه... هذا آخر ما سمعه رامي من صديقه قبل أن يندفع بكرسيه بسرعة، بأقصى سرعة، بكل ما يملك من طاقة، بكل ما يملك من غيظ، يندفع إلى الأمام، يريد أن يطير، أن يخترق الفضاء، أو أن يغوص في الأرض... أصدقاؤه في ذعر لما حدث، شهقوا بقوة، سارة صرخت صرخة مكتومة، سام ينادي، يوسف تجمد لم يبد رد فعل غير أن اتسعت عيناه، ورامي يدفع، ويدفع، ويدفع العجلتين، يدور في دوائر متداخلة بلا توقف، بلا صوت، بلا همس، بوجه جامد كصخرة ترد طلقات من مدافع دون أن تحفر بها ندبة واحدة... أفاق سام من اندهاشه وبصوت مذعور أخذ ينادي رامي دون أن يجيبه، على ما يبدو كان يحاول بما يؤدي من حركات أن يخرج من أفكاره، ومن كل النقاشات العقيمة التي مر بها... بعد دقائق توقف رامي مديرًا الكرسي باتجاه مدخل البهو الكبير، وجهه ممتقع والإجهاد أخذ يغطي ملامحه، مع تعرق خفيف، في اندفاعه نحو المدخل كاد أن يصدم ذلك السمين الشرير أيسر الذي

نزل الدرج بخطوات سريعة وكان يريد افتعال مشكلة مع رامي ورأى أن هذه قد تكون فرصة سانحة للإيقاع برامي وهو في انفعاله مما يعرضه للعقوبة أو حتى للإحراج خصوصًا وأن البعض ينظرون إليه الآن على أنه متهم... دقق النظر مع ابتسامة ساخرة في عيني رامي وهو يقول: هل اتفقت المجموعة المغرورة على كذبة كبرى وأنت بطلها؟ نل جزاءك أيها الكاذب المغرور... كان الثلاثة يتقدمون نحوهما مسرعين، وكان وصولهم مع إنهاء أيسر عبارته لرامي بقوله: فضيحتك ستملأ العالم وأعتقد أنك مفصول من المدرسة بلا شك يا رامي السخيف... انسحب أيسر وقد أمسك سام وسارة بكرسي يوسف الذي كان يحاول أن يندفع به صادمًا هذا السمين الحاقد على كل الناجحين، أوجعت العبارات يوسف، أخرجته عن شعوره، فهم أن يشتم، أن يضرب، أن يرتكب جرمًا من الممنوعات في المدرسة، أن يخرج من لياقته وأناقته المعروف بهما، أخرجه سلوك أيسر عن كل ما عرفه به أصحابه، وهذا موقف لم يحدث له من قبل، أوقفته نصائح سام بالتحلي باللياقة وعدم التلفظ بأي شتائم أو ألفاظ جارحة... لم ينطق رامي بأي كلمة، ولم يصدر عنه أي رد فعل غير أن فتح فمه وترقرقت الدموع في عينيه

حين قالت له سارة: هو شخص أرعن، لا يؤخذ بكلامه فلا تتأثر، كل من في المدرسة يعرفونك ويحبونك ويقدرونك، هز رامي رأسه هزات خفيفة توحي بموافقته لما تقول صديقته، وتوجه الجميع من فورهم إلى قاعة الطعام الكبرى.

كان طلاب المدرسة والأساتيذ ينتظمون في مقاعدهم حول الطاولات الممتلئة بالحلوى والعصائر، وقد أعدت منصة للسيد نبيل البابي في المكان المخصص لطاولة الخمسة عشر، توجه الأربعة مباشرة إلى الطاولة التي تجلس إليها الأستاذة لينا ومعها زهرة، وكان معهما الأستاذ جاك، والأستاذ ماكس، وماريا، انتظم الجمع بوصولهم، كانت ملامح رامي توحي بالاضطراب والضيق الشديدين، أخذ الجميع حول الطاولة يتهامسون محاولين إخراج رامي مما هو فيه، لكنه وكعادته يرد على همسهم بالابتسامة التي يعرفونها والتي لا تعبر عن السعادة أبدًا، مد الأستاذ جاك يده بكأس عصير لرامي قائلاً: سمعنا ما قاله أيسر أنا والأستاذة نادية بينما كنا في طريقنا إلى هنا وسينال عقابه فأنت تعرف لوائح وقوانين المدرسة يا عزيزي حيال السب والشتائم والألفاظ

النابية والاتهامات، تناول رامي كأس العصير، ووضعها أمامه شاكرًا الأستاذ، أشارت ماريا بيدها لهم مع صوت الأستاذة لينا التي قالت: ها هو السيد نبيل البابي، وكان يمر بين الصفوف بصحبة المديرة في اتجاههما إلى المنصة، وهناك تقدم هو بعد ابتسامة تقديم من المديرة له، مشيرة إلى المنصة، بينما اتخذت مقعدها إلى طاولة قريبة جمعتها بالمديرين المساعدين والأستاذ إبراهيم.

* * *

بدأ السيد البابي كلامه بتحية الجميع شاكرًا لهم حضورهم، مثنيًا على المدرسة وكل من فيها، وعلى النتائج التي يحققها الطلاب، ثم قال: من المعتاد أن يقدم للضيف، لكنني لست ضيفًا، وأنا واحد منكم ومن المجموعة الكبيرة حول العالم، تلك المجموعة التي تواجه وتتحمل الكثير وتواجه التحديات لأجل المستقبل الذي لا يتوقف، قد لا يعرفني الكثيرون ممن هم هنا، لكنني أكاد أعرفكم جميعًا، وقد انتهزت هذه الفرصة، وهذه الزيارة لألتقيكم، وأجلس معكم متحدثًا إليكم، في الحقيقة لقد انزعجنا جميعًا بسبب التهديدات التي تعلمون بها، وانزعجنا

أكثر بسبب الأحداث الأخيرة، لكنني الآن سعيد جدًا بأن التقيت العديد من الأساتذة، وسعيد لأنني التقيت رامي مراد، وأنا موقن أنه سيحقق إنجازات كثيرة فكل نتائجه وتقاريره توافق رأيي فيه بأنه من المتميزين، ليس في المدرسة فقط وإنما في المدارس الأخرى التابعة للمنظمة، ولقد رأيته وهو يتحدث ويناقش اليوم، وعرفت لماذا هو أصغر سفير في العالم، إنه يستحق، لم يكن انزعاجنا بسبب الأحداث فقط، فالنظام الأمني للمدرسة كفيل بأن يكشف أي هجوم عليها، أو محاولة الإخلال باستقرارها، أما السبب الرئيس لانزعاجنا هو أننا اجتهدنا وبحثنا وعملنا على أن نختار المكان الأنسب لمشروعنا، فكانت هذه الجزيرة التي تقع في هذا المكان المائز من البحر المتوسط، جوها مناسب جدًا وموجها هادئ، وشواطئها جميلة، كما أن موقعها جعل عدة موانئ ومطارات تخدمها، وقد واجهنا في فترة التأسيس تحديات قاسية، والمنظمة تحمل على عاتقها كل ما يترتب على هذه التجربة التي واجهت اعتراضات تساوي الاعتراضات التي تواجه فكرة تدمير العالم، أو قلب النظام البيئي مثلاً... ضحك السيد نبيل وهو يقول: ربما قلب النظام البيئي أهون على من عارضونا من أن تنجح تجربتنا،

والفضل في النجاح لا يعود للقائمين على المنظمة فحسب، وإنما يعود لكم جميعًا يا أبنائي، ولأسركم التي تتحمل معنا النتائج، وأنا اليوم لا أجد حرجًا في أن أقول: إننا مهما فعلنا، ومهما اجتهدنا لا يمكن أن نحقق أي شيء إلا إذا بذلتم ما في وسعكم، إلا إذا بقيتم على عهدنا بكم تؤمنون بأن المدرسة وطن لأنها تؤسس للوطن الكبير، إلا إذا قررتم أن تواجهوا أي خطر دون التخلي عن أصغر أو أكبر مبدأ من مبادئكم... جال السيد نبيل بنظره في وجوه كل الموجودين، ورفع كأس الماء، ارتشف منها رشفة، لم تفارق وجهه ابتسامة ذكية تكاد تكون قد وزعت على كل الموجودين، تنهد وهو يقول في صوت ضعيف هادئ واثق: مرة أخرى لن أتحرج حين أعلمكم بأننا لن نعترض على رغبة أي خائف من الأحداث التي تجد والتي ترونها خطيرة، لن نمنع أي أحد من البقاء في المدرسة أو مغادرتها نهائيًا، وكلامي موجه للطلاب والعاملين في المدرسة جميعًا، وفي اجتماعي غدًا بأولياء أموركم سأكرر عليهم هذا الكلام، لن أختم كلامي بشكركم قبل أن أكرر تحيتي لرامي مراد ولكل المبدعين والعلماء الصغار والكبار في المدرسة.

أنهى السيد نبيل كلمته بابتسامة وزعها على الجميع امتلأت بالبهجة والثقة في كل ما قال، التقت عيناه بعيني رامي الذي كان يتابع كل ما قال بابتهاج حاول من خلاله أن يزيل الهواجس والظنون والخوف الذي سكنه، كان كافة من في المدرسة يتنفسون الثقة والحماس بعد هذه الكلمة من هذا المسؤول الكبير، ينقلون نظراتهم بينه وبين رامي الفتى المتفوق الذي أثنى عليه البابي في كلمته في هذا اليوم الممتلئ بالاضطرابات والمفاجآت، إلا أن أيسر كان خارج هذا السرب، بل في سرب أخر من الحاقدين الكارهين لرامي ولكل الناجحين أن يكونوا محل الاهتمام، أما السيد صالح فكانت نظراته متجهة نحو أيسر تحديدًا، كأنه يحاول أن ينفذ إلى داخله بهذه النظرة الهادئة، الواثقة، الذكية، كما أن علامات الاطمئنان كانت بادية عليه بعد ذلك التوتر الذي تملكه أثناء وجود المحقق، مال على أحد الأساتذة إلى جواره قائلا: هكذا الأطفال يسببون المشاكل ويقع فيها الكبار، ولولا أن السيد بيتر توم إنسان عاقل لما انتهى هذا الموضوع، ولتعقدت الأمور أكثر وأكثر... استقبل الأستاذ كلامه بملل شديد ظهر في كلامه حين قال له: لا أعتقد أن الموضوع قد أغلق.

في قاعة الواجبات كان رامي يجتهد لإنهاء واجباته بعد يوم مليء بالأحداث، كان الإجهاد يدفعه لألا يكمل تكليفاته، لكنه أصر على أن ينهيها... استأذن أصحابه متوجهًا إلى غرفته لينام رافضًا انتظار موعد العشاء، فالنوم كان أهم من كل شيء

٤-لص المتنزه

في اليوم التالي اجتمع السيد البابي والمديرة بأولياء أمور التلاميذ اجتماعًا مطولا، حتى أن الطلاب تأخروا عن مغادرة المدرسة لقضاء العطلة الأسبوعية، أما رامي فقد تأخر عنهم جميعًا لأنه طلب مع ولي أمره إلى اجتماع خاص مع السيد نبيل البابي والمديرة، اجتماع خاص ضم أربعتهم فقط، كان السيد مراد منفعلاً جدًا وهو يكرر تنبيهات المحقق عليه واتهامه لرامي بالتخريف، وتحذيره من أن يكرر الولد ما فعله لأنه سيعتبره إزعاجًا للسلطات، إلا أن السيد نبيل بقي مبتسمًا، منتظرًا أن ينهي الوالد كلامه وأن يخرج من نوبة الانفعال التي أصابته... قال السيد نبيل: شعرت أن هذا المحقق نزق، ويريد التخلص من الموضوع، وقد علمت أنه لم ينجز في حياته قضية إلى آخرها فسماه الناس (ببيتر يحفظ)، وفي نفس الوقت أنا نصحت رامي أن يتريث في تصرفاته وفيما يقول كي لا يتهم بما اتهمه به المحقق هذا الاتهام الذي أنا غير راض عنه بتاتا، وسيكون لنا شأن وتصرف حاسم... اجتهد السيد نبيل ليغير محور الحديث مع السيد مراد بسؤاله: ما أخبار العمل؟

ـ جيد.

ـ بلغني أنك حصلت على ترقية الشهر الماضي.

ـ نعم.

ـ عليك أن تشكر رامي، ونحن نشكره أيضًا، فلولا ما يحققه من تفوق دائم لما كنا حظينا بك هنا، ولما كنت أنت على هذه الجزيرة.

ـ في الحقيقة نحن هنا سعداء.

كانت علامات الضيق تأخذ في التلاشي من وجه السيد مراد... بينما يتصافح الجميع قامت المديرة تتكلم مع رامي بابتسامة أمومية رقيقة وتنصحه بأن يقضي عطلة سعيدة بعيدة عن المشاكل... في هذه الأثناء كان السيد نبيل البابي يقدم بطاقة تعريف للسيد مراد قائلاً: إنه عالم فذ ورائع... نظر السيد مراد في البطاقة، رفع عينيه للسيد نبيل قائلا وأمارات التركيز بادية عليه: أعرفه، فرد السيد نبيل بعينين واثقتين: لا بأس من أن تزوره. أومأ السيد مراد بالإيجاب، مشيرًا إلى رامي لينصرفا فصافح السيد نبيل بامتنان وحب.

* * *

في الطريق كانت الأفكار تشغل كل عقل السيد مراد فاسم الدكتور أعاد له ذكريات متلاحقة، أهمها ذلك اليوم الذي انحدرت فيه العربة وفيها رامي على السلم الخارجي للبيت، فحمل مباشرة إلى الدكتور عمر الذي لاحظ أن لا كسور في رأس الطفل ولا في عظامه، وكأن ما علم من أحداث جعله يبحث في أمور كانت في عقله متفرقة... بدأ يركز في كل شيء، حتى أنه مع نفسه بدأ يفكر في جروح رامي التي تلتئم بسرعة، لكنه في نفس الوقت يربط بين ما في رأسه وما يرتبط بالفترة العمرية للأطفال فمن المعروف أن جروح الأطفال تلتئم بسرعة، كما أن أفراد الأسرة أصحاء وليس في تاريخ عائلتهم مصاب بأي أمراض غريبة.

كان رامي في هذه الأثناء جالسًا في المقعد المجاور لوالده، وقد غمرته السعادة بالسيارة الجديدة، هذه المفاجأة الجميلة التي كان أبوه قد أعدها له، والتي تمناها من فترة طويلة، المفاجأة السارة صرفت رامي كثيرًا عن الأحداث التي مر بها خلال اليومين السابقين، فطالما حلم أن يكون لهم سيارة كبيرة عالية، وها هي أمنيته تحققت، وها هو يركبها

إلى جوار والده، ينظر من نافذتها إلى الشارع، إلى الشمس والسماء، ينظر في الفضاء البعيد من خلال زجاجها الأمامي، ينظر إلى كل العالم من خلال أمنياته، وأحلامه، وما يريد أن يحققه من أحلام، من حلم إلى حلم تنتشله ملامح والده الدالة على استغراق أفكار كثيرة له، تأخذه بعيدًا عن اللحظة التي كان يعدها لابنه، ولا يقطعها غير تنهيدة تجمع من خلالها نظرة عابرة عينيه بعيني رامي فيتبادلا الابتسامة، ابتسامة رامي طفولية سهلة جميلة تمتلئ بالنور، وابتسامة الأب كلها أفكار وشرود، وينتبه عقل رامي إلى أن والده بالضرورة يفكر فيما قاله المحقق وما دار في المدرسة من أحداث، لذلك لم يحاول أن يقطع حبل أفكار والده، هو أيضًا لم يرد أن يدخل مع والده في حوار حول الأحداث كي لا يخرج من سعادته بالسيارة والاستعداد للعطلة الأسبوعية... مشتاق للبيت وغرفته ولما أعدته له أمه من أطعمة يحبها...

* * *

نبه السيد مراد رامي إلى العدد الجديد من مجلة (علوم التكنولوجيا المتطورة)... تناولها بسعادة وأخذ يتصفحها فوقعت عينه

على موتوسيكل، انبهر به رامي وتقافز قلبه، وانهمك في قراءة البيانات الموضحة للرسم، فدائمًا هو يحلم بامتلاك هذه الآلات السريعة، جميلة الشكل... ما قرأه أن هذه المركبة تتمتع بقدرات دفع عالية، ورغم الخطورة إلا أنها مزودة بوسائل أمان لا تتوفر لمركبة غيرها من نفس الفئة، كما أنها الأصلح للمطاردات بفضل المحرك النفاث الذي يمكنها من القفز لمسافات طويلة... التقت عينا رامي باسم مخترع المحرك النفاث فاستوقفه هذا الاسم، إلا أن والده في هذه اللحظة ابتسم له منبها أنهما وصلا إلى البيت... بينما تعبر السيارة الباب الأوتوماتيكي المخصص لها كان نظر رامي معلقًا بالحديقة التي يحبها، والتي كثيرًا ما ساعد والديه في تنسيقها وجز الحشائش فيها... رامي يحب النباتات والأزهار إلا أنه يحزن كثيرًا في موسم الذبول وتساقط أوراق الشجر، لهذا زرع والده الكثير من نباتات الزينة التي لا تذبل طوال العام ليظل ابنه سعيدًا بالأشجار والخضرة.

كانت السيدة مريم قد خرجت إلى الحديقة حين أحست بوصولهما وهي تعلم أن رامي يحب المرور بالحديقة قبل الدخول إلى

المنزل... استقبلتهما خارجة من المرأب فاتحة ذراعيها لاستقبال رامي في أحضانها، طابعة قبلتين على خديه ممتلئتين بحنان غامر كأنها لم تره لعام كامل، وبين أمواج هذا الشوق الغامر رأت في عيني السيد مراد نظرات غير معتادة، نظرات كلها أسى وحزن ودهشة لا لشيء تعرفه، رغم أنها كانت تعلم بالمكالمات التي دارت بينه وبين المحقق... كان السيد مراد ينزل كرسيه من صندوق السيارة الخلفي ويجهزه للاستعمال، وقررت السيدة مريم ألا تفتح أي نقاشات فالوقت ليس مناسبًا الآن إلا لاستقبال العزيز رامي، وإن كانت تتمنى أن تعرف كل ما دار في المدرسة والنتائج التي توصلوا إليها من الاجتماع الذي دعي إليه على غير العادة في هذا الوقت، تناولت مقبضي الكرسي المتحرك تدفعه جالسًا عليه ابنها في تفقد سريع للحديقة، رامي هو ثمرة عمرها، تعيش لأجله، تخشى عليه من أي شيء قد يؤذيه أو يحزنه، دائمًا كانت تتمنى ألا يبتعد عنها لساعة واحدة، ليس للحال التي هو عليها وإنما لأنه ابنها الوحيد.

* * *

دخل الثلاثة البيت الأنيق المرتب وقد فاحت فيه روائح البخور العطرة والأزهار الموزعة في أماكن متفرقة في تنميق جميل أخاذ، توجه

رامي من فوره إلى غرفته لتبديل ملابسه والاستحمام بعد يوم طويل، المعروف عن رامي أنه مغرم بالاستحمام، يحب الماء كثيرًا... كانت أمه أثناء ذلك تجهز العشاء وقد أقبل الليل يزحزح النهار عن السماء ليسكن مكانه مؤقتًا إلى حين، قد أعدت له وليمة استقبال من كل الأصناف التي يحبها، والمعروف عنه أنه يحب الخضر المسلوقة، وشرائح اللحم مع الفطر، وقبل هذا قد علمته أمه أن يتناول كوبًا من العصير قبل وقت من تناول الطعام الأساسي، كما علمته ألا يتناول الفاكهة بعد الأكل مباشرة لأن هذا مضر بالجسم... بعد العشاء، قام السيد مراد إلى غرفة مكتبه وخرج حاملاً لفافة أنيقة وبكل مرح قدمها لرامي وطلب بصيغة الأمر المرح أن يفتحها ليرى ما فيها، تناولها من والده وأخذ يفك اللفافة بحرص شديد، ليخرج منها الهدية التي كانت مفاجأة غمرته بالسعادة والدهشة في وقت واحد، فلا مناسبة ليحضر له والده هدية، كما أنه لم يقدم خلال الفترة السابقة ما يجعل والده يقدم له حافزًا كالمعتاد، لكن بالفعل كانت مفاجأة حين أطل له من اللفافة عنوان أدهشه، إنه: وحوش الغابات الكونية، إنه الكتاب الذي سمع به، الكتاب المرتبط بالأحداث الماضية والذي رأى نسخة منه مع

أستاذه بالمدرسة، الكتاب المرتبط بمن كانوا يعبثون بالحظيرة، والمرتبط بمن لا يصدقونه والذي قد يجد فيه التفسيرات وما يرد به على المكذبين له... تحرر رامي من أفكاره بسرعة قبل أن ينطق والده أو أمه، واقترب من والديه وقبلهما شاكرًا الوالد على أن قدم له هذه الهدية التي لا يتوقع أن يكون لها مثيل عند أحد من أصدقائه... وضع رامي الكتاب على الطاولة الصغيرة المجاورة وتبادل الأحاديث مع والدته التي كانت تستفسر عن سير دروسه في المدرسة، تريد فقط الخطوط العريضة لتكون فكرة شاملة عن أيام الأسبوع المنصرم، وتسأل عن تكليفات العطلة لعل فيها ما يحتاج أن تساعد ابنها فيها... كان رامي يتحدث إليهما وذهنه مع الهدية، يريد أن يختلي بالكتاب في غرفته ليعرف ما هي وحوش الغابات الكونية، ومن أين تأتي، والبيئة التي تعيش فيها، يريد أن يعرف لماذا هي وحوش، ولماذا أتت إلى حظيرة المدرسة، يريد أن يعرف هل هي من الكائنات القابلة للتعايش مع عالم الإنسان مع استقلاليتها كالوحوش في الغابات مثلاً، بل إنه يريد ابتداء أن يعرف ما المقصود بالغابات الكونية، هذا الاسم الكبير الذي لا يعني فقط محيط الأرض بل يتخطاه إلى ما هو أبعد بكثير، ربما يتجاوز

حدود المجرة التي تضمنا إلى الكون الفسيح المكون مما لا نعرف منه إلا القليل.

في غرفته جلس رامي إلى مكتبه الصغير، وكما علمه والده أن يبدأ بقراءة العنوان واسم المؤلف ومقدمة الكتاب، لفت اسم المؤلف انتباه رامي، إنه مؤلف انجليزي اسمه ت.م. طومسون، ترجمة البروفيسور ج.أ. تمام، أخذ رامي يقرأ المقدمة التي أشار فيها المؤلف إلى أن الرسوم الواردة في هذا الكتاب بعضها يمثل تصورات عالم، والبعض الآخر يعبر عما التقطته مناظير الأقمار الاصطناعية، وما رسمته مخططات الأشعة وأجهزة تحسس المسارات الحرارية في الفضاء الخارجي، وقد أشار المؤلف في هذه المقدمة إلى أن الرادارات العسكرية والمدنية لا يمكنها رصد هذه الوحوش لهذا فإمكانية وصولها إلى الأرض أمر وارد، بل يمكنها أن تتحرك بيننا دون أن نراها أو نرصدها والسبب الرئيس هو سرعتها الفائقة، ولأن أجسادها تشتمل على مواد مشوشة، وذات قدرة عالية على الشعور بالإشعاعات فتطور نفسها تلقائيًا لتخالف موجات الأشعة الراصدة، كما أن لها القدرة على توليد صور مضللة، تضلل أي

نظام رصد سواء من أجهزة الأرض أو من أجهزة الفضاء، ورغم كل الاتفاقيات المبرمة بين الهيئة العالمية لعلاقات الفضاء والمنظمات الكونية إلا أن كل هذه الأنظمة لا تجد حلاً لمشكلتنا مع وحوش الغابات الكونية، المشكلات لم تقع إلى الآن لكن حدوثها صار في حيز الممكن، ومما جاء في المقدمة أيضًا الحديث عن أن هذه الغابات المنتشرة بمساحات شاسعة في الفضاء تزداد اتساعًا، وهذا سيؤدي إلى إحداث مشكلات جسيمة تواجه الرحلات إلى الفضاء الخارجي في المستقبل ليس البعيد، كما أن هذه الغابات، وهذه الوحوش تحتاج إلى قدرات إبصار عالية لا تتوفر للعين البشرية أو حتى لعيون الحيوانات والطيور الأرضية، ولم تحقق المناظير والتليسكوبات المتطورة نجاحًا يعتد به لرؤيتها وتحديدها بالصورة التي يطمئن العلم لصحتها، وهذا يجعل الكثيرين يصرون على أن هذه الغابات ووحوشها خرافة لا يستقر لها العقل... لفت انتباه رامي أن ثاني أكسيد الكربون المتصاعد من الأرض، ونواتج التجارب النووية هي عناصر منشطة للغابات ووحوشها لهذا فالظاهرة تقترب من الأرض أسرع من ذي قبل محدثة أضرارًا جسيمة.

قضى رامي ليلته مع الكتاب، يقرأ المعلومات عن الوحوش الكونية ويتأمل الصور والمخططات التي وضعها المؤلف، وفي نفس الوقت يفكر في اسم المترجم والذي يرتبط بالموتوسيكل الذي أبهره... شعر أن النوم يقتحم عينيه، فتوجه إلى الحمام، فغسل أسنانه، وبدل ملابسه، وعاد ليفتح النافذة ليتأمل السماء ويجول ببصره فيها، ينقله بين النجوم المتلألئة، متمنيًا أن يملك علمًا أو سحرًا كالذي حدثه عنه يوسف يمكنه من الوصول إلى ما وراء ما يرى ليصل إلى تلك الكائنات التي كانت تريد إيذاء الخيول التي يحبها، بل والتي تريد الإضرار بمدرسته وبمن يحبهم فيها... كان يوسف قد كلمه عن علم الفراعنة وعلوم قوم عاد وقوم ثمود، لكن تركيزه الأكبر كان حول علوم الفراعنة التي لم تزل تبهر العالم، ولم يفصل بين هذه العلوم وإمكانية أن يكون الفراعنة استخدموا السحر في حياتهم... لم يكن رامي يعول كثيرًا على مسألة السحر التي تريح الكثيرين لتفسير الأمور التي لم يتحقق العلم من صحتها، أو تلك المبتكرات التي لم يؤسس لها العلم الحديث... دخل إلى فراشه، والصور متتابعة أمام عينيه وما قرأ من معلومات يدور في عقله، مرتبطة بآراء المؤلف طومسون، وتمنى في هذه اللحظة أن

يراه ويعرف منه أكثر مما كتب في كتابه. في غمرة التفكير تقلب في كافة الاتجاهات حتى احتواه النوم دون أن يعرف متى وكيف، حتى أن رأسه ارتطم بحاجز السرير عدة مرات ارتطامات قوية كانت كفيلة بأن توقظه من النوم.

في الصباح قرر أن يتصل بسارة ليخبرها بالكتاب الذي حصل عليه، وبما قرأ، لكنه قبل أن يجري الاتصال أراد أن يمر ببعض صفحات الكتاب ليستزيد مما فيه، وبينما يقرأ رن جرس الهاتف... إنها سارة... كانت مفاجأة جميلة له أن تتصل به صديقته في الوقت الذي ينوي الاتصال بها... أتاه صوتها مرحبًا به في وقارها الجميل مع خفة ظلها... رد عليها التحية بكل سعادة وهو يقلب الكتاب بين يديه كأنها تراه، وأخبرها أنه للتو كان ينوي الاتصال بها... قالت: للتو أنهيت مكالمة مع زهرة، وكانت سعيدة جدًا، لأن والدها ترجم كتابًا مهمًا، سيتحدث عنه العالم كله، لكنها في نفس الوقت حزينة لأن والدها لم يسمح لأمها أن تقرأ عليها الكتاب بناء على طلبها لأنها لم تزل صغيرة، وبعد إلحاح منها طلب إلى والدتها أن تحكي لها عما في الكتاب

بطريقتها... بفرح شديد كان رامي يتلقى الكلام من سارة ويستعد أن يطلق لها المفاجأة، لكنه الآن في نزاع بين فرحين الفرح الأول لأنه امتلك هذا الكتاب الثري الغريب، والآخر لأنه اكتشف أن مترجم الكتاب هو نفسه مخترع المحرك النفاث للموتوسيكل وفوق كل هذا هو والد زميلته زهرة... شعر رامي أن الله اختار له هذا الوقت ليجمع له كل المفاجآت الجميلة في وقت واحد فتوجه بعينيه إلى السماء شاكرًا وحامدًا ممتنًا... أشرق وجه رامي بالابتسام وسارة على الطرف الآخر للهاتف تسمعه يقول لها: إليك الآتي: عدت من المدرسة لأجد هدية رائعة من أبي وأمي، ماذا تتوقعين؟

* * *

عددت سارة الخيارات بين تليفون ذكي، أو جهاز كمبيوتر متطور، لكنها ختمت الخيارات بقولها ربما لعبة ذكية من المخترعات الجديدة، إنها تدرك أن رامي لا يألو جهدًا في اقتناء المخترعات الذكية، وأنه على الرغم من صغر سنه حريص على الاطلاع على كل ما هو جديد في عالم العلوم والتكنولوجيا، إلا أن رامي قاطعها بأنها تعلم أنه لا يهتم كثيرًا

بالألعاب، كما أن الكمبيوتر الذكي لم يحن وقته الآن فأمه وعدته به حين يحقق تفوقًا في الاختبارات النهائية للعام الدراسي.

بغير ملل سألته سارة عن الهدية، تريد أن تعرف ما هي وهل هي شيء يجمع بين ذوقيهما أم لا.

بصوت ممتلئ بالفرح قال: إنه كتاب وحوش الغابات الكونية... شهقت سارة شهقة كبيرة وهللت فرحًا... قطعت هذا التهلل بسؤال مفاجئ لرامي: وماذا ستفعل به يا رام؟ رد عليها والضحك ينطلق من صدره إلى قهقهته: ماذا سأفعل به؟ أنا قرأت فيه كثيرًا الليلة الماضية وقبل أن تتصلي بي الآن.. إنه رائع فوق الحد يا سارة، أتوقع أن تكون تلك الوحوش هي نفسها التي تهاجم الحيوانات في المدرسة، فردت عليه وقد تحول صوتها إلى صوت السيدة الكبيرة التي تدير الأفكار والاحتمالات في رأسها: ربما يا رام. ربما. وأعتقد أن هذا الكتاب سيجعل المسؤولين يصرحون بما يحدث من هجمات على الحيوانات، مؤكد أن هذه الهجمات لا تقتصر على مدرستنا... عادل صوت رامي صوت

صديقته في درجة الاهتمام، وعلت وجهه علامات الاهتمام الدالة على أنه استرجع كل ما يلاقيه وتلاقيه مدرسته وقال: أنا أيضًا متأكد من هذا يا سارة، وهذا ما يشغلني الآن أكثر وأكثر، يبدو أن العالم يقترب ن مواجهات ضخمة مع مجهول يعلم به المسؤولون ويخفون الحقائق عن عامة الناس... استعادت سارة مرحها وفرحها بحصول رامي على الكتاب وقالت: طيب يا رامي. استمتع بالعطلة، وبالطبع ستحضر الكتاب معك إلى المدرسة لنقرأ معًا، فرد عليها ولم يفارقه الاهتمام: أنا متأكد أن سام أيضًا سيفرح ويهتم بأمر هذا الكتاب مثلنا تمامًا، وكذلك يوسف... تبادل الاثنان التحية وأنهيا المكالمة وعاد للقراءة.

توجه رامي إلى المطبخ حيث كانت أمه قد بدأت في التحضير لإعداد طعام الغداء، وقد اعتاد رامي أن يعاونها طالما هو في البيت، هو يحب حكايات أمه التي تقصها عليه بينما يتشاركان الأعمال المنزلية، وفي نفس الوقت كلاهما يحبان استغلال كل دقيقة من وقت العطلة معًا في الأحاديث والحكايات، إنهما يستثمران الوقت القصير معًا، الذي من خلاله تحاول فيه غرس القيم في نفس ابنها، وهو يحاول أن

يبثها حبه مبينًا عن تنفيذه لما توجهه إليه من نصائح تفيده في علاقاته المدرسية، وأساليب إنجاز تكليفاته وواجباته... السيدة مريم دائمًا فرحة برامي ودائمًا تؤكد على ضرورة أن يكون متعاونًا مع الجميع.

بينما يدخل رامي المطبخ مازحًا أمه سألته عن الكتاب وعما قرأ فيه، فانطلق يحكي عما قرأ فيه كأنه يسترجعه مع أمه، حتى أنها تناولت الكتاب من وراء ظهر رامي وقلبت صفحاته متفحصة بدهشة قدرة رامي على سرد كل ما قد قرأ وكأنه يقرأ من الكتاب وليس من ذاكرته... أخذ رامي يرتب الأكواب في مواضعها ويخرج الملاعق من الأدراج، بينما كانت أمه تحكي عن نباتات الحديقة واعتنائها بها في غيابه... قطعت كلامها مقترحة عليه أن يخرجا معًا في نزهة بعد الغداء، فوالده سيتأخر في عمله اليوم... وافق رامي مقترحًا أن يأخذ معه الكتاب، إلا أنها اقترحت عليه أن يقضيها نزهة حقيقية يريح فيها نفسه من القراءة وأن يساعد عقله على تفريغ كل الشحنات التي فيه، فهذا مفيد جدًا لتجديد الطاقة، فإفراغ الرأس لبعض الوقت مفيد لطرد المعلومات الناقصة والخبرات غير التامة لتترك مساحتها للجديد، كما أن

تغيير الأماكن والوجوه مفيد لتنشيط الذهن والجسد، ولكي يقبل على الأسبوع القادم نشيطًا منشرحا فلا يشعر بالملل.

* * *

وافق رامي على مقترح أمه رغم أنه في بادئ الأمر أظهر بعض التبرم لأن الكتاب عنده الآن أهم من أي شيء وكأنه كتاب الأسرار... بعد الغداء بدأ رامي يستعد للخروج بأن ارتدى ملابسه الرياضية، عبارة عن تي شيرت ملون من الأزرق والأصفر وبنطال رياضي لونه أزرق داكن مدعم بدعامات اسفنجية خفيفة حول الركبتين، وكما ناولته أمه حذاءه الرياضي المخصص للتنزه، فرامي كأمه يحبان الحياة المنظمة وأن يكون لكل شيء دور ولكل شيء مكان محدد معلوم يسهل الحصول عليه فيه... انطلق رامي إلى حيث تقف السيارة تاركًا الكرسي لأمه التي حملته إلى صندوق الأمتعة بينما كان هو يستقل مكانه في المقعد الأمامي من السيارة... لم تترك لحظة لرامي لأن يفكر في أي شيء حدث له بل حاولت هي الأخرى أن تبعد رأسها عن سيول الأفكار التي كانت تهطل فيه.

وسعادة... إنه يحب دائمًا الأماكن المفتوحة الممتلئة بالخضرة، والتي يرتادها الناس على اختلاف أنواعهم، رامي يحب الناس ويحب أن يكون بينهم دائمًا، ودائمًا يحب أن يكون له دور فاعل، يحب أن يشارك كل من يحتاج معاونته، يحب أن يقدم المساعدة كما يحب أن يقدم السعادة والابتسامة للآخرين، إنه أيضًا مغرم بالقراءة عن الفروسية والشهامة ومروءة الفرسان وقرأ مع والده الكثير من أشعار العرب، وله رأي فيما قرأ وعرف، إنه يتمنى أن تعمم كل المدارس كتبًا عن الخصال الحميدة التي يجب أن يتحلى بها كل الناس... انطلق بالكرسي المتحرك في ممرات المتنزه الذي يعرف فيه الكثيرين من العمال والبائعين في أكشاك بيع الحلوى والسندويتشات، حتى الكثيرين من عمال النظافة في هذا المكان يعرفونه وبينهم وبينه صداقة تتجدد كلما أتى هو إلى هنا، دائمًا هم يشهدون لرامي أنه طفل ذكي، اجتماعي، محبوب، وفي المقابل كان رامي يبهرهم بأدائه وحركاته التي يؤديها بكرسيه المتحرك وحركاته البهلوانية المتقنة التي تعلم منها الكثير في المدرسة... سألهم رامي: هل منكم من يستطيع المشي على يديه؟

بدت علامات الدهشة على وجوه الواقفين للسؤال المباغت الذي ألقاه إليهم رامي، لم يعرفوا السبب وراء إلقاء السؤال إلا أن أحدهم وكان نحيفًا أسمر البشرة، لا تظهر عليه علامات الإجهاد رغم عمله الكثير، جسمه رياضي رغم النحافة البادية عليه، وحده كان هذا الشاب يحب أن يناديه: رامو راد وكان رامي يحب أن يسمع هذا الاسم منه... تقدم هذا الشاب مبتسما من رامي وبحركة رياضية بهلوانية قفز قفزة خفيفة في الهواء ونزل واقفًا على يديه وأخذ يمشي على اليدين، محركًا ساقيه في الهواء، كان يضحك ويدور حول رامي الذي كان سعيدًا جدًا بما يرى من الشاب ومن الواقفين الذين صفقوا لهذه الحركات البديعة... انطلق رامي مندفعًا بكرسيه المتحرك دافعًا

العجلتين الخلفيتين من إطاريهما المعدنيين الخارجيين، وبعد مسافة طويلة وبخفة بالغة من رياضي ماهر استدار الكرسي فجأة في الاتجاه المعاكس الذي هو الاتجاه نحو الواقفين والشاب الماشي على يديه، وبخفة بهلوان انقلب كرسي رامي على ظهره انقلابة انخلعت لها قلوب الواقفين، لكن بمجرد هذه الانقلابة انطلق الكرسي بسرعة

في اتجاههم ورجلا رامي مرفوعتان إلى الأعلى ولا يرون رأسه لكنهم يرون الثبات والانسيابية التي ينطلق بها الكرسي المتحرك مما جعلهم يشهقون ويصفقون ويصفرون بشدة، كانت الدهشة قد بلغت أشدها وبدت على وجوههم وهم لا يرون غير قدمي رامي وانطلاق الكرسي في اتجاههم، لكن رامي فعلا كان يرتكن بساعدين ويدين قويتين على الأرض يركض بهما دافعًا إلى الوراء كأنهما مجدافا قارب يسبح بسرعة على صفحة نهر... رامي الذي مال برأسه قليلاً نحو اليسار ليحدد طريقه يرى جيدًا للأمام، وحين اقترب من الواقفين اعتدل بكرسيه في رشاقة وخفة نفذ بها الحركة الأقوى والأكثر دلالة على مهارة هذا الصبي في استعمال الكراسي المتحركة بل واستغلال الرشاقة الجسدية، إنها الحركة التي أسقطت الرعب في قلوب كل الواقفين فلا أحد يتوقع أن تأتي هذه الحركة من طفل في سنه... لقد دار الكرسي حول نفسه على إطار واحد دون الآخر وكأن رامي يملك القدرة على السيطرة على وزنه بل وعلى وزن الكرسي... صفق الجميع أكثر وأكثر وهنا انتبه رامي أن عددًا من مرتادي المتنزه انتبهوا لوجوده وحركاته التي يؤديها وهم مبهورون بما يأتي به من أداءات رياضية.

لم تكن أم رامي في تلك الأثناء في حالة مزاجية معتدلة بسبب ما حدث في المدرسة... بينما كان هو يلعب ويسعد الناس من حوله كانت هي جالسة في مكانها تجري عدة اتصالات هاتفية أهمها اتصالها بوالده حيث كانت تقص عليه كل ما حدث في المطبخ... رامي الذي عاد سعيدًا باسمًا لم يسمع من المكالمة غير قولها: سننتظرك في المساء.

بينما يستعد رامي لفك حزام الأمان لمغادرة كرسيه المتحرك إلى الأرض ليشارك أمه جلستها، لعله يستمع منها إلى حكاية من الحكايات التي يحب أن تحكيها وبينما تستقبله أمه بابتسامة عريضة رسمتها على وجهها لتشعره بالأمان والحب الذي اعتاده منها، كانت أمه في هذه اللحظة قد أغلقت خط الهاتف مع والده ووضعت الهاتف النقال جانبًا لترتب البساط لجلسة رامي... انطلقت صرخة نسائية مباغتة من مكان ليس ببعيد، صرخة جعلت من في المكان ينتفضون كل في مكانه وانتفض رامي أيضًا لهذه الصرخة فالتفت نحو الصوت فإذا بلص نحيف، قذر الثياب ملامحه شريرة اختطف حقيبة اليد من سيدة عجوز كانت صاحبة الصرخة... لم يكمل رامي فك حزام الأمان... ارتعد

في الكرسي وبحركة بدت لا إرادية دفع إطاريه بقوة وكأّن الكرسي سيقفز أو يطير من فوق الأرض... قفز الفتى الطيب بكرسيه مغادرًا المساحة الخضراء التي تجلس أمه فيها إلى الممرات المرصوفة في اتجاه السارق الذي اندفع جريًا بقوة وخفة بين صرخات ونداءات الناس: لص... لص... لص...

* * *

كان اللص قد حدد وجهته، إنه يقصد البوابة الكبيرة للمتنزه... انطلق كالريح، وانطلق رامي من ورائه كالبرق الذي يشق صفحة السماء... اختلطت أصوات الناس بين المنادي بالنجدة والصارخ، والمحذر للطفل الذي يدفع عجلات كرسيه المتحرك، وهمهمات الدهشة لما يحدث... كانت السيدة العجوز صاحبة الحقيبة قد أدهشت ودخلت في نوبة قاربت الإغماء ناتجة عن قوة جذب اللص للحقيبة التي كانت معلقة في كتفها الذي أضعفه كبر السن، ومن حولها جمع من الناس يحاولون إقامتها عن الأرض إذ سقطت واقعة على ركبتيها لكن كل العيون الآن معلقة بالفتى الذي يلاحق اللص والشباب والحراس الذين يجرون

وراءهما... تداخلت الحركة من الجميع، فلم يعد معروفًا من يطارد من... عم الهرج المكان، لكن اللص حدد هدفه غير مبال بما يحدث من ورائه، ورامي كأنه لم يعد يسمع، ولم يعد يرى غير اللص والحقيبة التي في يده...

* * *

ألقى اللص بنظره في اتجاهات عدة حيث لمح حراس البوابة يستعدون لإلقاء القبض عليه بمجرد أن يقترب منهم وقد أغلقوا البوابة، والناس من خلفها في الشارع ينظرون في دهشة لسلوك الحراس، كما لمح الشباب الذين يلاحقونه فغير مساره إلى اليمين حيث الممرات التي تتخلل أشجار الغابة الصغيرة الملحقة بالمتنزه والتي تعشش فيها الطيور ليلاً بعد تحليقها في المتنزه طوال اليوم... لم يزل رامي في مقدمة المطاردين، يدفع العجلتين أقوى حتى اقترب جدًا من اللص مهددًا إياه ومتوعدًا بأنه سيقبض عليه... ارتفعت ضحكة اللص الساخرة من كلام رامي وكان قد اختفى بين الأشجار معتقدًا أنه اختفى عن أنظار الملاحقين إلا رامي فأغراه هذا أن يتخذ من هذه الحال موقف سخرية من هذا الطفل المغرور الذي اعتقد أنه قادر على أن يمسك بلص

متمرس خفيف الحركة والوزن قادر على العدو في خفة عداء ماهر.

كان رامي قوي العزيمة مصرًا على أن ينجز ما قد قرره، لكنه في عين اللص كان مجرد طفل ضعيف لا حول له ولا قوة، كان اللص على يقين أن مثل هذا الطفل في حاجة دائمة لمن يساعده ويشفق عليه، غره سوء خلقه أن يسخر من هذا الفتى، وأن يلهو به لفترة بين الأشجار المتداخلة والممرات الضيقة التي خلت من المارة في هذه الأثناء خصوصًا بعد الجلبة فغالبًا ما يخاف الناس على أبنائهم من البقاء وحدهم في هذه الأماكن... ابتعدا كثيرًا عن بقية الملاحقين... رامي كان يستعمل كرسيه ببراعة فائقة كما أنه يستعمل يديه ببراعة في التعامل مع العجلات وتوازن الكرسي وكأن رامي والكرسي جزء واحد مترابط، متماسك لا يقدر شيء على تفكيكه... كان يدفع الأشجار يمينًا ويسارًا ليسهل من عمليات اللف والدوران بينها وحولها، وفي أي اتجاه يريد كأنه يركب الموتوسيكل الذي رآه في المجلة وأعجبه... في لمح البصر وقد أدرك رامي أن اللص لابد أن ينحرف يمينًا سلك الطريق الموازي للطريق الذي سيسلكه وفجأة كان في مواجهة اللص، تفصل بينهما خطوات ليست بالكثيرة... لمعت عينا اللص، أغراه غروره بأن

هذا الفتى الضعيف المسكين صار في قبضة يده، قال بصوت المتهكم: إني أشفق عليك أيها الفتى المغرور وسألقنك درسًا بعده لن تلاحقني لو رأيتني حتى في منزلكم، والأفضل لك أن تبتعد الآن وإلا سأقضي عليك بعد أن أستمتع باللعب بك، وتأكد أن لا أحد سيصل إلى هنا إلا الحراس الذين ربما تاهوا في الممرات... لم يرد رامي عليه وإنما كان يدقق النظر فيه وفي الممرات من حولهما وقد اقتربت أصوات المطاردين والحراس، اقتربت لكنهم ما زالوا غير قادرين على تحديد المكان بالضبط بين هذا الكم الهائل من الأشجار والممرات... بسرعة انطلق اللص في اتجاه رامي ليلهو به كما قرر وحين اقترب منه جدًا وجد أن رامي لا يحرك ساكنا ولا يتحرك عن مكانه قفز في الهواء فارجًا بين ساقيه الطويلتين ليمر من فوق رأس رامي ويركله ركلة قوية في رأسه ستوقعه أرضًا على وجهه... في هذه اللحظات كان رامي قد انحنى إلى الأمام لأقصى درجة حتى صار كالسهم الذي سينطلق من قوسه، وكان اللص قد ارتفع في الهواء مسددًا الضربة التي خابت بانحناءة رامي، فقرر أن يكتفي بالمرور من فوقه، لكن رامي قد فعل ما لم يتوقعه اللص إذ أطلق ذراعيه إلى الأعلى ممسكًا بطرفي قدمي اللص في الهواء فانكفأ

على وجهه من وراء رامي وقد ارتطم وجهه بالأرض بقوة فتكوم بلا حراك.

لم يشعر رامي أنه يجر اللص من ساقه اليمنى بيده اليسرى ويدفع عجلة كرسيه بيده اليمنى، وحقيبة السيدة في حجره بين فخذيه ويصرخ: أمسكت به... أمسكت به... أمسكت به... قطع رامي مسافة ليست بالقصيرة على هذه الحال في اتجاه يعتقد أنه يؤدي إلى خارج الغابة التي طالما رافق الدليل فيها متفقدًا أشجارها وأعشاش الطيور... من بين الأشجار كان المطاردون والحراس يخرجون إليه واحدًا تلو الآخر والدهشة تملأ وجوههم ومن بينهم أمه بوجه غارق في الدموع والفزع... وقف الجميع حول رامي واللص المستلقي على الأرض وقد تلوث وجهه بالدم والتراب، حتى أن من بين الناس من نهر رامي ولامه لما فعل، وبين العجب والتعجب والدهشة سلم رامي السارق للحراس وأصر أن يسلم الحقيبة للسيدة بنفسه أمام الجميع، فرافقه الجميع إليها وأمه لا تعرف ماذا تفعل غير أن تدفع به الكرسي بين الناس وعيناها حمراوان باكيتان ووجهها ممتقع، تحاول أن تواري غيظها عن الناس،

ولا تعرف بم ستجيب إن سؤلت كيف فعل ابنها هذا، ولا تعرف كيف سيكون رأي الناس فيه بعد أن تزول الدهشة.

كانت السيدة صاحبة الحقيبة قد اتصلت بالنجدة، لكنها مصابة بالإعياء ولم تستطع الحركة فبقيت جالسة على أحد مقاعد المتنزه... أقبل رامي عليها فالتقطته بين ذراعيها، لم تلتفت للحقيبة، إنها كانت فزعة للطفل الذي يضحي بنفسه لأجل حقيبتها، وبينما تضمه كانت تبكي وتعتذر لأمه لأنها كانت السبب في نشر الذعر في المكان وعرضت صغيرها للخطر... تحرر رامي من ذراعيها وقدم لها الحقيبة وأشار نحو السارق الذي أفاقه الحراس، يقف بين اثنين منهم يمسكان به جيدًا وهو في حالة بائسة... في هذه الأثناء وصل شرطة النجدة، وبين هذه الجلبة والدهشة تسلموا اللص من حراس المتنزه... سأل رئيسهم الواقفين: كيف تم الإمساك به، وما الذي فعل بوجهه هذا... انتبه رامي لنظرات أمه، فأسرع مجيبًا: انكفأ على وجهه إذ تعثر وهو يجري ببقايا جذور شجرة ناتئة عن الأرض، وحين وقع أمسكت به وتسلمه الحراس... عم الصمت المكان للحظة ونظرات الاستفهام على وجوه العدد القليل من

الناس الباقين حول السيدة العجوز ورامي وأمه، لكن لم يعقب أحد على ما قال رامي.

قرر الشرطي تحرير محضر إهمال ضد السيدة مريم التي سمحت لابنها أن يعرض نفسه للخطر بمواجهة لص شرير اتضح أنه معروف للجهات الأمنية، وأنها بهذا قد خرقت عدة قوانين خاصة برعاية وحماية الأطفال، وعدة قوانين خاصة بحماية ورعاية المعاقين وأنها بهذا قد تتعرض لعقوبات مشددة قد تصل إلى السجن والحرمان من امتيازات عدة تنالها الأسرة بفضل رعايتها لطفل معاق... لم تنطق أم رامي ولم تعقب على كلام الشرطي الذي أظهر امتعاضًا شديدًا مما حدث، لم تبرر له، ولم تتوسل لأنها تعرف القوانين، ولأنها لا تريد تعريض ابنها لكثير من الأسئلة، خاصة وأنها تتوقع أن يقول رامي الكثير ليبرئها وقد يوقعه هذا في مشاكل كثيرة لأنه أظهر سلوكًا غير عادي... توسلت السيدة العجوز صاحبة الحقيبة، وقد عرفت نفسها للشرطي، فعرفها وعرف عائلتها وتبين أنها من عائلة معروفة ذات إنجازات ونجاحات مشهود لها، وهذا أيضًا لفت انتباه رامي ووالدته... استغرق الأمر وقتًا

طويلا من التوسل للشرطي ومحاولات إقناعه، حتى إن اثنين من الواقفين انتظارًا لانفضاض الموقف تدخلا مفصحين عن هويتهما، كان أحدهما شرطي متقاعد، والآخر صاحب شركة لتصنيع ملابس الغوص ومستلزمات الصيد، وقد ناصرا رامي وأمه... لم يجد الشرطي إلا التعامل بالصيغ الأقل عنفًا مع أم رامي فطلب منها التوقيع على تعهد بعدم الإهمال والتزام بحسن رعاية ولدها المعاق... طلب الشرطي إلى السيدة العجوز أن تتفقد محتويات الحقيبة وقد أثبتها في استمارة لديه وقد أقرت السيدة أنها غير منقوصة، ثم انصرف رجال النجدة مصطحبين اللص، وقد دون رئيسهم أسماء الواقفين، وأخبرهم أن قسم الشرطة قد يتصل بهم في وقت لاحق لإنهاء إجراءات التحقيق... انصرف الموجودون بعد مصافحة رامي وتهنئته على شجاعته وأعرب الشرطي السابق وصاحب الشركة عن سعادتهما لمقابلتهما رامي، أما السيدة العجوز فقد غمرت الصغير بالابتسام والشكر، وصافحت أمه من جديد بحرارة وضمتها إلى صدرها لتخفف عنها ما هي فيه من قلق وتوتر، وأجلستها إلى جوارها في حنان أم طيبة معبرة عن أنها لا تعرف كيف ترد الجميل ولا تعرف كيف تكافئ رامي لشجاعته وحسن

أخلاقه، لكنهما شكراها جدًا وعبرا لها عن احترامهما وسعادتهما بالتعرف إليها، أما هي فقد أصرت أن تعرف عنوان إقامتهما وأرقام هواتفهما لأنها تريد الزيارة والتعارف العائلي خاصة وأن عمر رامي من عمر حفيدها، وقد أحبته كثيرًا.

* * *

في الطريق إلى البيت كان نصيب رامي من اللوم والعتاب والتأنيب عظيمًا، إلا أنه برر موقفه وما فعل بأنه عمل بنصائحها له، وأنه بما فعل كان متعاونًا مع السيدة العجوز، فعللت موقفها بقولها: لكنك لم تزل صغيرًا، وعرضت نفسك للخطر... ابتسم لها رامي في براءة وإصرار وقال: أنت علمتني أن أكون شجاعًا ولا أخاف المواقف الصعبة... استبد الغيظ بالأم واحمر وجهها وهي تقول له: هذا حين تكبر وتكون قويًا وليس الآن، ثم ماذا لو أن المجرم قد أصابك بمكروه... احمر وجه رامي، فهو لا يحب أن يكون كثير التبريرات، والتفت بكل جسده نحو أمه وهو يقول: أنا أقوى منه وأذكى منه، وبقي نظره معلقًا بوجه أمه التي لم تلتفت إليه لكن الوجوم قد ملأ قسمات وجهها وشعرت أنها في

موقف محرج أمام ابنها الذي يرد عليها بما علمته ولم تجد وسيلة لتغيير مسار النقاش إلا أن قالت: افرد كفيك، ففرد رامي كفيه مقدمًا إياهما لها... أوقفت السيارة على جانب الطريق متفحصة يديه، قلبتهما، دققت النظر فيهما فلم تجد أية خدوش أو كدمات أو آثار عنف... كان رامي ينظر في وجهها منتظرًا ما ستقول... رفعت عينيها لتلتقيا بعيني رامي المبتسم وقالت: أيرضيك هذا، أترضيك هذه القذارة في يديك؟ لماذا لم تغسلهما؟ كانت تحاول الهروب من أفكارها ومن ردود رامي ومن ابتسامته الواثقة والموقف المحرج الذي وضعت نفسها فيه... هل الذي هي فيه حلم أم أن ابنها غير عادي، وأنه مختلف عن كل الأطفال؟ أم ماذا يحدث لها ولابنها ولعائلتها التي تحب؟ وماذا تخبئ لها الأقدار غير هذا الذي تمر به طيلة شهر كامل؟

جذبها رامي من لحظة التيه التي هي فيها بأن نبهها أن الوقوف قد طال في هذا المكان وليس من الجيد أن تواجه بمخالفة مرورية بسبب الوقوف لفترة طويلة في مكان لا تعلق فيه لافتة مسموح الانتظار... تأففت تصطنع ابتسامة بلهاء أمام ابتسامة ذكية من صغيرها، لكن

الابتسامتين أنهيتا الموقف، وانطلقت بالسيارة إلى البيت دون نقاش ودون فتح باب الحديث من أحد الطرفين.

لحظة أن أغلق عليهما باب البيت أخذت تتفحص جسد رامي كله لعلها تجد فيه أية آثار عنف فلم تجد... كان يعلم أنها ستفعل ذلك لأنه يعرف جيدًا كم هي تحبه، لكنه في نفس الوقت يشعر أن له شخصيته المستقلة، لكن لا بأس فإرضاء الأم واجب لم يحاول أبدًا أن يقصر فيه... بعد أن اطمأنت طلبت إليه أن يستحم ويبدل ملابسه، ففعل وحين عاد وجدها قد أعدت له كوب عصير الفواكه الطازجة فشربه على مهل، ثم هرع إلى كتابه، كأن الشوق يدفعه إلى هذا الكتاب دفعًا فجلبه إلى الصالة وجلس في مقعد وثير يقرأ على مهل ويتدبر كل سطر يقرأه موقنًا أن هذا الكتاب سيحل له الكثير من الألغاز... بينما يقرأ فتح باب البيت ودخل أبوه... كانت تبدو عليه علامات الإرهاق، ابتسم من وراء إرهاقه لرامي وانحنى يقبل رأسه عابثًا في شعره الناعم المصفف بعناية، وسأله عن يومه وأحواله... دون مقدمات أخذ رامي يثني على الكتاب الذي أهداه إياه مكررًا الشكر لهذه الهدية العظيمة، وأخبر والده أنه

اكتشف أن مترجم الكتاب هو والد زميلته الجديدة في المدرسة... كان الوالد يستمع لرامي مبتسمًا ولم يزل واقفًا... في هذه الأثناء خرجت الأم من المطبخ معبرة عن سعادتها بعودة الأب وأخبرتهما أن العشاء سيكون جاهزًا خلال دقائق ريثما يكون قد استحم وبدل ملابسه.

* * *

اتخذ الثلاثة أماكنهم حول السفرة التي رتبتها الأم كعادتها ترتيبًا أنيقًا، ومع تناول طعام العشاء دائمًا تدور بينهم أحاديث خفيفة، هم يعرفون أن تبادل الأحاديث الخفيفة والابتسام مع تناول الطعام مفيد في تناوله على مهل وفاتح للشهية ومساعد على استقبال الجسم لفوائده، ومسهل لعملية الهضم، كما أنه يمنح فرصة للتنفس المنتظم أثناء المضغ والبلع وهذا مفيد للجهاز الهضمي حيث يسهل عمليات إفراز العصارات الهاضمة ومحفز لحركة المعدة بانتظام... سألهما الأب عن يومهما وكيف قضياه... لحظات من الصمت اللطيف سادت المكان، خلالها كان رامي يداعب شرائح البطاطس المسلوقة في صحنه وكأنه يريد أن يقص كل ما حدث خلال اليوم على والده... بهدوء المتوجس

كانت الأم تتنفس استعدادًا لأن تحكي؛ لكنها تريد أن تحدد مستوى الصوت الذي ستبدأ به الحديث والتعبير عن كل ما حدث، فلابد أن هناك مستوى من الصوت ومن الكلام يقتضيهما هذا الموقف، كانت هي الأخرى تعبث بالشوكة والسكين... وجدت الطريقة... ابتسمت ابتسامة ذات دلالات في وجه رامي الذي كان ينتظر ما ستقول بعد التنفس العميق الذي مارسته... أشارت بكفيها المفتوحتين وأصابعها في اتجاه رامي قائلة: كان رام اليوم رائعًا جدًا، وكان مطيعًا جدًا وإني معجبة به في كثير من الأشياء، لكني لا أنكر أن بعض الأشياء منه اليوم أيضًا لم تعجبني...تقلصت ابتسامة رامي قليلاً حين أردفت بأن هناك ما لم يعجبها، وهو موقن أن مطاردته اللص هي التي لم تعجبها.

ابتسم الأب بينما يمضغ ما في فمه من طعام، ابتلعه متوجهًا نحو رامي، غامرًا إياه بحنانه، وقال: فلنبدأ بما أعجبك، فأنا أعلم أنه كثير لأن رام ابننا فتى طيب وتأتي أفعاله دائمًا صادقة مبهرة، وابننا هدية السماء لنا، بل هو كل آمالنا، هو يعرف أنه ثروتنا الكبرى، وأملنا الذي نعيش لأجله.

مع مرح الأم المصطنع الذي لم يلحظ رامي تصنعها فيه قالت: رامي دائمًا يساعدني في أعمال المطبخ، وأنا معجبة بأنه دائمًا يمد يد العون، فهو الرجل الذي يعتمد عليه، وحين كنا في المتنزه أبهر الجميع هناك بأداءاته الرياضية البارعة، حتى إنه ساعد في القبض على لص سرق حقيبة سيدة عجوز... ازدرد رامي ريقه وتخشبت نظرته في وجه أبيه ينتظر رد فعله، ومتابعًا الابتسامة ليرى أتزول أم تبقى، لكن ابتسامة الأب ظلت على مستواها وعيناه في الصحن الذي أمامه ولم يزد على أن رفع كوب الماء وارتشف منه رشفة خفيفة وحول نظره إلى الأم التي أكملت كلامها قائلة: لكنني غاضبة لأنه اندفع وراء اللص ولم يستأذن، وتركني قلقة أن يصيبه مكروه.

بوجه الأب العاقل الفاهم، وتعبيراته، وعباراته البسيطة الواضحة شجع رامي على أن يكون دائمًا في عون الناس وكل من يحتاج معاونته، لكن في نفس الوقت عليه أن يدرك أنه لم يزل طفلاً، ومع أنه يعامل على أنه رجل يعتمد عليه إلا أن هذا لا يعني أن يعرض نفسه للخطر، فلكل عمر الأعمال التي تناسبه، لهذا فالإنسان يتقدم في العمر، ولو

كان الأمر بالبساطة واليسر الذي يعتقده الصغار لخلق الله الإنسان في عمر واحد لا يتغير من الميلاد إلى الممات... رامي الذي كان يستمع لوالده بكل انتباه وتركيز مع كل كلمة يقولها لم يعقب ولم يبرر موقفه لأنه يوقن أن والديه حريصان عليه لا يريدان له إلا الخير... أكملوا عشاءهم مع بعض مزح الأب وحكايات طريفة يجلبها معه من العمل ومن المواقف التي يمر بها مع زملائه أو في طريق ذهابه وطريق عودته.

بعد العشاء جلست الأسرة لمشاهدة التلفاز، وبينما تقلب الأم المحطات لانتخاب محطة يتفق عليها رأي الجميع لقضاء السهرة إذا بمحطة (العالم إلى أين) تبدأ في عرض برنامج تستضيف فيه العالم طومسون مؤلف كتاب وحوش الغابات الكونية... قدمه المذيع إلى المشاهدين واصفًا رحلته العلمية بأنها ثرية جدًا، ومساهماته العلمية خادمة للبشرية، ويشغل الآن منصب (رئيس لجنة تحليل البيانات بالوكالة العالمية لمراقبة الظواهر الكونية الطارئة) كما قدم لكتابه بأنه الكتاب الذي أحدث جدلاً واسعًا في الأوساط البحثية والتقنية التي بدأت بالفعل في تحليل الكتاب، وعلل المذيع إصراره على تقديم هذه

الحلقة واستضافته للعالم المرموق بأنه يبحث دائمًا عن الموضوعات التي تهم الإنسانية، ورغم أن هذه الحلقة احتاجت أن يبذل جهدًا عظيمًا لتكون ذات أثر فقد التقى بالعديدين ممن مثل لهم الكتاب صدمة، والعديدين الذين يرون أن العالم الذي يسعى إلى سلم شامل هو نفسه العالم الذي يواجه أصعب التحديات لأنه رغم ما حققه من إنجازات على مستوى العلوم والسياسة وحقوق الإنسان لم يستطع أن يقضي على الفئات الشريرة التي تستغل كل ما تستطيع من قدرات في سبيل إشعال الصراعات وإيجاد العراقيل في طريق كافة المشروعات الإنسانية... لم يكن رامي مرتاحًا وهو يستمع لهذا الكلام لأنه لا يستطيع إدراك أكثره، لكنه مع هذا يتحمل من أجل أن يرى العالم صاحب الكتاب ويستمع إلى آرائه... بعد مرور ربع ساعة لم يتكلم خلالها الضيف إلا بضع كلمات هي التي منحه المقدم الفرصة لقولها لم تتجاوز التحية وبعض إيماءات الرأس المتفقة مع وصف المقدم للعالم الذي يعاني الشرور والصراعات وسوء استعمال العلم بدأ رامي يشعر بالضجر من هذا المقدم، بل إنه متضايق من شاشة التلفاز التي احتلها هذا المقدم الثرثار الذي استعمل مصطلحات لا يعرف رامي أكثرها

ومما زاد من ضيقه أن المقدم يقرأ هذه المصطلحات من ورقة أمامه مما يضطره إلى أن يضع نظارته ثم يرفعها، ويضعها ثم يرفعها ، ويخطئ فيضحك ويكرر ويبرر ويعلل ثم يستقبل مكالمة هاتفية من مشاهد يثني عليه وعلى هندامه واهتمامه بأناقته، ثم رسالة إلكترونية من متتبع له على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، وأخرى على هاتفه تثني على وسامته وأهمية البرنامج الذي يهتم باختيار النجوم البارزين، وتأتي مكالمة أخرى تقول المتصلة:إن استضافة العالم الكبير إثراء للبرنامج ليرفع نسبة المشاهدة وسيحقق إقبالاً جماهيريًا عالميًا مما سيجعل الحلقة تعاد مرات عدة في الأيام القادمة... أما العالم المسكين فجالس ينتظر، لا يستطيع أن يتلفظ بكلمة، أو عبارة شكر لأن المذيع استولى على الوجود والكلام كله... ما جذب انتباه رامي مع كل مرة تقع الكاميرا على العالم طومسون هو شروده واستغراقه في التفكير، وبشرته البيضاء الشاحبة، ووجهه الناحل كجسمه الضعيف رغم أنه طويل القامة يحمل على كتفيه رأسًا كبيرًا قياسًا بنحول وجهه له عينان غائرتان نسبيًا خلف نظارة مدورة العدسات في إطار معدني، لفت انتباه رامي أيضًا ثباته في جلسته مشدود القامة لا ينحني ولا تبدو عليه أي علامة للتكبر، بل ملامحه

توحي بالتواضع الشديد والخلق الرفيع... بنظرة في وجه أبيه أدرك رامي أن السأم تسرب إليه فأسعده أن وجد من يشاركه الحالة التي هو عليها، وبمجرد أن رن جرس الهاتف هرع رامي إليه ليرد، فأتاه صوت نسائي من الطرف الآخر

ـ ألو.

ـ مرحبًا.

ـ أنت رامي؟

ـ نعم. من معي؟

ـ أنا فريال.

عرفها رامي ورحب بها بعبارات الترحيب اللائقة، وقد بادلته كلمات الترحيب بالكلام الطيب الرقيق، مستفسرة عن أحواله... سألته عن أمه إن كانت موجودة، وإن كان من الممكن محادثتها... سلم رامي التليفون لأمه مخبرًا إياها عن المتصلة

ـ أهلاً ومرحبًا سيدة فريال.

ـ أهلا بك سيدة مريم، كيف أنتم؟ عساكم بخير؟

ـ بخير، شكرًا لكِ.

ـ سيدة مريم، أنا أتصل الآن لأكرر شكري لكم ولأحدد معكِ موعدًا لنزوركم، وأقترح أن يكون الموعد في الغد إذا كان هذا يناسبكم، وإذا كان وقتكم يسمح.

ـ مؤكد سيدة فريال، أهلاً بكم دائمًا، وسنكون سعداء إذا تفضلتم بعد الساعة السادسة مساء.

ـ أشكركِ جدًا، هل تناسبكم السابعة؟ إن لم تناسبكم فلا تتحرجي، فنحن سنلغي كل التزاماتنا إذا حددتِ أي وقت يناسبكم.

ـ بل تناسبنا السابعة وسنكون في انتظاركم بكل سرور.

ـ سيصاحبني ابني وحفيدي إن لم يكن هذا يزعجكم، إنهما يتشوقان للتعرف إلى رامي حبيبي البطل.

ـ لا إزعاج أبدًا، أهلا بكم.

ـ شكرًا لكِ. سعيدة لأنكِ وافقتِ، فأنا أحببتكم جدًا.

ـ أهلاً بكم. سنكون في انتظاركم.

رغم أن السيدة مريم والدة رامي كانت تحاول جاهدة أن تتكلم بأريحية مع السيدة فريال إلا أن المحادثة من جانبها كانت رسمية إلى

حد واضح جعل السيدة فريال تطيل الحديث لعلها تتلقى قولاً بالرفض لا يوقع أحد الطرفين في الحرج، لكنها وجدت الترحيب أكثر من مرة مما أسعدها وبث الفرح في روحها... أغلقت الخط مع السيدة فريال فرن جرس الهاتف مرة أخرى فردت فإذا به يوسف يسأل عن رامي... رحبت به وسألته عن أحواله ثم سلمت التليفون لرامي الذي انشرح حين سمع اسم يوسف...

سأل الأب عن المتصل الأول فأخبرته أنها السيدة فريال؛ السيدة التي ساعد رامي في القبض على اللص الذي سرق حقيبتها... قطعت كلامها وطلبت إلى رامي أن يدخل غرفته ليكلم صديقه على راحته دون إزعاج... دفع رامي عجلات كرسيه نحو غرفته بعد أن شكر أمه... أشار عليها أن يذهبا إلى غرفتهما كي لا يسمع ما سيقولان، مع علمهما أنه لن ينهي مكالمته مع يوسف إلا بعد وقت ليس بالقصير... جلسا على المقعدين المتقابلين فمنحها كل اهتمامه ليستمع لما ستقول، كانت علامات الدهشة والاستغراق في التفكير بادية على وجهه، يفرك جبينه مع كل كلمة تقولها ويخلل شعره الأسود المصفف بأصابعه الرفيعة الطويلة،

ثم يمسك بطرف أنفه الطويل وبلا شعور يعض على أنملة سبابة يده اليمنى حين بدأت تسرد له رد رامي حين سؤل عن كيفية الإمساك باللص، فهذا الرد كما عبر ليس بالعفوي بل إن رامي رتب له إذا تعرض للسؤال، وصحيح أن رامي لماح وسريع البديهة لكنه لم يكن يتوقع أن يكون هذا رده... كانت تقاطعه والفزع الذي حبسته طوال اليوم يطفح على قسماتها فيحيل وجهها إلى اللون القرمزي وبادرت زوجها متسائلة: هل تعتقد أنني أهذي أو أنني أتخيل؟ أم هل تعتقد أن رامي به شيء غريب وأنه سيصبح غريب الأطوار؟ الولد قد كذب، أتفهم ماذا يعني أن يكذب رامي؟

لم ينطق السيد مراد فهو الآن في غابة من الأفكار الممتلئة بوحوش تزأر وتعوي في رأسه فهو أكثر منها اندهاشًا بسبب ما يسمع

- مريم

سكتت عما تتكلم وانتبهت له وللعلامات المرتسمة على وجهه وضغطه على جبينه، وطالبته بأن يتكلم فزاد من فرك رأسه وقام عن كرسيه ودار دورتين حول نفسه في المكان، وسألها: أتذكرين يوم انحدر

به الكرسي على السلم الخارجي للبيت منذ عامين، وارتطم رأسه بالسلمات وتبعه الكرسي حتى سقط فوق جسمه، وذهبنا على الفور إلى ذلك الطبيب الذي أجرى له الفحوص الشاملة، وفحص عظامه ومخه وفي النهاية اعتقد أننا نتوهم؟

لم تغلق فمها طوال حديثه وكأنها تركته مفتوحًا ليمر الهواء البارد من خلاله ليبرد جوفها الملتهب من القلق، ثم شهقت شهقة طويلة فيها من التغابي الكثير وهي تقول: ماذا تقصد؟

ابتعد نحو باب الغرفة وركن ظهره إليه ناظرًا إلى السقف وقال: لا أعرف، لكنني أحاول أن أربط كل الأحداث التي تتعلق بحياة رامي كلها وحياتنا ولا أجد مبررًا، فأنا وأنت نجرح وتلتئم الجروح، وليس في أفراد عائلتينا من تشبه حالته حالة رامي... اقترب منها وأمسك برأسها والدموع تسيل على خديها بلا بكاء وقال: أنا أخشى أن يتطور الأمر أو أن تكون هناك تعقيدات نحن في غنى عنها...

شملهما صمت لا يخلو من تنهدات عميقة، كان السيد مراد يرسل نظره عبر النافذة في السماء، إلى القمر الذي كان محاقًا هذه الليلة، لعل

المدى البعيد يمنحه رؤية أو تخيلاً، أو تلقي إليه النجوم بخيط يصل من خلاله إلى فكرة تيسر عليه تبرير ما قد ينذر بكارثة... أما السيدة مريم فكانت تستعرض في مخيلتها كل تفاصيل حياتها لعلها تجد طريقًا تسلكه يرحمها من معاناتها... بصوت هامس ينذر بموجة جديدة من البكاء سألت: هل تظن أن للمدرسة دخل فيما يحدث؟ أقصد أن يكون في هذه المدرسة ما لا نعرف، ولا يعرفه ابننا؟

بلا تفكير وبوجه جامد أجابها السيد مراد: لا. لم يتبادر لي هذا الظن أبدًا، أنت تعلمين أن هذه المدرسة ذات سمعة وشأن في العالم كله، ونحن اخترناها لرامي لما تتفرد به دون غيرها من المدارس من أسلوب تربية، ونظم تعليم، ورعاية، ثم ألا تذكرين الحال التي كان عليها رامي في المدرسة التي التحق بها قبل هذه المدرسة؟ ألا تذكرين كيف أنه لم يستطع أن يعيش في مجتمع مغلق على المعاقين حركيًا؟

بهمسها المحموم قالت: كانت تقدم مستوى ممتازًا من الرعاية والتربية أيضًا وأنا كنت أريد بقاءه فيها... حدجها بنظرة دالة على تذكر شيء قديم، وكتم صوته الذي كان سينفلت ويرتفع، وقال: أنت من

البداية تريدينه في البيت وتريدينه إلى جوارك لا يغادر البيت، أنت كنت تريدين جلب معلمين يعلمونه في البيت ويبقى معقدًا محبوسًا كأنه دمية بلا فائدة... وضعت يدها على فمها تكتم البكاء كي لا يسمع رامي بكاءها، لكن السيد مراد اقترب منها وضمها في حنان وطبع قبلة على جبينها معتذرًا لهذه الحدة التي مارسها عليها مبررًا بأنها تعلم أن هذا ليس أسلوبه في النقاش لكنها جرته إلى هذا في موقف متوتر، وبصوت هادئ جدًا قال لها: ألم تثبت لنا السنون الماضية أن هذه المدرسة تمثل عالمنا الحقيقي الذي يجب أن نعيش فيه؟ وأن رامي تقدم فيها وأحبها وأبرزت مواهبه ونمت قدراته؟ ثم ها هي مشاريع إنشاء مثيلات لها تنتشر في أماكن عدة من العالم... العالم كله في مدرسة واحدة يا مريم، هل هناك أجمل من هذا؟

ربما أخرجتها هذه الفكرة من وطأة ما هي فيه قليلاً وصرفتها إلى المدرسة والفلسفة التي أقيمت على أساسها والخدمات المميزة التي تقدمها لتلاميذها، فقالت: أنا أعرف ما تقول ومقتنعة به، لكنني في الوقت نفسه أحاول أن أجد تبريرًا لما يحدث حتى لو اتهمت نفسي،

أنا أخشى أن يؤثر هذا على حياة رامي وأنت تعلم أنه كل حياتي... انفجرت بالبكاء الذي كانت تخفيه خلف سد منيع من السيطرة على مشاعرها فلمعت عيناها، واحمر وجهها الأبيض مرة أخرى وأخذت تتشنج وتنتفض، إن خوفها أن تحرم من رامي يجعلها تفترض أسوأ الأحداث، وتقع تحت ضغط يهدد أعصابها بالانهيار.

ربت السيد مراد على كتفها في حنو قائلاً: نذهب إلى الطبيب، فانتفضت كالهرة من مكانها صارخة فيه بالرفض التام لهذه الفكرة ولو اضطرها هذا لأن تخرجه من المدرسة وتبقيه في البيت أو أن تهرب به إلى مكان بعيد لا يعرفهما أحد فيه فلا يقال إن ابنها غير عادي ويعاني حالة استثنائية أو أنه غريب الأطوار، إنها أشد إشفاقًا من هذا، ولم تشفق من قبل أن ابنها ذو إعاقة.

* * *

رامي الذي كان مستغرقًا في النوم بعد مكالمة مع صديقه وقراءة طويلة في الكتاب لم يشعر بأمه التي توقظه، فقد كان حلم يأسره في نومه

فهو بين أروقة مدرسته في ظلام حالك يتتبع أنفاسًا وئيدة ورطوبة لزجة تملأ الأركان... لحق به أصدقاؤه يخرجون من بين شقوق في الجدران لا يعرف كيف حدثت... كانت زهرة أول الخارجين بكرسيها المتحرك، تقدم له كتاب وحوش الغابات الكونية، تلاها في الخروج سام، كان مرتديًا معطفه الأبيض يحمل بين يديه أنبوبًا مخبريًا فيه سائل أخبره أنه من مخلفات الوحش الذي رآها، كان يوسف يتقدم نحوهم تدفع به سارة كرسيه المتحرك عبر الظلمة الحالكة، وعلامات الإرهاق بادية عليهما وكأنهما قطعا مسافات طويلة حتى وصلا إلى هنا أو أنهما خاضا معركة ضارية، التأم الفريق، يسيرون خلف رامي... يخرجون من صالة إلى ممر إلى قاعة حتى شعروا أنهم تاهوا وضلوا طريقهم في مدرستهم وانسدت في وجههم كل الأبواب، ولم تزل الأنفاس المحمومة في كل الأركان والرطوبة تزداد في الهواء حتى بدأت تسد أنوفهم مع الرائحة النتنة... كان الصوت يأتي رامي عبر الظلمة يناديه من بعيد جدًا: استيقظ يا رامي... استيقظ يا حبيبي والدك ينتظرك لتناول الفطور معه... فتح عينيه وهو يقول: أرأيت؟ هل رأيت الوحش؟ هل شممت الرائحة؟ ردت أمه: أفق يا حبيبي يبدو أنك كنت تحلم... فرك عينيه

ودقق النظر في الوجه الذي أمامه... إنها أمه توقظه من النوم، تحسس نفسه، وتحسس الفراش، ونظر نحو الأرض، وسألها: هل حقًا كنت أحلم؟ كان الإجهاد باديًا عليه، لكنه لا يشعر بالتعب كما رد على أمه حين سألته إن كان يشعر بأي تعب أو أي عارض غير عادي، رامي لا يشعر أنه كان يحلم بل إنه موقن أنه كان في المدرسة بين الممرات والقاعات المظلمة، وقد حاول أن يقص على أمه ما حدث وما فعل لكنه تدارك الموقف وتنفس بعمق، وجلس في سريره لدقيقة يرسم الابتسامة على وجهه لأمه ويوجه لها تحية الصباح، ويستأذنها في أن يقوم إلى الحمام.

على مائدة الإفطار لم يهتم بالخبز المحمص والعسل، حاول والده أن يلاطفه بروحه المرحة، وسأله عن الحلم الذي رآه، فقص عليه بعضه والدهشة ترافقه... حاول أبوه أن يفهم منه أكثر لكن الشحوب الذي ظهر عليه منع الأب من أن يستطرد في الأسئلة.

نظر رامي في عيني أمه مليًا حين أخبره أبوه أنهم سيذهبون بعد الانتهاء من تناول الفطور إلى الطبيب لإجراء بعض الفحوص، فهم

رامي أن أمه قصت على أبيه كل ما مر به في اليوم الفائت، بل ربما كانت تحتفظ بذكريات هو لا يذكرها وهي التي زرعت الشكوك في قلب أبيه، وها هو الحلم تضيف به قلقًا جديدًا لنفسها ولأبيه... أومأ رامي برأسه تعبيرًا عن الموافقة بينما يرتشف الحليب من كوبه دون أن يسأل عن السبب، أو عن الطبيب الذي سيزورونه... على مهل أنهى كوب الحليب بلا ابتسام وبلا كلام مرح كالذي تستجلبه طاولة الطعام دائمًا.

٥-الدكتور عمر وكشف الأسرار

وصل رامي إلى المستشفى مع والديه... بناء أنيق يكاد أن يكون من معادن لامعة وزجاج ملون... تحيطه حديقة كبيرة زاهية مرتبة ومنسقة بعناية شديدة، له عدة مداخل على عدة طرق تؤدي إليه من كافة الاتجاهات... مدخل البناء مجهز لاستقبال الكراسي المتحرك... له مداخل خاصة بسيارات الإسعاف بحيث تدخل بالمرضى إلى مكان مجهز لنقلهم إلى العيادات المتخصصة بالداخل.

كانت السيدة مريم تدفع الكرسي برامي، يتقدمهم الأب إلى جناح الاستقبال حيث ملأ استمارات بالبيانات الشخصية والغرض من زيارة المستشفى، وتم أخذ بصمة أصبع إلكترونية لكل واحد منهم، وصورة شخصية تم التقاطها آنيا، قامت الموظفة بعرض الصور عليهم لاختيار الأنسب لتكون ضمن ملف المعلومات الشخصية بالوزارة... خلال دقائق معدودة تمت مطابقة بياناتهم مع السجل العام للمعلومات بالجزيرة وأقر الجهاز الإلكتروني بصحة نسبة المعلومات

لأصحابها... أوضح الجهاز أن السيد مراد لديه موعد حدد منذ ساعتين مع الدكتورعمر لأمر عاجل لفحص الطفل رامي مراد وأن السيد مراد يتمتع بتأمين صحي شامل عليه وعلى أفراد عائلته.

الدكتور عمر متخصص في الأنسجة البشرية، هو ليس مجرد طبيب، وإنما هو عالم مغرم بمعرفة ما يطرأ على الأنسجة البشرية من تطورات، وله تجارب كثيرة في تحفيز الخلايا الضامرة، كما أن له سلسلة من الأبحاث في زراعة الخلايا الحية ومعالجة الأعطاب الجسمية الناتجة عن حوادث خطيرة، وتلك التي تنشأ عن نقص الأكسوجين في الدماغ، والمؤدية إلى تلف بعض خلايا الدماغ مما يسبب أمراضًا متشابكة متداخلة، هذه الأبحاث في طور التجريب لكنها بدأت تعطي نتائج جيدة مبشرة بالتعامل مع أمراض كان يظنها الطب صعبة، خصوصًا بعد تعاونه مع فريق من علماء التشريح الذين ابتكروا طريقة جديدة لتصوير لفائف المخ وتحديد مسارات هذه اللفائف وإيجاد مجسمات مطابقة للدماغ البشري تمامًا مما ساهم في كشف العديد من أسرار هذا الدماغ والوقوف على المراكز الدماغية ورصد

كفاءات الخلايا ومسارات الدم وتغذية المخ... الدكتور عمر أيضًا كان مهتمًا برامي منذ ولادته بسبب العلاقة التي تربطه بوالده فهو الباحث المسؤول عن مؤسسة (أولمب) التي يعمل فيها السيد مراد مسؤولاً عن الأمن والسلامة الصناعيين، وقد توطدت بينهما العلاقة نتيجة إعجاب الدكتور عمر بالتقارير المهمة التي يعدها السيد مراد حول برامج الأمن والسلامة المتبعة في مواقع إنتاج الطاقة التابعة للمؤسسة وإدارته للفريق التابع له في أماكن كثيرة من العالم.

* * *

استقبل الدكتور عمر العائلة استقبالاً حافلاً، هو رجل في منتصف العقد الخامس، تخلل الشيب شعره بغزارة، السمنة بادية عليه، نظاراته المستطيلة الرفيعة لا تكاد تبين في تضاريس وجهه الباسم المرح بقسمات طفولية... يرتدي معطفًا أبيض وبنطالاً أسود وحذاءً طبيًا خفيفًا... على المكتب الذي قام من ورائه علبة بها أصناف متعددة من الحلوى والشوكولاتة... مد يده مصافحًا، ومرحبًا بالسيد مراد قائلاً: أهلاً مراد يا صديقي العزيز... أهلاً سيدة مريم... أهلاً رامي، كبرت يا

عزيزي وطولك يفوق سنك، صرت أكبر بكثير منذ آخر مرة التقيتك فيها منذ عامين.

لم تكن سمنة الدكتور عمر بهذا المستوى منذ عامين، إنه الآن أكثر سمنة، مما جعل رامي يتأمله أثناء تحدثه إليه وعلامات التعجب بادية عليه و جعل هذا الدكتور عمر بروحه المرحة يضحك معقبًا: طبعًا تسأل نفسك كيف أصبح الدكتور عمر بهذا الشكل في عامين... أعرف أنني أشبه المنطاد، لكنها فترة ويعود كل شيء إلى ما كان عليه حين أمتنع عن أكل الكميات الكبيرة من الحلويات.

لم يكن والد رامي ووالدته يعرفان من أين تكون البداية، وكيف يعرضان الأمر على الدكتور عمر، وإن استطاعا فكيف يكون العرض في حضور رامي... الدكتور عمر رجل ألمعي، يلتقط الأفكار من عيون أصحابها بسرعة البرق... ضغط زرًا... بعد قليل دخلت ممرضة... أمرها أن تأخذ رامي لإجراء فحص دم شامل... خرج رامي مع الممرضة وبقي الثلاثة في الغرفة... سأل الدكتور والد رامي عن سبب الفزع الذي

كان عليه أثناء الاتصال الذي دار بينهما، فتولت السيدة مريم سرد الحكاية على الدكتور عمر، الذي كان يستمع مشدوها لما تقول وتلمع عيناه بالأفكار...

أثناء هذا كان رامي في المختبر بين فريق طبي... تم سحب كمية من الدم من ذراعه، ثم نقل إلى غرفة ملحقة بالمختبر، جهزته فيها الممرضة للاسترخاء وتناول بعض العصير وشغلت له التلفاز على إحدى محطات الكارتون، فطلب منها بأدب أن تنقله إلى محطة علمية معللاً أنه يحب برامج العلوم.

لم يزل الدكتور عمر يستمع إلى كافة التفاصيل من أم رامي، إنها حالة غريبة ولم تمر به من قبل على المستوى البشري وإن كانت تدور في مخيلة العلماء... كأن السيدة مريم صعقت حين همس الدكتور بتعجب: خارق؟! خرج السؤال محملاً بطاقات التعجب والاستغراب، حتى إنه قام عن مكانه إلى مكتبته ينظر في الكتب... بعد وقت عادت الممرضة تصحب رامي، حاملة نتائج الفحص، وقدمتها للدكتور الذي

تناولها معقبًا بنظرة نحو رامي قائلاً طبعًا السيد رامي سيقول: ما هذا الدكتور الرجعي الذي ما زال لديه مكتبة من الكتب الورقية، ويتلقى التقارير مكتوبة على الورق، لكن قبل أن تستقر فكرة رجعيتي في رأسك يا عزيزي سأخبرك أن هذه التقارير قد حفظت وسجلت الآن في دوائر إلكترونية، وانظر... أشار نحو حائط مسطح، وحرك يده في الهواء فارتسمت مكتبة ضخمة ضوئية على الحائط، وبحركة أخرى اختار الكتاب الذي برز في فضاء الغرفة وكبر حجمه وبدأ الدكتور يقلب صفحاته ويحدد منها عناوين معينة، بمجرد أن يختارها تبرز مجموعات عدة من عناوين كتب مفهرسة كل منها تحت عنوان عام (دائرة معارف...) وتحتها عنوان بحجم أصغر (متعلق بعنوان البحث) أعجب رامي بهذا المستوى من التقنية لكن الدكتور عمر عقب قائلاً، ومع كل هذا فأنا أحب التعامل مع الورق، الورق يشعرني بروعة المعرفة وأنني لم أزل أملك بعضها... عاد الدكتور عمر للنظر في التقارير بعد أن لمس الراحة في وجه رامي وانصرافه إلى التفكير في المكتبة وهيئتها، حتى أن الدكتور سمح له أن يتفقد ما يريد من العناوين التي تدور في رأسه فانشغل بها رامي، بينما يستعرض هو النتائج... هز رأسه عدة

مرات ومد شفتيه المزمومتين إلى الأمام ووجهه منفرج الأسارير قائلاً: كل النتائج مطمئنة، بل ممتازة، ولا يوجد أي أثر لأي مرض قديم أو أية عدوى جديدة، بل إن نتائج فحص مكونات الدم تقول إن دم رامي نقي تمامًا ووظائف الأعضاء الحيوية في الجسم تعمل باستقرار طبيعي... اقترب من رامي الذي كان قد انشغل مع عدة عناوين كلها خاصة بتطور جسم الإنسان وعلاقات خلايا المكون البشري بالطبيعة والكون الذي يعيش فيه... انحنى عليه قائلاً: صحتك ممتازة يا بطل، ولا أثر لأي مرض، فلماذا أنت هنا؟ قل إنك تريد أن تراني وإنك اشتقت إلي وأنا كنت سآتي إلى زيارتكم، بعد إذن والدك صديقي الذي لم يدعني مرة واحدة على العشاء في بيتكم الذي سمعت به وبجماله وموقعه الممتاز...

كان يتكلم وعيناه مثبتتان في عيني رامي كأنه يريد أن ينفذ من خلالهما إلى أفكاره وإلى خلاياه ليجد علامة دالة على صحة ما تقوله والدته... ضغط على زر فانفتحت خزانة في الحائط مليئة بالأقراص المدمجة، برزت له واحدة يبدو أنه اختارها بطريقة إرسال الأفكار عبر النظر... تناولها... ألحقها بجهاز الكمبيوتر على مكتبه... ظهرت بيانات

القرص: تاريخ الحالة رامي مراد... اسم الأم: مريم... سبب الإعاقة خلل جسدي غير مبرر علميًا نتج عنه خلل عضوي في الأنسجة العصبية للجزء الأسفل من الجسم دون تأثير على النمو... مكان الولادة: المستشفى العالمي للولادة.

استأنف البحث في دوائر المعلومات... فتح صفحات عدة في شاشة الكمبيوتر، ومن حين إلى حين يرسل بابتسامات طيبة إلى الموجودين... قام عن مكانه وقدم الشوكولاتة إلى رامي ووالديه، وتناول عدة حبات مرسلاً إياها إلى فمه واحدة تلو الأخرى... أخذ يمضغها بطريقة فكاهية مضحكة مشيحًا بيده اليمنى في الهواء قائلاً: كل شيء تمام، تمام، تماااام... بحركة سريعة التقط حبة من الحلوى المغلفة وقذف بها فأصابت رأس رامي وارتدت مع صرخة الأم وفزعها وشهقة الوالد... أما رامي فانتفض في مكانه انتفاضة خفيفة وقد تنبه من سباته ناظرًا بغيظ للدكتور الذي أفزع أمه بفعلته... تدارك الدكتور الموقف بخطوات راقصة نحو رامي مع ضحكات ودعابات موجهة لرامي الذي لم يبد أي تفاعل مع ما يقوم به الدكتور، بل إن الوالدة والوالد دهشان

متعجبان لما يفعل الدكتور مما يرونه جنون إنسان غير متزن، لكن كيف هو غير متزن ووالد رامي يعرفه ويعرف رجاحة عقله، أما الأم فهي دائمًا متوترة تجاه كل ما يخص ابنها الحبيب.

الدكتور غير منتبه لردود أفعاله على الوالدين، بل إنه يقول :ممتاز... ممتاز... دفع كرسي رامي مع رقصته وضحكاته المرحة وبيده اليمنى عبث بشعر رامي في حنو... سار بالكرسي نحو الباب الذي انفتح في الجدار خلف كرسيه المقابل للمكتب فور أن رفع سبابته اليسرى في اتجاه أعلى الجدار الذي لم يوح لأحد أن فيه بابًا، ليظهر ممر طويل، سلكه مع رامي بعد أن استأذن في اصطحابه إلى رحلة رائعة، مخبرًا الوالدين أنهما سيجدان من يتولى ضيافتهما أثناء غيابهما... توترت الأم أكثر، وهمت أن تقوم إلا أن السيد مراد تمالك أعصابه وطمأنها أن كل شيء سيكون بخير ولا داعي للقلق على رامي.

فتح باب الغرفة ودخلت سيدة أربعينية... وقفت أمام الوالدين قائلة: أنا في خدمتكما من الآن، تفضلا معي... ارتابت السيدة مريم أكثر

من كل ما يجري وامتقع وجهها وهي تقوم مع زوجها لا يعرفان إلى أين... انطلقت بهما السيدة النحيفة القصيرة قصرًا بائنًا إلى مصعد أقلهم إلى الطابق الخامس والثلاثين ليجدا حديقة جميلة بها طاولات وكراس ولافتات مكتوب عليها قاعات الانتظار والمتابعة.

* * *

الممر مضاء بإضاءة بيضاء وتظهر أجهزة آلية تتحرك في الممر ذاتيًا داخلة وخارجة من ممرات وأبواب جانبية، وعلى مسافة بعيدة في نهاية الممر باب فسيح مكتوب على أعلاه: مختبر الدكتور عمر... بينما يعبر الدكتور ورامي الممر كان الدكتور يستغل كل لحظة يقضيها مع رامي الذي لم تفارقه أمارات التوتر والقلق... سأله الدكتور عن مدرسته، وعن عمره، وكان يعرفه ويعرف أنه أكبر من سن الصف الدراسي الذي هو فيه، وبدأ يناقش رامي في الأمر فلاحظ أن رامي يتكلم بأريحية دالة على أنه يعرف الأسباب وأن والدته هي السبب وأنها لم تكن تريد أن تلحقه بأية مدرسة لولا أنها كانت ستقع ووالده تحت طائلة القانون والعقوبة المشددة لإهدارهما حق ابنهما في التعليم...

كانت المرايا المنتشرة في الممر وسقفه تبهر رامي بما يراه فيها من صوره التي تظهره في كل واحدة مختلفًا عن الأخرى، فوجه كلامه إلى الدكتور قائلاً: يبدو أن هذه المرايا ليست حقيقية يا دكتور... حاول الدكتور أن يخفي صدمته التي أحدثها تعليق رامي،

لكنه أخفاها بسؤاله: فماذا تراها؟ فأجابه رامي دون أن تبدو في صوته علامات الدهشة قائلاً: يبدو أنها شاشات عرض لأجهزة تعيد عرض ما تلتقطه كاميرات مثبتة في أماكن ما هنا، وعلى ما يبدو أنها تجري فحوصًا فورية للمارين من أمامها... تمتم الدكتور بينه وبين نفسه بعينين متسعتين: كيف التقط هذا الطفل هذه المعلومة بهذه البساطة، إنه أول حالة منذ أقيم هذا المستشفى تعلق على أمر المرايا، يبدو أنني في حاجة لتطوير نظام التشويش الذهني هذا، فالواضح أن هذه الشاشات لم تشتت انتباه رامي ولم تصرف ذهنه إلى أفكار حول ما يرى مستغنيًا عن الأفكار الأساسية في عقله... لا بأس... لابد أنني سأجد ما من خلاله أنفذ إلى ذهن وأفكار هذا الصبي المحير.

انفتح باب المختبر... مكان فسيح جدًا، آلات في كل مكان والحركة مستمرة فيه والأصوات تأتي متناغمة من كل مكان... آلات تعمل وأصوات تصدر عنها... أوراق ومطبوعات تنزل في سلال تحت الماكينات... أوان زجاجية كثيرة، مرصوصة بها خلايا وأنسجة منوعة، وأجسام صغيرة منها ما هو على أجسام صلبة ومنها ما يسبح في محاليل لم يعرفها رامي، ومنها ما يوضع في حضانات لها أبواب ذوات نوافذ زجاجية، أيضًا سمع رامي أصوات قردة تأتي من مكان غير معلوم، أصوات قردة مبحوحة كأنها كتمت بفعل مقصود... لم يعقب رامي أو يعلق على ما يرى، لكن الدكتور كان يتابع ردود فعله، ومع هذا لم يبد من رامي أي رد غير مألوف، وهذا هو غير المألوف أمام ما يرى.

شرع الدكتور يساعد رامي على نزع ملابسه، وأثناء هذا كان يكلمه بهمس رغم عدم وجود أحد غيرهما في المختبر، أراد أن يشعر رامي بخطورة الموقف الذي سيفضي به إليه، إن دخول هذا المختبر سر شخصي لا ينبغي الإفصاح به لأي أحد وأن طفلا في سنه لا يمكن أن يصل إلى هذا المكان فلا يدخل هذا المكان إلا الدكتور ومن يخضعهم

للتنويم المغناطيسي أو الذي يجري لهم مسح ذاكرة، إلا أنه لن يفعل أي شيء من هذا مع رامي لأنه يثق أنه على قدر المسؤولية وسيحفظ سره كما سيحفظ هو بدوره كل سر يفضي به رامي إليه... نزع رامي قميصه الأحمر ذي النقوش البيضاء الأنيقة ومن بعده البنطال، ورفض أن يساعده الدكتور في نزع حذائه وجوربه الأبيض ذي النقوش الحمراء الزاهية... كان الدكتور عمر يدقق النظر ويلاحظ حركات رامي، ومما لفت انتباهه أن رامي يمكنه تحريك ساقيه لمسافة تصل إلى خمس بوصات لكن مع تحكم ضعيف، لكنه يستعمل يده لإعادة الساق إلى الوراء، وفي نفس الوقت يمكنه التحكم أكثر في حركة فخذيه.

* * *

في قاعة الانتظار كانت المرافقة قد قدمت العصائر لوالدي رامي وكانت في قلق شديد على ابنها فقد مرت نصف ساعة ولم يأت أي خبر عنه ولم تعرف ما الذي يجري له... قلقها أشد حدة من قلق السيد مراد حتى إنها ألقت عليه بعبارات اللوم... إنها غير مرتاحة إلى هذا الطبيب غريب الأطوار الذي انتفخ في عامين بما يعادل سمنة عشرين عاما من

الأكل الدسم وأخذا يتهامسان

ـ لماذا أخذه وإلى أين؟ وأي فحوص خاصة يريد أن يجريها له بعيدًا عنا ولم يخبرنا بطبيعتها؟

ـ اطمئني أرجوكِ يا مريم، أنا أثق بالدكتور عمر، ثم إننا في مستشفى محترم.

ـ كيف أطمئن وقد مرت ساعة ولا أعرف عن ابني شيئًا؟

بينما هما في هذا الجدال والاحتدام أقبلت عليهما السيدة النحيلة بائنة القصر تطلب إليهما بصيغة الأمر أن يقوما معها مشيرة إلى إحدى الغرف الزجاجية فتبعاها مع تبادل النظرات بينهما... الغرفة ضيقة لا تسع إلا أربعة أشخاص بالكاد، بها أربعة مقاعد وأحد الجدران عبارة عن شاشة عرض بحجم الجدار... منذ دخلا الغرفة لم يسمعا أي صوت يأتي من الخارج... حالهما كأنهما في مصعد أو آلة فضائية بدائية... اتخذا مكانهما في مواجهة الشاشة... جاءهما صوت الدكتور عمر مرحبًا بصوته المرح، وطالبًا إليهما الانتباه... كان يتكلم وكأنه معهما في الغرفة.

فجأة ظهر رامي على الشاشة عاريًا إلا من شورت أبيض، يجلس على كرسي متحرك غير كرسيه... كان جسده مطليًا بمادة زيتية لامعة... قال الدكتور عمر: الآن نبدأ الفحص، بينما كان السيد مراد يكاد يسمع خفقان قلب السيدة مريم التي همت أن تقوم من مكانها باتجاه الشاشة حين رأت ابنها... أكمل الدكتور: أردت أن تتابعا معي بعض مراحل الفحص لتكون السيدة مطمئنة.

* * *

انطلقت أحزمة شفيفة من المقعد فور أن أشار الدكتور إليه بجهاز تحكم عن بعد... كان أثناء ذلك يداعب رامي بعبارات خفيفة استجاب لها رامي بابتسام... أحكمت الأحزمة حول جسم رامي وفخذية وساقيه... الأحزمة شفيفة لا تكاد العين المجردة تراها... مال ظهر الكرسي تلقائيًا للخلف وارتفعت مقدمته التي ترتكن إليها ساقا رامي ببطء حتى تحول الكرسي إلى سرير مع بقاء الجزأين اللذين عليهما قدما رامي... بدأ السرير في التحرك حتى صار في وضع الوقوف...

رأت السيدة مريم ابنها واقفًا لأول مرة في حياتهما، رأته واقفًا يركن ظهره إلى حائط خلفه... شهقت واضعة يدها على فمها وانحدرت الدموع من عينيها... رأته طويلاً ممشوقًا... لم تره مفرودًا إلا للحظات أو دقائق أثناء النوم، أما الآن فها هي تراه واقفًا.

تحرك السرير الواقف إلى الخلف بواسطة الحامل المعدني اللامع الذي يحمله... تحرك حتى إذا اقترب من جدار المختبر التصق بعامود هيدروليكي التقى بالجزء المخصص له في منتصف السرير تمامًا، سمع رامي صوتًا خفيفًا أحدثه التقاء الجزأين المعدنيين... تقدم السرير المعلق إلى الأمام بضعة أقدام لينفصل عنه الحامل الذي كان يحمله متنحيًا جانبًا خارجًا من بين السرير والجدار... تحرك السرير إلى الخلف مرة أخرى حتى التصق بالجدار... ابتسم الدكتور عمر ابتسامة كلها تركيز ناظرًا إلى رامي ومشجعًا إياه، ثم جلس خلف طاولة عليها خمس شاشات مختلفة الأحجام، وأزرار كثيرة تشبه أزرار التحكم في استديوهات تسجيل الصوت... ضغط عددا منها بسرعة فبدأت تظهر كتابات على الشاشات أمامه فتناول سماعات أذن ذات ميكروفون ووضعها على

رأسه... بدأ يستمع إلى الصوت الآلي الذي يسرد له النتائج: عضلة القلب: عادي... قوة الشرايين: غير عادي... قوة الأوردة: غير عادي... ضغط الدم: عادي... النبض: عادي... حركة الأمعاء: عادي... معدل التوتر: عادي... الوصلات العصبية: عادي، عدا الساقين، شلل غير قابل للعلاج.

أعاد الدكتور قراءة التقرير، وحك ذقنه حين تأمل نتائج فحص الشرايين والأوردة وإشارة غير عادي التي ظهرت... كتب: فحص العظام... بعد ثوان ظهرت النتيجة التي نمت عنده الذهول: العناصر التركيبية: غير عادي... حالة المفاصل: غير عادي... القفص الصدري: غير عادي... عظام الجمجمة: غير عادي.

تسارعت دقات قلب الدكتور عمر حين رأى إشارة غير عادي، ومطابقة هذه النتائج بكلام أم رامي، وكان يعتقد أن الأمر لن يتخطى التوقعات البسيطة السهلة... شعر وكأن غرفًا فسيحة بدأت تتفتح أبوابها في عقله مقابل غرف أخرى انغلقت، وظهرت حزم أخرى من

الأفكار والفروض... كل هذا ورامي معلق في مكانه ينتظر بنفاذ صبر أن ينتهى هذا الذي يسمى بالفحص.

أجرى الدكتور عمر عدة عمليات على الأجهزة التي أمامه... قام عن مكانه ليضع خوذة سوداء على رأس رامي غطت أذنية، وأنزل منها شاشة سوداء أمام عينيه وأنفه يتدلى منها شريط معدني في مقابل فمه... وصل حزمة أسلاك من الجدار إلى مكان لها في الخوذة ثم مازح رامي مع اهتزازات لطيفة من جسمه البدين، اهتز كأنه يرقص ثم عاد إلى مكانه خلف الطاولة يتعامل مع الأزرار وينظر في الشاشات ليرى النتائج:

الفحص الموجي للدماغ: طاقة فوق العادية، خلايا نشطة فوق المقرر... مرونة ارتدادية في عظام الجمجمة، الفحص الموجي للأذن: الحالة ممتازة... العصب السمعي: نشط لأدق الذبذبات، الموجات الصوتية: تلافيف غير اعتيادية في المنطقة بين الأذن الخارجية والأذن الوسطى... أنسجة أربطة العظيمات السمعية: غير اعتيادية... السائل الناقل: غير عادي... العصب: نشط.

الفحص الموجي للعين: عضلات العين: شديدة المرونة... دقة فائقة في التآزر والملاحقة... القرنية: شديدة الحساسية للضوء والظلمة والحركة... الشبكية: خلايا أكثر نشاطًا... عصب العين: طاقة فائقة فوق المعتاد.

أمسك الدكتور عمر برأسه لثوان... إنه أمام حالة لم يقابلها من قبل... الأنسجة التي هي علمه التخصصي بدأت تنذر بفتح علمي جديد... لابد من أنها طفرة حدثت لهذا الولد... استبعد حالة الشلل فوجد أن هذه النتائج لا تقنعه... الظواهر توحي بأن رامي طفل عادي كغيره من الأطفال، لكن نتائج الفحص تقول أشياء تستدعي فحصًا أدق لكل أنسجة الجسم...

كتب الدكتور عدة أوامر، وأدار عدة أزرار... الجدار خلف السرير لم يكن جدارًا بل آلة ضخمة تحركت إلى الخلف ساحبة معها السرير الواقف إلى جوف الجدار... بدأت الموسيقى الهادئة تملأ المكان... شعر رامي بالرهبة حين تحرك به الجدار إلى الخلف، صرخ صرخة

خفيفة اكتشف الدكتور من خلالها أنه طفل بشري لا محالة لينفي من ذهنه أي شك تجاه هذه الحقيقة.

* * *

سارت الآلة برامي عدة أمتار ثم توقفت... من خلال الميكروفون سمع والدا رامي صوت الدكتور عمر يقول: ستبدأ المرحلة الأدق من الاختبارات، وأحببت أن أطمئنكما أن كل شيء على ما يرام، وهذه المرحلة من الاختبارات سأجريها على مسؤوليتي الشخصية، وهي خارجة عن عقد التأمين المبرم بين الشركة التي يعمل لها السيد مراد والمستشفى، فازداد توتر السيدة مريم بما سمعت، وانقطع العرض على الشاشة مما جعل التوتر يتسرب إلى أعصاب السيد مراد هو الآخر وهم أن يطلب من الدكتور عمر إيقاف هذه الفحوص إلا أنه لم ينطق لشعوره أن الاتصال قد انقطع، فحمد الله لأنه لم ينطق لعل هذه الفحوص تكون مفيدة لابنه، وتطمئنه أن ابنه طفل كبقية الأطفال وأنه لا يعاني، خصوصًا وأنه أدرك أن الحالة تخفي وراءها ما يقلق.

في نفس الوقت كان الدكتور عمر في خضم موجة جديدة من التوتر والقلق، كان يشحذ فهمه لفحص الظواهر غير الطبيعية التي يعيشها مع رامي ذلك الطفل الصامد في وجه هذه الفحوص، ذلك الطفل الذي توقع الدكتور أن ينبهر على الأقل بكل ما يرى، أو يتألم، أو يصرخ، أو يبكي... بدأ الدكتور عمر أيضًا يشك في هذا العلم الذي لم يستطلع خفايا جسد هذا الطفل المحير... أما رامي فكان مندهشًا لما يحدث، ولا يتمنى أن يواجه تجربة قاسية في نفس الوقت الذي ينتظر فيه فرصة يمنحه إياها الدكتور عمر للتخلص من تلك الوحوش الغريبة.

رامي الذي لم يكن يهتم لإعاقته معتبرًا أنها جزء من تكوينه الطبيعي، وذات فائدة عظيمة له تمنى الآن فقط أن يتمكن من تحريك ساقيه، وأن يستطيع الركض... في تلك اللحظة كان السرير الواقف يتقدم إلى الأمام تقدمًا وئيدًا، بعد أن استدارت الآلة لتواجه فراغًا أسود سحيقًا... جاءه صوت الدكتور طالبًا أن يرفع نظارة الخوذة من أمام عينيه ثم سأله: ماذا ترى؟

ـ أرى حائطًا.

ـ هل تستطيع تقدير المسافة التي تفصلك عنه؟

ـ يبتعد حوالي خمسة عشر مترًا.

قفز الدكتور عمر عن مكانه محدثًا نفسه: كيف هذا؟ المفروض ألا يرى غير السواد... ضرب رأسه بقبضة يده... هذا جنون... علم فاشل... عاد إلى الطاولة... ضغط زرًا... تحرك الحائط ببطء شديد جدًا باتجاه رامي... فتح الاتصال بين المختبر وبين والديه... كانت السيدة مريم تقول: ليس من حق صاحبك أن يأسر ابني لديه ويقول إنها فحوص... خاطبها الدكتور قائلاً: تكلمي إلى رامي، إنه يسمعك... سألت السيدة مريم ابنها إن كان يسمعها بصوت ممتلئ بالقلق والحزن والخوف، فرد عليها رامي بصوت واثق يؤكد أنه يسمعها وأنه في حال جيدة، فسألته إن كان يريد يشعر بأي ألم، وأنها تستطيع إنهاء كل هذا إذا كان يتألم بسببه، فنفى أي شعور بالتعب، بل إنه زاد على ذلك أنه مستمتع بهذا اللعب... بينما كانت تتكلم والحزن ظاهر والقلق في صوتها، كان رامي يتكلم مظهرًا الأريحية ربما لأنه أقنع نفسه أن الذي يحدث يجب

أن يحمل على أنه لعب، وربما قال هذا ليطمئن أمه التي اعتادت منه أن يتحمل المواقف بشجاعة، ولا يريد أن يظهر أنه خائف بعد أن طارد اللص وقبض عليه، لأنه إن فعل سيكون لديها المبرر بعد ذلك لتمنعه من ممارسة الأشياء التي يحبها، وقد تحرمه من المدرسة إذا أخبرها الدكتور أن لحالته علاقة بذلك الوحش التذيي يحكي عنه والذي سببت المشاكل في المدرسة وفي حلمه الذي لم يقصصه كله عليها وعلى أبيه.

اتسعت عينا الدكتور عمر حين سمع عبارة: أحب هذا اللعب، ورفع نظارته عن عينيه، ودار في مكانه عدة دورات يتمتم: نعم اللعب، هذا ممتاز، ممتاز هذا اللعب... صرت ألعب مع الأطفال... ملامحه كانت تنم عن أنه يسخر من نفسه، ومن أجهزته أمام ما يرى ويسمع من رامي... سمع صوت الأب يسأل رامي: هل تريد أن نوقف الفحص يا رامي؟ كان صوت الأب يأتي هادئًا لكنه حاسم في ثبات، فرد عليه رامي بالرفض، وبأنه متأكد من أنه يريد أن يكمل... هز الدكتور عمر رأسه... قطع الاتصال بين المختبر والوالدين...

وجه الدكتور فجأة سؤاله لرامي: أين الجدار الآن يا رامي، فأجابه رامي بلا تردد: ما زال يتحرك ببطء باتجاهي يا دكتور... قطع اتصاله برامي وكلم نفسه: هذا مستحيل... هذا يعني أن قدرة العين ومركز الإبصار يتجاوز الألف مقابل قدرة الإنسان حاد البصر، كما أن ذهن هذا الصبي لم يتشتت بسبب كلامه مع أمه الباكية ووالده المتوتر... أضاء المكان الذي فيه رامي فجأة... طرفت عينا رامي طرفة سريعة... كان الدكتور يتوقع أن يبهر الضوء الشديد المباغت عيني رامي، لكن رامي تجاوز الإبهار بطرفة عين خفيفة... شعر الدكتور بالحيرة، وباغت رامي بالسؤال: هل أنت متعب يا رامي؟ فأجابه بالنفي.

قرر الدكتور عمر أن يبدأ اختبارًا أصعب... كبس زرًا أمامه، سمع رامي صوت دقدقات تأتي من خلفه... انتفض لها... بعد ثوان وقعت أخرى... بعد ثوان الثالثة... الرابعة... أخذت الدقدقات تزداد قوة... سرعتها تتزايد... السرير الواقف يرتجف في مكانه... كبس الدكتور زرًا... السرير ورامي يرتجفان بسرعة... الرهبة زالت عن رامي وأخذ يضحك صائحًا: لعبة ممتعة... السرعة تزداد إلى الحد الأقصى كما هو

موضح أمام الدكتور عمر... عينا الدكتور لا تكادان تلاحقان سرد النتائج أمامه... استمرت العملية لمدة خمس دقائق... بعدها ظهرت النتائج المجمعة أمام الدكتور: أجهزة الجسم مستقرة... تركيز العين أقل بما يعادل العشرين بالمائة... لفتت هذه النتيجة انتباه الدكتور... حك رأسه وهو يقول: الضوء... نعم، إنه الضوء... تركيز العين انخفض مع الضوء... العضلات تعمل بكفاءة عالية... ضرب الدكتور رأسه، واهتز جسده قائلاً: الضووووووء.

رفع الدكتور مستوى الضوء الأبيض لدرجة أعلى، وبدأ الجدار يتحرك إلى الخلف، وباغت رامي بالسؤال عن الجدار فأجابه بأن الجدار في مكانه، فردد الدكتور: ممتاز، ممتاااز، ثم رفع مستوى الضوء أكثر، وكرر السؤال على رامي، فأجابه رامي، بأن الجدار مكانه، سأله إن كان يشعر بالغثيان أو الدوار، فأجابه بالنفي، فسأله السؤال العام: بماذا تشعر؟ فأجابه رامي بأنه يشعر بالجوع، وبأنه يريد أن يتبول، فسأله عما إذا كان يستطيع أن يصبر، فأجابه رامي بأنه يستطيع، وبأنه يريد أن يتبول منذ وصل المستشفى ولم يزل صابرًا.

التقط الدكتور عمر حبات من الشوكولاته وتناولها كأن رامي ذكره بها حين أخبره بأنه جائع، ثم سأل رامي إن كان بالإمكان الدخول في اختبار آخر، فأجابه رامي بهدوء ونفاذ صبر: كما تريد... كتب الدكتور عدة أوامر بسرعة وكأنه يريد أن يغتنم الفرصة.

كبس زرًا فارتفع السرير الواقف عن الأرض عدة بوصات ثم مال إلى اليمين قليلاً، ومن بعد اعتدل ثم مال إلى اليسار قليلاً... مرة أخرى إلى اليمين... مرة أخرى إلى اليسار مع ميل أكثر... إلى اليمين أكثر... إلى اليسار... إلى اليمين... ثم بدأ الدوران حول محوره كالمروحة بعكس عقارب الساعة... الدوران تزداد سرعته... كم تمنى رامي أن يمارس الألعاب الخطرة في الملاهي... الدوران يزداد... رامي يصيح: جميل... رائع... رأى رامي الجدار يتحرك نحو الأمام باتجاهه... كان الدكتور قد حول اتجاه حركة الجدار نحو الأمام... رامي أشد تركيزًا... الدوران يخف تدريجيًا... يتوقف السرير عن الدوران... يبدأ في الدوران في الاتجاه الآخر... يبدأ الدوران على مهل... قلب الدكتور يبدأ في الخفقان، إن الدوران باتجاه عقارب الساعة خطر... تزداد السرعة...

يصل الدوران إلى المعدل السابق... شرع رامي يصرخ: الجداااااار... الجداااار... كان الجدار يقترب منه جدًا... انخفضت السرعة حتى توقف السرير عن الدوران لكن الجدار لم يتوقف عن التقدم بتوقف السرير... باغته الدكتور: ماذا ترى، فأجابه أرى الجدار وقد اقترب جدًا، فسأله: هل يتحرك؟ فأجابه: توقف... كان الجدار يتحرك بنفس المعدل، ومستوى الإضاءة لم يتغير...

امتقع وجه الدكتور، وأخذ يسجل مدوناته... كبس زرًا، بدأ الجدار يتحرك إلى الخلف سريعًا... نتيجة كل هذا افترض الدكتور أن يكون رامي قد تبول لا إراديًا، إلا أنه بسؤال رامي علم أن هذا لم يحدث... طلب الدكتور من الكمبيوتر تقريرًا شاملاً عن الأنسجة... ظهرت النتائج بأن الأنسجة سليمة وبحالة ممتازة.

جاءه صوت رامي: أريد أن أتبول. فسأله: الآن؟ بصوت واثق رد رامي: الآن، فقال له: تستطيع أن تصبر... جاء صوت رامي مكررًا : الآن... بصوت كله تحد رد الدكتور: تبول مكانك... بعصبية رد رامي:

لا، لا يمكن... بتحد أكثر رد الدكتور: لن أنزلك... صوت رامي أشد إصرارًا: ستنزلني... بهدوء اللا مبالي قال الدكتور: لم ننته بعد، ورامي يؤكد: الآن يا دكتور... نهره الدكتور: أنت ولد مشاغب، وعليك أن تنفذ أوامري... بصبر نافذ أجاب رامي: مللت... قهقه الدكتور: مللت أم تعبت؟ فرد عليه وقد استعاد بعض هدوئه: لم أتعب لكنه ألم بسيط في قدمي...

كانت قدما رامي تؤلمانه، فلم يعتد الوقوف عليهما لهذه الفترة الطويلة... صحيح أن اختصاصي العلاج الطبيعي يحرك به سريرًا على فترات، لكنه لم يمر بخبرة كهذه خصوصًا السرير الواقف تمامًا... نسي رامي أنه يريد أن يتبول، ربما لأنه استرجع بعض خبراته مع اختصاصي العلاج الطبيعي الذي يحبه جدًا، لكنه سأل نفسه: لماذا كل هذه الاختبارات؟ ولماذا لم يقم بها اختصاصيو العلاج الطبيعي من قبل وهم الأكثر معرفة به وبحالته... بدأت الآلة تتحرك أجزاؤها، وتتخذ وضعها الأول تمامًا، ودارت مستقرة في المختبر... كانت الآلة تعيد نفسها إلى الاستقرار، فتقدم الدكتور عمر وفصل الأسلاك ورفع الخوذة عن رأس

رامي، وابتعد ليدون بعض الملاحظات بينما يتقدم السرير إلى الأمام ويتحرك الحامل المعدني ليدخل بين السرير والجدار وتبدأ آليًا عملية عودة السرير إلى كرسي متحرك، هنا أطلق الدكتور حزمًا من الأضواء الباهرة، لتسقط مباشرة على وجه رامي الذي استقبلها بطرفتين سريعتين... وجاء السؤال المباغت: ماذا ترى يا رامي؟ والإجابة كانت: أراك يا دكتور، وأرى كل ما في المختبر... لم يظهر الدكتور أي رد فعل لقاء هذا الجواب، لكنه دونه ولونه، وخطط تحته ريثما بدأت الأحزمة الشفيفة تحرر رامي.

جاء الدكتور وطبع قبلة على رأسه قائلاً: أنت بطل يا رامي، وأنا سعيد أن يكون لي صديق يعتمد عليه... علل الدكتور عباراته التي استفز بها رامي بأنها من ضرورات الفحص، وأنه يعتذر إن كانت سببت لرامي الضيق... ابتسم له رامي بينما كان يخرج له منشفتين من إحدى الخزانات قائلاً هذه خزانة تعقيم... في هذه الأثناء كانت ماسحات ضوئية تمر بجسد رامي... ناوله الدكتور واحدة يزيل بها ما على جسده من زيوت، كانت أصغر من الأخرى التي لم يناوله

الدكتور إياها، ثم تناولها من يده بعد أن مسح بها صدره وبطنه، على أن يساعده في تنظيف ظهره، واشترط عليه رامي أن يزيل هو ما على فخذيه وساقيه، فوافق الدكتور، وكان الدكتور قد مسح بها رأسه ووجهه... بعد أن أزال رامي كل آثار الزيوت بسهولة من على جسده، تناول الدكتور المنشفة من يده، ووضعها في كيس بلاستيكي خاص، أغلقه بملصق، ووضعها في خزانة أخرى مجاورة للأولى... أثناء هذا كان رامي قد انتقل من على الكرسي الخاص بالمختبر إلى الجلوس على كرسيه... أرشده الدكتور إلى حمام ومرحاض ملحقين بالمختبر، وانتظره عند الباب، حتى خرج رامي وقد غسل وجهه، وارتدى ملابسه.

المرافقة اصطحبت والدي رامي إلى مكتب الدكتور عمر، الذي دخل عليهما برفقة رامي بعد عشر دقائق من الانتظار... هرعت الأم عن مقعدها مستقبلة ابنها بالأحضان والقبلات وكأنه غاب عنها عامًا كاملاً، في حين إنه لم يغب عنها غير ساعتين ونصف الساعة... وقف السيد مراد مصافحًا الدكتور عمر الذي همس على عجالة في أذنه: هذه هي الجولة الأولى، نحن أمام فتح علمي كبير يا صديقي... تماسك السيد

مراد لهذه العبارة ولم يرد أن يفصح عما وقع في قلبه من قلق ، بل ابتسم وتوجه إلى رامي مربتًا على رأسه.

جلس الدكتور عمر إلى مكتبه ووضع نظارته أمامه، ومسح على تفاصيل وجهه الممتلئ براحتي يديه، وبهدوء وجه الكلام للجميع عاقدًا معهم اتفاقًا على أن يبقى كل ما دار في المستشفى سرًا، وكذلك ما سيكون في الجولات القادمة من الفحوص، ونبه بجدية ألا تصل أية أخبار إلى أي إنسان، فوافق الجميع على هذا الاتفاق، وكانت موافقة السيدة مريم مجرد إيماءة وعيناها تستفهمان بأسئلة كثيرة، لكن الدكتور عمر لم يجعلها تنتظر طويلاً فقد أخبرها أن رامي بطل قوي، لا يعاني أية أمراض، ولم يجد من خلال الفحوص أي شيء طارئ، أو أي طفرة، وليس لها أن تقلق كل هذا القلق، فكل ما هنالك أن أنسجة جسم رامي نشطة، وهذه ميزة تريحها من مداواته وعلاجه كلما مرض أو جرح، كما أن نمو رامي طبيعي جدًا... بهذه العبارات حاول الدكتور عمر تمرير الأمر على السيدة مريم، إلا أنها لم تسمح بهذا فقالت له هذا الكلام زاد من قلقي على رامي، مما يستدعي أن تكون صريحًا معنا.

لم يجد الدكتور عمر أمام هذا الحصار بدًا من يكون صريحًا بعض الشيء، فقام إلى الشاشة الكبيرة في الغرفة، واستعرض أمامهم تفاصيل جسم إنسان وقال: كل جسم يتركب من خلايا ووصلات، وكل جسم له طاقة تحكمه، والدماغ هو الذي يدير هذا الجسم، وهذا ما يقوله العلم في حدود نتائج الأبحاث، لكن لكل جسم أسرار لا يمكن للعلم أن يصل إليها ما دامت لم تظهر على طبيعتها، وبعد ظهورها يبدأ العلم في البحث عن أسبابها، والعوامل المؤدية إليها والمؤدية لهذا الظهور ثم يبدأ في إجراء تجارب لتطوير الحالات المفيدة، أو إيجاد علاجات للظواهر الضارة، ونادرًا ما يحدث ونجد جسدًا تتكامل فيه كل العناصر حيث يكون الجسد متكاملاً أو بصورة مبسطة كل المصانع فيه تعمل بكفاءة، وهذه المصانع، هي التي تدير حيوية الجسم وطاقته، صحيح أن العلم وصل إلى دعم هذه المصانع الجسمية وتنميتها، وتنشيطها، واستحدث طرقًا لتنمية الأنسجة وتطويرها إلا أن لها أسرارًا كلما اكتشفنا سرًا ازداد غموضًا تمامًا مثل الكون الفسيح من حولنا كلما سافرنا فيه ازداد بعدًا، وهكذا هذا البطل الصغير رامي إنه كون من الأسرار التي ربما ستجعل العلم يعيد النظر في كثير من نظرياته، إنه جميل، قوي، ذكي،

شجاع، وأنا أحببته، وأحب أن أكمل فحصه بعناية لصالحه، ولصالح العلم... هبت السيدة مريم واقفة وكادت أن تهجم على الدكتور عمر حين سمعت كلمة العلم، وكذلك ارتعد السيد مراد، إلا أن الدكتور قد فهم، وأقسم متعهدًا أنه لن يمارس أي عملية تجريب على رامي، بل إنه سيساعد رامي على تنمية مهارات لديه لا تتوفر لغيره، فالمؤكد أنه سيكون بطلاً يتحدث عنه الناس بفخر.

* * *

الآن الكلام موجه من الدكتور عمر لرامي الذي كان مشدوهًا لما يقوله الدكتور... أنت رجل يعتمد عليه، وأعرف أنك لن تنقض اتفاقي معك الذي عقدناه معًا تحت أي ظرف، وليس هذا لمصلحتي أنا بل لأجلك ولأجل تحقيق أحلامك... لامست العبارة عواطف رامي فهو بالفعل يتمنى أن يحقق الكثير من الأحلام... لم يزل الدكتور يكمل كلامه قائلاً: إذا كنت قد مررت باختبار قاس، فالذي ستمر به من الآن هو أصعب الاختبارات، فكثيرًا ما يكون الكتمان أصعب اختبار يمر به إنسان، لكنه في الوقت ذاته أفضل وسيلة لتحقيق الأهداف.

ابتسم رامي شاعرًا بأهميته وهز رأسه بالإيجاب، ومد يده ليصافح الدكتور عمر، علامة على تأكيد الاتفاق وتدعيمه بالاتفاق الجديد... بينما ينصرف الثلاثة همس الدكتور عمر للسيدة مريم: أتمنى لو تكرمت جمع كل التقارير عن حالتك الصحية أثناء الحمل، والتقارير الخاصة بولادة رامي، وتقارير متابعته بعد الولادة، كما أرجو أن ألتقيك والسيد مراد في الموعد الذي يناسبكما خلال هذا الأسبوع.

لحظة أن خرج الثلاثة في سبيل مغادرتهم المستشفى أسرع الدكتور عمر إلى مقعد خلف طاولة جانبية، عليها جهاز كمبيوتر وأخذ يتمتم: رامي... الأنسجة... التركيب... الكاميرات... ضغط زرًا فأزيح ستار عن شاشة كبيرة وبدأ العرض... كان يتابع كل حركة من حركات رامي، وكل ردة فعل صدرت عنه... العروض أمامه مقسمة بحسب المساقط، يرى من مساقط علوية وسفلية، ومن الجهات الأربع الأمامية والجانبية.

ارتعب الدكتور عمر حين ظهرت على رامي تلك الكدمات ذات اللونين الأحمر والأزرق التي تنشأ على جسد رامي في مناطق

الارتدادات والضغط، تلك الكدمات لا تلبث أن تظهر حتى تختفي من فورها في حين أن المتعارف عليه أن تبدأ الكدمة حمراء ثم تتحول إلى اللون الأزرق، فالأزرق الداكن، وتستمر لوقت طويل مع العلاج... فكر الدكتور مليًا في هذا الأمر ثم دون: إن هذه الظاهرة في العادي تكون مستحيلة الحدوث، لم أرها من قبل، ولم تسجلها الكتب، ولا يمكن وفق العلم أن تحدث، فاللون للكدمة يتطور من بدء الضربة وحسب قوتها والمكان الذي تعرض للكدم، كما أن لكثافة الشعيرات الدموية في المكان من الجسم الدور الكبير في تلون المنطقة المصابة، وكذلك مساحة العضلات وقوتها وقدرتها على التحمل، الأمر في مجمله خاضع لمساحة الشعيرات ومستوى التهتك الحادث لها تحت الجلد... حالة هذا الصبي محيرة وفوق ما تعلمناه، إن أوعيته الدموية تعيد بناء نفسها ولا يبقى أثر لتجلط الدم تحت الجلد، فكيف يحدث هذا؟

شيء آخر استوقف الدكتور في الفيلم، وهو توافق جسد رامي وأنسجته الخارجية مع سرعة الدوران الفائقة... يظهر الفيلم وجود طبقة دهنية خفيفة بدأت تكسو جسم رامي تزداد لزوجتها، كلما ازدادت

سرعة الدوران... لم يقصد الدكتور اكتشاف هذا، فلم يكن ضمن فروضه... ترك الدكتور هذا الكمبيوتر بسبب ما رأى وبسرعة عاد إلى المختبر الكبير... فتح الخزانة التي كان قد وضع فيها المنشفة التي مسح بها رامي جسمه كله، كانت أبخرة تعالج هذه المنشفة، بعضها انطلق حين فتح الخزانة، وضعها على لوح مسطح لميكروسكوب ضخم في ركن من أركان المختبر، وعاد إلى طاولة الشاشات يعطي الأوامر، فتحركت مجموعات من العدسات تمسح المنشفة في كل خلية من خلاياها، لتظهر أمامه نتائج أبهرته، تمثلت في أن الزيوت التي دهن بها جسم رامي والتي كانت مساعدة لعمل الأشعة وحامية للجسم من تأثيرها، لاحظ أن هذه المادة لا أثر لها في الفحص، لقد زالت تمامًا، والعالق الآن بالمنشفة عناصر بروتينية نشطة ناتجة عن إفرازات الخلايا مختلطة بإفرازات الغدد العرقية... دون الدكتور: وهذه ظاهرة أخرى جديدة تتمثل في النشاط البروتيني، الذي ارتبط بالخلايا العصبية والجهاز العصبي الدفاعي... من فوره أصدر الدكتور أمرًا بأنه لن يستقبل أية حالات هذا اليوم لأنه مشغول... أعاد التفكير وعدل القرار بأنه متفرغ لتجارب مهمة لثلاثة أيام، يمنع على أي أحد إزعاجه، وعلى الإدارة الاعتذار عن أية مواعيد إلا بأمر شخصي منه.

مرة أخرى عاد إلى مكتبه يعيد متابعة المعروض على الشاشات، فأدار فيلمًا آخر كان الفحص المسجل فيه قائمًا على الفحص الداخلي بالأشعة فلاحظ أن العظام لم تتأثر بالدوران الشديد، ولاحظ أن مرونة أربطة المفاصل ليست ثابتة فكلما ازدادت سرعة الدوران تيبست الأربطة حتى تصير والعظام كأنها كتلة واحدة، هذا التماسك ليس على درجة واحدة في كافة المفاصل وإنما بدرجات متفاوتة، فساقه هذا إلى تقارير طاقة الدماغ، فاكتشف أن مستويات الطاقة في الدماغ متفاوتة في درجات الإشارة للمراكز العصبية... سحب الدكتور نفسًا عميقًا أتبعه بزفرة طويلة، ووضع يديه وراء ظهره، وهو ينظر فيما أمامه من تقرير، وللحظة كأنه نسي كل ما يقوم به، بعدها تذكر أمر المثانة فعاد يمحص الجزء الخاص بها فاكتشف أن حجمها أكبر بقليل من الطبيعي، لكن الأهم أن قدرتها على التمدد تفوق بكثير أي مثانة عادية وقادرة على حمل كمية من البول أكبر خمسة أضعاف من المثانة العادية.

فتح بابًا صغيرًا يفضي إلى غرفة ضيقة ليس بها غير فراش بسيط على الأرض ووسادة ولها نافذة وحيدة، فتحها قليلاً واستلقى على الفراش... هو غير نادم على أنه لأول مرة يرجئ أعماله أو يسند بعضها

إلى زملائه لأنه يدرك أنه أمام اكتشاف علمي سيفيد البشرية... بدرت له أمنية بينما هو مستلق، إنه يتمنى الآن أن يستطيع إشفاء رامي نهائيًا من الشلل ليجري ويمرح، لكن كل الشواهد والأدلة أمامه تنسف هذه الأمنية، أما الذي أراحه هو أنه وجد رامي مستقرًا ولا يمثل له الشلل أية منغصات في حياته، وهو بهذا فتى نادر لابد أن يكون قدوة للآخرين فلا يعترفون بأن هناك ما يمكنه أن يعيق الإنسان عن السير في الحياة وإنجاز ما يكلف به، بل هو متفوق أيضًا وموهوب يمارس العديد من الهوايات ببراعة... هز رأسه وهو مغمض العينين قائلاً: هذه إرادة الله، لكن هذه الإرادة في حد ذاتها تفتح لنا نوافذ لإيجاد علاجات لهذه الحالات.

٦-بعض اللقاءات تحمل الخير الكثير

كان رامي في تلك الأثناء مع والديه قد وصلا إلى مركز (my choice اختياري) لشراء الحلوى والعصائر لتقديمها لضيوفهم الذين سيزورونهم مساء، هذا المركز من أهم وأفضل مراكز صناعة الحلوى وتسويقها، وعلامته التجارية ذات مكانة عالمية... دخل السيد مراد موقف السيارات... ناوله رامي بطاقة ممغنطة أخرجها من حافظته الجلدية الخاصة... وضعها السيد مراد في آلة فانفتح للسيارة الحاجز المكتوب عليه: (خاص لذوي الإعاقة) وبينما ينهي إيقاف السيارة عقب قائلاً لم يبق غير عدد قليل جدًا من المواقف تستعمل فيها الحواجز العادية اليدوية، وعلى الرغم من أن الأغلب من الناس يحترمون علامة المعاق إلا أنه من الرائع أن يكون هناك نظام عالمي محترم يحفظ خصوصية ذوي الإعاقة وأبسط حقوقهم، كان ينهي عبارته هذه بينما ينزل كرسي رامي من الصندوق الكبير للسيارة، ويجهزه له للاستعمال.

تقدم الجميع باتجاه المركز الذي يشبه تصميمه قطعة من كعكة الشوكولاتة مع الكريمة والفواكه، وإلى جانبها كوب عصير أنيق... صعد رامي مستعملاً المدرج الخاص بالمعاقين دون مساعدة من والديه اللذين استعملا درجات السلم العادية... استقبلهم عند الباب التمثال المتحرك الذي يشبه رأسه كرة الآيس كريم، ويشبه جسده مخبوزات الفواكه على شكل موزة ضخمة، أما يداه فإحداهما قطعة شوكولاتة بيضاء والأخرى بنية ، ويخرج مما يشبه الجيب قطعة شوكولاتة باردة يقدمها لكل من يمر به، وكلما التقط واحد القطعة من يده ينفتح له الباب... وككل مرة يأتون إلى هنا تكرر الأم عبارتها المعهودة: إنه نظام ضيافة ممتاز، لكنها هذه المرة لم تقلها، إلا أن رامي ذكرها بها مردداً إياها بنفس طريقتها في إلقائها تلك الطريقة الفخمة في إلقاء العبارة مع ما يتناسب والموقف، هنا فقط ابتسمت الأم ردًا على ابتسامة رامي المحرضة الدالة على أنه يشعر بمعاناة أمه التي تحبه، بينما ضحك الأب ضحكة لها صوت ودلالة... لقد اشترك هو وأبوه دون ترتيب لإسعاد السيدة مريم.

تقدموا في صالة العرض التي تشبه صالات عرض الفنون والتحف، فأكثر المعروضات فيه من الحلوى والمخبوزات تشبه القطع الفنية... العمال هنا مهرة في كل شيء... اختارت السيدة مريم الأصناف التي رأت أنها مناسبة، بأن وضعت بطاقة المركز في كل ماكينة أمام نافذة العرض محددة عدد القطع التي تريدها منه، أما رامي الذي كان يستعمل بطاقته الخاصة فقد اختار الأنواع التي يفضلها من الشوكولاتة، والبيضاء منها، التي يحبها، واختار بعض الأصناف التي على شكل عصافير صغيرة، وأخرى تشبه السيارات، ولأنه يعلم أن الماكينات هنا ذكية، في الحقيقة ليس هنا فقط وإنما في كل المحلات والمراكز التي تبيع العصائر والمأكولات للأطفال، فهذه الماكينات ترفض بيع أصناف معينة للأطفال وفق السن ووفق الشبكة المتصلة بالدوائر الصحية والمدارس لذلك طلب إلى أمه أن تختار وتدون من بطاقتها كميات إضافية ليقدمها لحفيد السيدة فريال... بعد أن انتهوا من تحديد اختياراتهم وكميات ما يريدون، كان العمال قد وضعوها في العلب الأنيقة، وتوجه السيد مراد حاملاً البطاقتين لدفع ثمن ما اشتروا، بينما كان رامي كالعادة يتأمل النوافذ الأنيقة التي تشبه ألواح الحلوى، والنافورة الصغيرة الجميلة التي تصب ماء يشبه أنواع العصائر التي

يقدمها المركز في ركن العصائر، وفي كل مرة يندهش رامي لتغير اللون النازل من كل صنبور مع ظهور اسم الصنف مكتوبًا في الهواء بنفس اللون صغيرًا ومع ارتفاعه يأخذ في الكبر حتى يتلاشى كالأبخرة... حمل رامي الأصناف التي اختارها، وحمل السيد مراد بقية العلب مغادرين المركز.

في البيت دخل الجميع إلى المطبخ بعد أن بدلوا ملابسهم، وبينما كان رامي يساعد أمه في بعض الأمور البسيطة كان والده جالسًا إلى الطاولة يراجع بعض المعلومات في إحدى الدوريات العلمية... تناول الجميع غداءهم في المطبخ، الغداء اليوم كان مكونًا من الشوربة مع الفطر، وقطع الدجاج المقلية، مع السلطة الخضراء والمعكرونة.

في سيارة رياضية حمراء أنيقة كانت السيدة فريال لا تكف عن الكلام عن رامي وأخلاقه الطيبة وشجاعته وتصف لابنها سامر، وحفيدها أمل كيف سيستقبلهم بابتسامة رقيقة وتؤكد لهما أنهما سيحبانه جدًا... السيد سامر يستمع إليها من خلال أفكاره، وأمل

يعبر عن تمنيه لأن يرى هذا الذي تحكي عنه جدته... أمل في الصف السادس، متفوق في دراسته، وشديد الإعجاب بوالده، وكثيرًا ما يذهب معه إلى المركز الصحي الذي يديره ، وهناك يمارس التمرينات الخاصة باللياقة.

عند السابعة مساء كان رامي قد انتهى من ارتداء ملابسه الأنيقة، وأمسى بيتهم أنيقًا، وكل شيء مرتب بما يليق واستقبال الضيوف... رن جرس الباب معلنًا وصول الضيوف، فتقدم الجميع إلى الباب ليكونوا جميعًا في استقبالهم... كانت السيدة فريال حفية جدًا برامي، فعانقته بحرارة المشتاق وقبلته قبلات عدة... قدمت السيدة مريم العصير للضيوف، بينما كانت السيدة فريال تعيد على مسامع الجميع قصة الحقيبة ومطاردة رامي للص حتى بدت علامات الخجل على وجهه لكثرة الإطراء عليه... مال عليه أمل الذي كان يجلس في الكرسي المجاور له قائلاً: جدتي لا تكف عن الحديث عنك حتى إنني تمنيت أن أراك، وها أنا أجلس إلى جوارك وأتمنى أن نكون أصدقاء، وأن أعرف عنك المزيد... شهقت السيدة مريم، فانتبه الجميع وهي تشيح

بيديها في الهواء قائلة: هدية رامي يا سامر... ضحكت ضحكتها الجميلة قائلة: هيا هيا هدية ابننا الرائع البطل... ابتسم السيد سامر، وهو يمد يده في مظروف في يده مخرجًا منه بطاقة اشتراك مكتوب عليها (مدى الحياة) إنها بمثابة عقد انضمام للمركز الصحي الذي يديره... قام عن مكانه متقدمًا نحو رامي وقدم له البطاقة معلنًا عما بها... قبل رامي في جبينه فصفق الجميع، والسعادة المصحوبة بالخجل بادية على وجه رامي... تحرك رامي مع نظرة في البطاقة وقدمها لأمه التي نظرت في البطاقة وتهللت، وبصوت ليس خفيضًا قالت: هذا كثير جدًا، كثير جدًا إنه مركز (أجسامنا أمانة) إنه المركز الصحي الأشهر، وأكثر المشاهير من الأبطال والشخصيات العامة مشتركون فيه، فعقب السيد سامر بأن رامي يستحق، مضيفًا أن هذا الاشتراك يسمح لرامي بساعتين أسبوعيًا، وسيخصص الوقت من الخامسة إلى السابعة صباحًا له، ففي هذا الوقت لا رواد يأتون إلى المركز وسيكون العمل فقط لحساب السيد رام ابننا الحبيب... موجة تصفيق أخرى بدأتها السيدة فريال عمت المكان وفرحة غامرة على وجه رامي الذي شكر السيد سامر قائلاً: أنا أشكرك جدًا، وممتن لهذه الحفاوة التي تليق

بإنسان مرموق وشخصية شهيرة، وسعادتي التي تفوق سعادتي للحصول على هذا الاشتراك هي أنني تعرفت إليك وأجلس معك الآن أما السيدة فريال فقد قدمت لي هدية غالية جدًا إذ عرفتني على صديقي أمل، وأملي أن يبقى صديقي مدى الحياة أيضًا... هلل أمل فرحًا بعقد الصداقة الذي أبرم حالًا وقال: ها هو البطل وافق على طلبي بأن نكون أصدقاء، وبشموخ قال: هكذا الأبطال لابد أن يجدوا الفرصة لأن يلتقوا ويتعارفوا، وأنا من الآن سأستحوذ على حقيبة جدتي التي عرفتنا بصديقي رام...

* * *

بين تهليل وضحك الجميع كان أمل قد ترك مكانه ليهمس في أذن والده الذي ابتسم بفرح له قائلاً: أحسنت الاختيار يا أمل، هل تخلصت الآن من حيرتك؟ ثم عقب: لكنك ستدفع ثمنه... بمرح وثقة قال: موافق، مستعد، ورصيدي يسمح... الحاضرون يتبادلون النظرات ومهتمون بهذا الحديث الدائر بصوت خفيض... تفرست الجدة في وجهيهما قائلة: وجدت الهدية يا أمل وستسدد ثمنها لأبيك؟ ورصيدك يسمح؟ بزهو رفع أمل يده للأعلى قائلاً ويزيد يا جدتي، فردت عليه

سائلة: وكم ادخرت؟ عاد إلى مكانه، وجلس ليقول: العلامات الكاملة في اختبارات الأسبوع الخامس، وأربعة موضوعات في مجلة العالم الصغير، وانتهيت من قراءة كتاب (وحوش الغابات الكونية) بعفوية صاح رامي: أنهيته؟ هل هو عندك؟ نظر إليه أمل قائلاً: في الحقيقة هو هدية البروفيسور (ج.أ) لوالدي وسمح لي بقراءته... نقل رامي نظره نحو السيد سامر سائلاً بسعادة: البروفيسور (ج.أ. تمام) صديقك يا سيد سامر؟ فأجابه بكل حب: نعم. هل تعرفه يا رامي؟ أجابه رامي بثقة: نعم أعرفه وأنا الآن أقرأ الكتاب، كما أن ابنته زهرة زميلتي في المدرسة... هز السيد سامر رأسه بزهو قائلاً: أها أنت في مدرسة (عالم واحد) ممتاز يا رامي، ممتاز، هذا أكبر دليل على أنك بطل فعلاً وموهوب، وفائق... بينما كان يدور هذا الحديث كانت السيدة مريم قد عادت من المطبخ تحمل أطباق الكعك مع الشاي، فاستأذن رامي لدقيقة، عاد بعدها من المطبخ يحمل علب الشوكولاتة ليقدم منها لأمل، وقد انتبه رامي إلى أن أمل يحب الشوكولاتة التي على شكل سيارات.

فتح معه أمل الحديث حول الكتاب فتجاوب معه رامي فتناولا موضوع تكون الغابات الكونية وأنها في البداية كانت تتكون في طبقات

الجو العالية جدًا والتي لم تصلها السفن الفضائية لكنها ليست خارج المجرة، ربما كانت في البداية خارج الغلاف الجوي للأرض، ونشأت نتيجة للأبخرة المنبعثة من الكواكب والإشعاع والغبار الكوني، وأن اسم غابات هو مسمى مجازي أطلقه عليها البروفيسور طومسون لما لاحظه من تشابكات بين صخورها المتحركة الآخذة في التكوين... نوه رامي إلى أن النباتات في هذه الغابات حديثة النشوء كما قال المؤلف وأنها ليست كنباتات الأرض وإنما لها خصوصيات تتعلق بجذورها وجذوعها وأوراقها، فالجذور قوية جدًا قادرة على النمو في الوسط الصخري الخاص، وكما أن هذه النباتات قادرة على تكوين قشرة حجرية لتقاوم الحرارة العالية المنبعثة من التربة والبرودة الكونية التي لا يمكن التكهن بمواعيد حدوثها، إلا أن مؤلف الكتاب يكاد يجزم أن الكربون أحد أهم أسباب التقلبات في جو هذه الغابات.

حاول أمل أن يتطرق إلى طبيعة الوحوش التي تعيش في هذه الغابات وأن يتحدث عن أوصافها كما جاءت في الكتاب، إلا أن رامي اعتذر له بلطف عن استعراض هذا الباب من الكتاب لأنه لم يصل

إليه بعد، ولا يحب أن تشوش على أفكاره قبل أن يقرأ ، فوافق أمل بسرور، وقد وعده رامي أن يناقشا الفصل فور أن يقرأه رامي... كانت مشاهد الوحوش التي رآها رامي تخترق مخيلته الآن ويتمنى أن تتوافق مع ما أورده المؤلف في كتابه كي يكشف له الكتاب غوامض يتمنى أن يعرفها.

استطاع رامي أن يعوض أمل النقاش بأن افتتح حديثًا عن مترجم الكتاب وابنته زهرة زميلتهم المستجدة في المدرسة، واصفًا إياها بأنها أضافت لفريقهم زهرة جميلة بالفعل فهي رغم صغرها إلا أنها ذكية وموهوبة، تحب الموسيقى، وتتقدم بسرعة في دراستها، وليست من الأطفال الذين يضيعون أوقاتهم هباء، وإنما تقضي وقتها في المدرسة فيما هو مفيد، كما أنه أحب والدها أكثر حين علم أنه مترجم كتاب وحوش الغابات الكونية، علاوة على أنه معجب بالموتوسيكل الذي أنتجته الشركة التي يعمل فيها، رد أمل: وأنا أيضًا وأتمنى أن يكون لي واحد...

وجه أمل الكلام إلى والده: أبي، أين ما اتفقنا عليه منذ قليل؟ طلب السيد سامر أن ينتبه إليه الجميع، وحين انتبهوا له، تنحنح

ووجه الكلام لأمل قائلاً: فلماذا لا تكون أنت صاحب المبادرة بما أنك صاحب الفكرة؟ وافق أمل وقام عن مكانه واقفًا في مواجهة رامي قائلاً: هل يسمح بطلنا الرائع أن أقدم له هديتي والتي هي أحدث كرسي متحرك أنتجته شركة الأجهزة الطبية التي يمتلكها أبي والذي دفعت ثمنه منذ قليل أمام الجميع؟

نظر رامي ظل شاخصًا ولم ينبس بكلمة واحدة، أما أمه السيدة مريم فلم تزد على أن كررت بذهول: لا. لا. لا... أما السيد مراد الذي احتقنت الدماء في وجهه فقام واقفًا موجهًا كلامه للسيد سامر: هذا كثير يا سيد سامر، كثير جدًا، أنتم تغرقوننا في كرمكم، ولا أعرف إن كان من الممكن أن نقبل هذه الهدية الباهظة الثمن أم لا، والأقرب أن أقول لا، لكن أمل تدخل في الكلام قائلاً: لقد علمني أبي أن أكون صاحب قرار فيما يمكنني أن أكون صاحبه، وأنا الآن صاحب هذا الكرسي يا سيد مراد، وبما أنني صاحبه، وبما أن لي شخصيتي المحترمة طبعًا كما ترى، فإنني قد أهديته لصديقي رامي، وأرى أن له شخصيته هو الآخر وأراه صاحب قرار وبما أننا لا نحب أن نغضب الكبار فعلى

الكبار ألا يغضبونا، وهذا يعني أنك لن تغضبني برفض هديتي... كتم الجميع القهقهة، وما كان من السيد مراد إلا أن تقدم من أمل وصافحه مصافحة الرجال وكأنهما أنهيا إبرام صفقة ناجحة.

بصوت جاد قطع الضحك والتصفيق قالت السيدة فريال: هذا الاتفاق معلق بقرار مشترك بيني أنا ورامي، فعليه أن يقبل بأن يهديني كرسيه هذا ليبقى عندي تذكارًا... انفجر الجميع في التهليل والتصفيق بما فيهم رامي الذي بدت عليه كل أمارات السعادة... وقالت السيدة فريال رامي حفيد آخر، وأسرتكم أسرة رائعة... نقلت نظرها بين ابنها وحفيدها قائلة: أرأيتم الآن أنني كنت على حق وأن رامي يدخل القلب ويستقر فيه بلا استئذان؟!

نظرت في ساعتها قائلة التاسعة لم يبق غير ساعة على موعد نوم أمل وعلينا أن نغادر الآن... نظر الجميع في ساعاتهم، وبلا ترتيب قالوا: مر الوقت سريعًا، فعلقت السيدة مريم: يقولون هكذا هي الأوقات السعيدة... وقفوا للوداع فهمست السيدة فريال للسيدة مريم بضرورة

التواصل وأن ابنها سامر لا يهتم إلا بعمله وقلما يرتاح للغرباء وأنها الآن تشعر بسعادة إضافية لأنه تجاوب مع هذه الأسرة، وهذا مؤشر جيد للتواصل المستمر كما أن لديها مساحات شاسعة من وقت الفراغ تسمح بالتلاقي وتوطيد العلاقة بين رامي وأمل بما أنهما صارا صديقين.

٧-انضمام مصطفى العالم

انهمك رامي في إنجاز واجباته التي كان من الضروري إنجازها في تلك الليلة الباردة حتى إنه لم ينتبه إلى بعض النكات التي كان يطلقها يوسف من وقت لآخر، لكن يوسف لا يغضب من رامي إذا لم ينتبه لنكاته أو يشاركه فيها فبينهما اتفاق دائم على عدم الغضب إذا لم يشارك أحدهما الآخر أمرًا غير جاد وضروري أثناء القراءة وعمل الواجبات المدرسية... بينما يرسل رامي واجباته عبر البريد الإلكتروني قبل الوقت المحدد لها بخمس دقائق وجد رسالة في بريده من عنوان غير عناوين المدرسة... فتحه بعد أن تأكد من اعتماده من النظام الآلي للمدرسة، وما كاد يفتحه حتى تهللت أساريره وفتح فمه على اتساعه حين رأى الصور الواردة على البريد... إنها صور الكرسي الجديد الذي أهداه إياه صديقه أمل سامر... الصورة تظهر الكرسي من عدة جوانب، إنه فعلاً رائع يمتاز بدعامات قوية وإطارات متطورة مركبة بواسطة حوامل ووصلات مكتوب أمامها: قابلة للتطوير والتحويل إلى النظام الكهربائي، وقابل للتحويل إلى النظام الرياضي الخاص بالتسابق... فتح

رامي فمه إلى آخره وهو يرى الصور والبيانات التي أمام الأجزاء... أشار بيده في الهواء لعل يوسف يرى الإشارة، وقد رآها فأقبل عليه وهو يشير نحو شاشة الكمبيوتر فسأله يوسف عما يرى فقرأ عليه الرسالة المرفقة:

عزيزي رام؛

بداية أنا سعيد لأنك طوال الشهر الماضي تداوم على زيارة المركز الصحي والمدرب هناك يثني على أدائك الرياضي ويسعدني أن أرسل إليك صور الكرسي الذي أهداه إياك صديقك أمل، وقد روعي فيه أن يكون مطابقًا لأحدث القياسات العالمية المتطورة والشركة تصنع منه وفق الطلب لهذا راعينا أن يناسبك تمامًا، وسيصلك في فترة أقصاه شهر.

أتمنى أن تكون قد قرأت البيانات،وراق لك الكرسي، مع أمنياتي بالسعادة وأن نلتقي قريبًا.

المخلص: سامر

سأله يوسف عن أمل وعن سامر، فقص عليه القصة من أولها باختصار... ابتسم له يوسف ابتسامة كلها حب وقال له: أنت يا رام إنسان شجاع وتستحق أن تكون المقدم دائمًا وأنا أعتز بأني صديقك.

* * *

في المرصد الفلكي كان رامي من بين الطلاب أكثر اهتمامًا بكل ما يقوله الأستاذ إبراهيم حول المسارات الكونية والمسارات التي تتخذ للأقمار الاصطناعية، وتلك التي تتخذ للطائرات بأنواعها... وجه الأستاذ إبراهيم سؤالاً للجميع لينشط ذهنهم: ما المقصود بالملاحة الجوية: رفع رامي يده بسرعة، وحين سمح له الأستاذ بدأ سرد مفهوم الملاحة الجوية...

بعد انتهاء الدرس وجد رامي أن لديه وقتًا مناسبًا بين درس الأستاذ إبراهيم ووقت المطالعة في المكتبة فسأل الأستاذ إن كان وقته يسمح ليناقشه في بعض الأمور... سمح له الأستاذ أن يبقى معه لنصف ساعة هي التي يسمح بها وقته على أن يكون حديثه مختصرًا... وافق رامي، وأخرج من حقيبته كتاب وحوش الغابات الكونية... بهت

الأستاذ إبراهيم حين رأى الكتاب في طبعته الفاخرة بين يدي تلميذه، وسأله بسرعة عن مصدر هذا الكتاب، ومتى حصل عليه... بدت العصبية على وجه الأستاذ إبراهيم وهو يقوم عن مقعده ويقترب جدًا من رامي... لم يمنح الأستاذ تلميذه فرصة ليجيب وباغته بسؤال أكثر حدة: هذا سبب ما كنت تحكيه يا رام؟

احمر وجه رامي خجلاً وقدم الكتاب للأستاذ مفتوحًا على أول صفحة بعد الغلاف ليرى الأستاذ الإهداء الذي كتبه عليه أبوه والتاريخ المكتوب والذي يثبت أن حصول رامي على الكتاب كان بعد تلك الأحداث، وهم أن يقص عليه قصته مع الدكتور عمر، إلا أنه سيطر على انفعاله كي لا يفشي السر الذي اتفق مع الدكتور عمر ألا يفشيه لأي أحد.

ابتسم الأستاذ إبراهيم ابتسامة اعتذار لتلميذه وربت على ظهره، معللا بأنه لم يتوقع أن يقع هذا الكتاب في أيدي الصغار بهذه السرعة، فأضاف له رامي أن مترجم الكتاب هو والد زميلتهم الجديدة زهرة،

وأن له صديق آخر من خارج المدرسة قرأه أيضًا، وأنه شاهد مؤلفه في برنامج تلفازي لم يعجبه، لكن الكتاب أعجبه وأوضح له أشياء جديدة، وأوقعه في الحيرة أمام معلومات يراها صعبة، وتحتاج للإيضاح، لهذا طلب أن يبقى ويسأل... نظر الأستاذ في عينيه، وقال له: أنا سعيد بك جدًا يا رام، فأنت تبهرني بذكائك وحبك للعلم وحبك للمدرسة، كلنا نحبك ونخشى عليك، ونراك تعرض نفسك للخطر، وكي أكون أكثر صراحة معك أقول: كل الشواهد تقول بأن لا أحد يمكنه رؤية ما كنت تصفه، بل والأجهزة المتطورة عالميًا لم ترصد أي شيء مما وصفت لنا، وبما أنك قرأت الكتاب، فلابد أنك عرفت أن المؤلف نفسه يقع كثيرًا في الحيرة أمام المعلومات والرسوم التي تمده بها الأقمار الاصطناعية وأجهزة الرصد، ولا أحد إلى الآن يريد أن يصدقه فيما قال حول الكثير من حوادث الطيران والرحلات إلى الفضاء، لهذا كله الأمر معقد، ويحتاج أن نعقد جلسات كثيرة معك نناقش ما كنت ترى ونحاول ربطه بهذا الكتاب... ابتسم له رامي ابتسامة ذكية وسأله: تربط ما أقول بالكتاب، أم تربط بين ما بالكتاب وما أقول؟ ضحك الأستاذ إبراهيم ضحكة عالية ذات مغزى وقال: تبقى رام ابن هذه المدرسة الذكي الذي نحبه، لكن

ما أطلبه منك الآن أن تبقي أحاديثنا سرية، وأن تحاول ألا تخترق معلومات الكتاب ذهنك وتسيطر عليك.

نظر الأستاذ في ساعته مبتسمًا، ففهم رامي أن النصف ساعة قد انتهت، فاستأذن بأدب في المغادرة، وسمح له الأستاذ الذي توجه إلى مكتبته ساحبًا كتاب وحوش الغابات الكونية، وظل يقلب صفحاته لدقائق، ثم قام إلى غرفة جانبية فسيحة ظهر فيها تلسكوب كبير، وأخذ يديره ويجول ببصره في الفضاء الفسيح والسؤال الذي يكرره: أين أنت يا أيتها الوحوش؟ وأين حدودك يا أيتها الغابات الكونية... كان يردد الأسئلة رغم علمه أن هذا التلسكوب ليس متطورًا للدرجة التي تسمح بالإجابة عن أسئلته.

في المكتبة التقى رامي بسام الذي كان يجلس مع شاب قدمه لرامي قائلاً: هذا مصطفى العالم زميلنا في الصف الثالث عشر، فمد رامي يده مصافحًا وقال: مؤكد أنني أعرفه فلطالما تابعت تفوقه واحتلاله لطاولة الخمسة عشر، وتمنيت أن أتعرف إليه لكني أعرف

أنه دائمًا مشغول بالدراسة والأبحاث وابتسم وهو يقول: وكلنا نعرف جيدًا أن السيد مصطفى لا يحب تكوين العلاقات... ابتسم مصطفى ابتسامة عريضة من وجه تبدو عليه الجدية وقال بلغة واثقة: أنا أيضًا أعرف رام الجميل المحبوب من الجميع ولولا انشغالي الدائم بأبحاث التخرج لتعرفت إليه خصوصًا بعد الأحداث الأخيرة... انتبه سام أن ثلاثتهم يتكلمون بهمس احترامًا للمكتبة لكن هذا الهمس أيضًا ربما يسبب إزعاجًا للآخرين خصوصًا وأن سارة كنت تجلس في مكان ليس ببعيد منهمكة في القراءة فاقترح أن يتحينوا فرصة وقت الغداء لإتمام التعارف والتحدث في أمر مهم وعاجل... بدت علامات الاهتمام على وجه رامي، لكن سام تدارك الموقف قائلاً: لا تقلق يا رام إنه أمر في صالحك وسوف تسعد به جدًا.

توجه رامي من فوره إلى الرفوف وسحب كتابًا عنوانه: عالم بلا ملوثات... توجه إلى حيث تجلس سارة، فحياها في همس، فردت عليه: أهلاً رام، ضيعت وقتًا فلا تضيع أكثر لتتمكن من قراءة الفصول المقررة يا عزيزي... هز رامي رأسه وبدأ في المطالعة وكعادته، تناول

الكتاب من العنوان والمؤلف وهز رأسه فالكتاب عربي ومؤلفه عالم عربي... كانت سارة تقرأ نفس الكتاب وتقرأ نفس النسخة العربية لأن أستاذ تاريخ العلم كلفهم بقراءة هذا الكتاب بطبعته العربية وكانوا قد قرأوه بالطبعة الإنجليزية من قبل... انتبه رامي أن سارة نبهته لأن الوقت يمر فنظر لها خلسة مبتسمًا بينه وبين نفسه فسارة لأم إسبانية وأب إيطالي أما هو فعربي لأبوين عربيين ربما نسيت سارة هذا فحثته على الإسراع في القراءة... أكمل رامي القراءة وهو موقن أن الأستاذ كعادته سيناقشهم في غرفة الدراسة حول الفروق في الترجمة، علاوة على المعلومات التي تضمنتها الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب... انشغل رامي جدًا وهو يعيد القراءة لكن بالعربية هذه المرة ويرى أحلام العلماء حول عالم خال تمامًا من التلوث، وأن الأمر ممكن باستعمال الطاقات البديلة، والفائدة ليست لصحة الإنسان وحده بل إن الفوائد ممتدة إلى استرجاع التوازن البيئي عمومًا، فالأرض ليست ملكًا للإنسان وحده، وإنما بها كم هائل من المخلوقات تحتاج إلى أن تعيش في بيئات مناسبة لها، ما بين الحيوانات والطيور والنباتات، كما أن التلوث ممتد إلى البيئات النهرية والبحرية، وهذا أدى إلى كوارث هائلة أدت إلى انقراض العديد من أنواع الأسماك والكائنات البحرية.

كأن رامي انفصل عن المكان والزمان في لحظة، وارتسمت أمامه صور الكائن الذي رآه فوق الحظيرة، كان أمامه لزجًا كأنها أسلاك وخطوط... الآن الصورة في خياله أكثر وضوحًا بقدر قليل، فالشكل العام بعد ملء الفراغات يؤكد أن الذي رآه ربما كان من أسماك الشيطان... فرك رامي جبينه وسؤال يضج كالجرس في رأسه: وهل تطير أسماك الشيطان في الهواء كما تطير في الماء؟ وأجاب سؤاله: أسماك الشيطان ليست برمائية لتغادر الماء لبعض الوقت... انتهى وقت المكتبة، والأفكار تدور في عقل رامي... لقد دخل المكتبة بعقل محمل بالمعلومات ليخرج منها بعقل محمل بالأسئلة، وبينما يخرج مع سارة وجه لها السؤال: هل مر بكِ أن أسماك الشيطان يمكنها أن تطير في الهواء؟ ردت عليه بسؤال محموم: وهل لكتلة من اللحم تزن ثلاثة أطنان أن تحلق في الهواء؟ هل قرأت عن أساطير التنين يا رام؟ واتسع خيالك لهذه الدرجة؟ ضحك رامي بينما تضحك هي الأخرى مستأذنة إياه أن تدفع به الكرسي، فسمح لها ثم همست إليه بصوت رقيق: عليك أن تصفي ذهنك يا رام فنحن مقبلون على امتحانات، وإلا سأكون أنا الفائقة... قرر رامي بينه وبين نفسه أن يجمع المعلومات عن سمكة

الشيطان لعله يجد في المعلومات ما يربط به بين أفكاره وتوقعاته علاوة على أن هذا الجمع للمعلومات سيفيده وينمي حصيلته العلمية مما سينفعه إذا تعرض لموقف يحتاج فيه هذه المعلومات.

* * *

بعد أن انتهى الجميع من تناول طعام الغداء اتفق سام ورامي ومصطفى أن يخرجوا إلى الحدائق ليتكلموا بعيدًا عن الصخب، وكان أيسر كعادته يرقبهم بغيظ، إنه يغتاظ من اجتماع الفائقين برامي... كان الغيظ يتطاير من عينيه كالشرر وهو يتابعهم خارجين إلى حدائق المدرسة وقرر أن يسترق السمع من بعيد... بدون مقدمات بدأ سام الكلام عن مصطفى وأنه سيتخصص في الفيزياء الكونية... عقب رامي على قولة الفيزياء الكونية قائلاً لا أعرف لماذا يظلم العرب والمصريون وهم من أوائل، إن لم يكونوا أول من درس الفلك والفيزياء الكونية بل وتطبيقاتها... أليست قصائد العرب فيما يسمونه ظلمًا بالشعر الجاهلي دالة على أنهم اهتموا بالفلك وحركة الكواكب... ألم يدرس المصريون القدماء النظام الشمسي وأسسوا عمارتهم العملاقة على أسس

فيزيوكونية؟ وقال لي أبي إنهم برعوا في الكيمياء والتشريح، وربطوا هذا كله بحركة الشمس ودوان الأرض ومواقع القمر... أعجب مصطفى وسام بفكر رامي وارتباطه بثقافته، واطلاعه على ثقافات أخرى رغم صغر سنه، لكن سام علل بأن المعرفة الآن أكثر انتشارًا وصغار اليوم يكتسبون كما هائلاً من المعلومات، كما أن لغتهم في حد ذاتها تطورت في قفزات سريعة، ومعاجمهم اللغوية أكثر ثراء، وافقه مصطفى فيما قال... مرة أخرى أعاد مصطفى الحديث إلى مساره الأول موضحًا لرامي أنه مهتم بكل ما قال حول الأحداث الماضية،ثم أكمل فقال: أنا منذ رأيت منك ما رأيت يا رام، وما رأيت من اهتمامك واهتمام إدارة المدرسة بالموضوع حتى اهتمام الجهات الأمنية يشغلني فهذه ظاهرة ترتبط بأبحاثي من قريب أو من بعيد، لكن الذي أثار اهتمامي أكثر هو ذلك الكرسي المتحرك الذي أخبرني سام بأمره... نظر رامي نحو سام في تعجب، فأكمل سام: نعم أخبرني يوسف أنه رأى صور الكرسي المتطور الذي وصلتك صوره، وأخبرني أنه هدية لك، وهذا أمر أسعدني وأدهشني في نفس الوقت، فالأمور كلها تسير في اتجاه واحد تقريبًا، فمصطفى مهتم بتطوير الكراسي المتحركة لكنه لم يتوقع أن يصل تطورها لهذه الدرجة

التي كلمنا عنها يوسف... ابتسم لهما رامي قائلاً: ولماذا العجلة؟ لابد أنني سآتي به للمدرسة بعد شهر، فقد وعدت السيدة فريال أن أهديها هذا الكرسي الذي أستعمله لتحتفظ به كتذكار... ضحك الاثنان ونطقا بتعليق واحد: صرت مشهورًا يا رام وتأخذ منك النساء التذكارات.

كان أيسر من خلف شجرة يتحرق غيظًا حين سمع كل ما قيل والذي أغاظه أكثر حصول رامي على كرسي جديد، وهذا سيضيف إليه شهرة أكثر من التي حصل عليها بسبب أوهامه وإثارته لفضول كل من حوله خصوصًا مصطفى الذي طرده من المختبر وطلب من الأساتذة تنحيته عن أن يكون مساعده في التجارب المعملية لأنه فضولي أكثر مما يجب أن يكون عليه التلميذ الفاهم كما أنه بين حين وحين كأنه يتعمد إفشال التجربة أو العبث بالنتائج المدونة، كما أنه كثير الاستئذان للخروج من المختبر متحججًا بأعذار واهية، وما ضايق مصطفى أكثر أنه ضبطه ذات مرة يصور أشياء في المختبر خلسة وهذا ممنوع تمامًا في المدرسة إلا في أطر محددة قد حددتها المدرسة وبكاميرات تخص المدرسة ووحدها إدارة المختبرات تحتفظ بهذه الصور.

شعر رامي بأن أحدًا يتابعهم ويرصدهم فتحرك وتحرك معه صديقاه مبتعدين عن المكان وقد اتفقوا على لقاءات ستكون مفيدة ومثمرة لأن أفضل الأعمال هي التي تؤدى من خلال فريق عمل... بدأ المطر يتساقط بغزارة فاستحثوا السير رجوعًا إلى مباني المدرسة ومع أن المطر يغمرهم ويتشارك سام ومصطفى في دفع الكرسي كان رامي سعيدًا جدًا بهذا اللقاء وهذا الاتفاق الذي سينتج عنه فريق عمل ممتاز يضم إليه سام المعروف بحبه لعلم الأحياء، ومصطفى الذي سيتخصص في الفيزياء الكونية وسبل الاتصال الفضائي، علاوة على أن يوسف ضمن هذا الفريق وهو المغرم بالكراسي المتحركة وأحدث تطوراتها، وسارة من المؤكد أنها معهم وستكون مفيدة بحبها للمغامرة وإتقانها للعديد من اللغات.

٨-المواجهة

كان الشبح يحوم حول المدرسة في كل أنحائها... وقف رامي في النافذة مرتديًا بيجامته البنفسجية المرسوم على صدرها سيارة رياضية صارخًا ولا أحد يسمع صوته في حين ينظر كثيرون من النوافذ، وحراس المدرسة يدورون داخل الأسوار وعند البوابات في نوبات مراقبة روتينية... انطلق رامي بكرسيه عبر الردهة الفسيحة نحو الباب... حاول الحارس منعه معللا بأن خروج الطلاب من بيوتهم أثناء الليل ممنوع إلا برفقة أحد الأساتذة أو مشرف البيت... أشار رامي في اتجاه الساحات صارخًا بأن الشبح يستعد للسرقة، وأنه يراه بصعوبة عبر سواد الليل لكني متأكد أن بطنه أبيض... ضحك الحارس منه بينما يتلفت في كافة الاتجاهات بحثًا عن الشبح ونافيًا وجوده، ثم أردف: يبدو أنك تمزح يا رامي، وليس هذا الوقت المناسب للمزاح، رد رامي بطريقة رآها الحارس غير لائقة وتنافي ما اعتادوه من أخلاق رامي، كما أنها تتعارض مع قوانين المدرسة، حيث قال: أنت لا ترى في صوت ناهر ورفع صوته أكثر بأن الشبح الذي حاول سرقة الحصان

هناك... حاول الحارس أن يخفف من انفعال رامي ووطأة الموقف فقال: أي أشباح يا بني؟ هيا... هيا اصعد إلى فراشك، كانت هذه الجملة الأخيرة آمرة في حسم جعل رامي أكثر حدة...

خرج بعض التلاميذ من غرفهم إلى الردهة كما خرجت الأستاذة لينا من غرفتها ترتدي بذلة رياضية، فاستنجد بها رامي مشيرًا نحو الساحات وعيناه تمتلئان إصرارًا وصوته يؤكد أن الشبح هناك يعمل بآلاته لاختراق السقف وها هو سيخرق السقف... لم تزل الأستاذة تزيل آثار النوم عن عينيها وتساءلت في ضجر: هل هذا وقت مزاح يا رامي؟ أية أشباح؟ إن الهدوء يعم المكان ووحدك أحدثت هذه الجلبة... اقترب منها جدًا وأمسك بيدها بين يديه متوسلاً بأن تسمح له فقط بالخروج وتتابعه من مكانها فهو يراه... لم تجد الأستاذة إلا أحد خيارين إما أن تنهر رامي وتعنفه أمام الجميع وهذا موقف ربما لا يتحمله رامي صاحب الشخصية القوية، المعروف بالصدق بين الجميع، أما الآخر فأن تخرج معه وتتحمل معه ما قد يناله من عقاب أوتعنيف فيما بعد، فاختارت الخيار الآخر بعد أن نظرت في الساحات ولم تر أي شيء

إلا الملاعب والحراس كالأشباح عبر سواد الليل... لم تكمل رفع يدها بالإشارة لرامي ولم تتم عبارة هيا، فقط أنا وأنت، حتى انطلق رامي بكرسيه مندفعًا في خفة فراشة... لم تتماسك الأستاذة أعصابها وهي تركض من خلفه لا تملك غير نداء: رامي... رامي... رامي... ارجع يا مجنون لا شيء هناك... ارجع يا رامي... لم تتوقف عن الركض وراءه... حين اقترب من الحظيرة كان عدد من الحراس يركضون نحوه آتين من حدود الأسوار إلا أن الأستاذة أمرتهم بالتزام أماكن خدمتهم كي لا ينالهم عقاب مخالفة أسس الحراسة فاستسلموا للأمر وعادوا مشدوهين بما يرون... كان الوحش ينهي أعماله، وكان رامي قد كون صورة شبه كاملة بشكله وملامحه جيدًا... بدأ الوحش في رفع حصان من الحظيرة إلى الفضاء... الحصان يسحب إلى الفضاء بأسلاك خارجة من صدر الوحش، يراها رامي منذ البدء، أما الآن فالحصان قد اقترب من فتحة السقف... وقعت الأستاذة على الأرض جاثية على ركبتيها في باب الحظيرة لفرط الدهشة وهول ما ترى أما الحارس الواقف بالقرب منها فلم ينطق بحرف واحد، كأنه خرس تمامًا عن الكلام... إنهما يريان ما يجري من قرب ... لم تستطع سيقانهما على حملهما أو الجري نحو

رامي، أما ثلاثة من حراس الأسوار فقد هرعوا خارقين الأوامر نحو رامي الذي كان قد حرر جسمه من حزام الأمان واندفع للأعلى بقوة... لقد تحرر من وزنه ومن جاذبية الأرض حتى أمسك بقائم الحصان الخلفي، بينما ينظر إليه الوحش في غيظ، ورامي ينظر إليه في تحد وإصرار آمرًا إياه أن يترك الحصان، والوحش يفعل فقط ما يفعل ولا يبدي أي فعل آخر، حتى إن رامي شعر أنه بدأ يرتفع أكثر معلقًا بقائم الحصان، فأمسك بحديدة في سقف الحظيرة تاركًا الحصان، غير قادر على السيطرة على جسده أكثر فسقط على ظهره دون أن تفارق عيناه الشبح الذي رفع الحصان حتى صدره فالتصق به الحصان تمامًا ولسانه يتدلى من فمه... كان يطبع ملامحه في ذاكرته... إنه ككتلة مخاط بيضاء متسخة، لزجة وأجنحة عريضة جدًا وطويلة تملأ مساحة هائلة من الجو، وجهه يشبه وجه فأر وفمه فم ضبع وأرجله أرجل حصان لكنه لم يتمكن من معرفة ما إذا كان له ذيل أم لا... اجتهد رامي حتى وصل إلى كرسيه وصعد عليه والأستاذة لينا منهارة على الأرض أما الحراس فأحاطوا برامي بلا نطق وبلا أي تعبير غير الحملقة في وجه رامي، فقط أحدهما سأله: هل أنت بخير؟ فأجابه رامي: نعم أنا بخير لكن الحصان

الذي أحبه قد سرق وأنتم واقفون تتفرجون... كان صوته حزينًا جدًا... في مشهد يشبه المشاهد الجنائزية وصل رامي والأستاذة والحراس حتى باب البهو الكبير، استقبلهم بعض التلاميذ بالصياح والاستنكار وجاء صوت يعرفه رامي من بين الجموع، كان الصوت يقول: هل صرت سعيدًا بإثارتك للصخب هنا وفي الحظيرة؟ لم يجب رامي بأي رد فعل واكتفى بالصمت دون النظر في أي وجه من الوجوه وسلك طريقه مع الأستاذة إلى مكتب المديرة... التي كانت تتابع من شرفتها كالعادة... في هذه المرة استقبلت رامي استقبالاً باردًا بلا أي مشاعر، فلم يتكلم، وحين بدأت الأستاذة لينا الكلام ثارت المديرة في وجهها قائلة: ستدافعين كالعادة وتسلكين سلوك المحامي عن متهم، ثم وجهت كلامها لرامي بحدة: أرجو ألا يتكرر منك هذا مرة أخرى وإلا سيكون لي شأن خاص، ألا تكفي المرة السابقة التي عرضتنا فيها للمساءلة؟

تكلمت الأستاذة لينا في صوت محتد لكنها لم تتجاوز حدود الأدب قائلة: أنا رأيت بنفسي كل شيء الليلة ورامي لم يكذب ولم يختلق، وإنما هو الوحيد الذي على صواب... سردت الحكاية على المديرة واستشهدت

بالحراس، فبهتت المديرة ولم تعرف كيف وبم ترد عليها... لكن لم يكن أمامها إلا أن أرجأت الكلام في الموضوع إلى اليوم التالي على أن تستدعي الحراس لتوضيح الأمر لها أكثر... في اليوم التالي عقدت اجتماع مجلس المديرين المساعدين، واستدعت الحراس واستمعت لكل ما قالوا، وباستشارة المجلس اتخذت قرارها بأن تعلم تلاميذ المدرسة بأن المدرسة تعرضت لهجمة حقيقية مساء الأمس قد تسببت في فقد أحد الخيول، ومن فورها أرسلت تخبر السلطات الأمنية وأولياء أمور التلاميذ.

بعد انتهاء الاجتماع استبقت المديرة الأستاذ إبراهيم لتشاوره وتستنير برأيه فأشار عليها أن أنسب شيء إخطار السيد نبيل البابي، أما أنا فسأرتب لاجتماع علمي أعتقد أنه سيكون مفيدًا فسمحت له... ومرة أخرى وصل المحقق بيتر إلى المدرسة، لكنه في هذه المرة قوبل باستهجان بالغ، ولم تمنحه المديرة فرصة لأن يتهكم عليهم أو أن يميع القضية، وأخرجت له نسخة من التقرير الذي أرسله مركز المجامع العلمية والذي يقضي بأن عددًا من الأبحاث يؤكد حدوث هذه الظاهرة، لكنه يتحفظ على أن تمارس أي جهة أبحاثها دون أمر من المجمع... بهت المحقق بما يرى

ويسمع من المديرة وباغتته قائلة: أنت لم تتابع عملك الأول أيها المحقق وإني مضطر لرفع مذكرة ضدك أتهمك فيها بتمييع القضايا الخطيرة.

أدار المحقق لها ظهره خارجًا متوعدًا بأنه سيثأر لنفسه... في طريقه رأى السيد صالح واستوقفه، وبعجرفته قال له: أنت محول للتحقيق يا سيد... انصرف عنه السيد صالح بابتسامة ساخرة، وهمس لنفسه: كسول متعجرف.

٩-مضايقات

كانت أكثر الأنظار تلتفت نحو رامي وصار الاهتمام به شديدًا في مجلات الحائط الإلكترونية في المدرسة وتسربت أخباره إلى مجلات عدة في الجزيرة عبر زملائه في المدرسة الذين يتحدثون عنه في بيوتهم وفي الأندية... الكثيرون منهم يمتدحونه ويتمنون أن يكون لهم المهارات والإمكانات التي لدى زميلهم رام، وبدأت الصحف والمحطات التلفازية تتكلم عن الفتى الذي يبهر العلم والذي يمتلك قدرات خارقة.

صار السيد مراد يواجه مشكلة كبيرة مع المراسلين والصحفيين الذين يلحون في عقد لقاءات معهم، والكثير من الشبكات التلفازية كانت تقدم لهم عروضًا مالية مغرية جدًا، فبلغ الأمر حد المطاردة، فبينما كان رامي مع والده في السيارة في طريقهم إلى البيت مع بداية عطلة أسبوعية طاردتهما سيارة إلى أن توقف والده في الطريق وإذا به مدير مكتب إحدى الشبكات التلفازية يلح في أن يستضيف الأسرة في برنامج... فقط استضافة وظهور إعلامي دون الحديث عن أي شيء

مما يذاع عن رامي... قدم المدير إغراءات كبيرة لرامي الذي لم يرد عليه بكلمة واحدة، وإنما اكتفى بالنظر إليه وهو في مكانه بالسيارة.

في اليوم التالي كانت صور رامي في الصحف وعلى شاشة تلك المحطة مع عنوان رئيس: الفتى المعجزة يتجول مع والده في شوارع الجزيرة دون حراسة، والمحطة تناشد السلطات تأمين هذا الطفل الذي يمكن أن يكون ذات يوم هدفًا للأشرار... أما محطة أخرى فكانت تبث برنامجًا عن ضرورة اتخاذ إجراءات احترازية لأن هذا الطفل بما يمتلك من قدرات ربما يكون خطرًا على الأمن وأن يستغل قدراته ضد الآخرين.

حملات إعلامية كبيرة وموسعة كانت تلاحق رامي أينما كان وفي كل وقت، ولا يرحمه منها إلا وجوده في المدرسة حتى صارت والدته في أقصى حالات التوتر، وكانت تلح على والده أن يتركوا هذه الجزيرة التي صار وجودهم فيها جالبًا للمتاعب والتعاسة... كان ذلك في أمسية جمعت عائلة رامي وعائلة زهرة وعائلة السيد سامر... كان

الأهل في الصالة الكبيرة في بيت رامي، يناقشون ما تعانيه أسرة رامي من الضغوط والملاحقات، بينما كان رامي مع أمل وزهرة في الصالة الملحقة تدور بينهم أحاديث في نفس الفلك، وكان رامي منزعجًا لما يمر به لكنه يحاول أن يبدي الشجاعة، أمام صديقيه، ويصر على البقاء في الجزيرة وفي مدرسته لأن بها كل أحلامه وآماله، كما أنه لا يريد أن يتخلى عن المسؤولية الكبرى الملقاة عليهم جميعًا... زهرة الصغيرة كانت أكثر جدية في هذه الليلة ومصرة على أن يكون رامي بينهم وألا يرضخ للإلحاح الذي تمارسه والدته لمغادرة الجزيرة، وعليه أيضًا أن يكون شجاعًا وألا يسمح لأي صحفي أو إعلامي لاستدراجه لأي حديث... أما فنصحه قائلاً: اسمع يا رام: كلنا نؤمن أن العلم مهم جدًا في هذه الحياة، ونصر على أنك حالة فريدة لهذا فأنت الآن لست ملكًا لنفسك ولست ملكًا لأسرتك وإنما أنت ملك للعالم كله، وكما تعرف انعقدت عليك آمال عظيمة، صحيح أن عددًا قليلاً جدًا من الناس يعرفون ملابسات الأمور والكثير من الأسرار، لكن هذا في حد ذاته يؤكد أن حالتك ستكون فتحًا علميًا كبيرًا، وهذا أيضًا لا يمثل إلا مرحلة في كشف علمي سيكشف الكثير من الممارسات اللا أخلاقية لبعض

القائمين على العلم والصناعة في العالم كله، كما أنك شريك في مشروع هو الأضخم لمواجهة انهيار العالم.

بينما كانت هذه الأحاديث تدور في الصالة الصغرى كانت حوارات الكبار تتركز حول إقناع السيدة مريم أن الجزيرة آمنة وأكد لها السيد سامر أن عليها ألا تقلق على رامي، وأن الخطر إذا اقترب سيكون على العالم كله وليس على أفراد بعينهم... تدخلت السيدة فريال في الحديث بابتسامتها المعهودة وبفكرة تراها مفيدة جدًا فالأعداء لا يهزمون بالحروب وحدها، وأن الحروب هي آخر خطوط الدفاع عن الإنسان لهذا وبحسب علمي أن هذه الأخطار التي تتكلمون عنها كلها نتجت عن مشكلات سببها الإنسان في سعيه نحو تحقيق سعادته ورفاهيته، إنها أخطاء بدأت بسيطة ثم تحولت إلى كوارث جسيمة، لذلك أنا أقترح تكوين جمعية دولية قوية تكون ذات تأثير في محاربة التلوث الأرضي الذي جلب علينا كل المشاكل... كان الكل يستمع باهتمام لما تقول، وبينما هم على هذا الاهتمام نادت بصوتها على الصغار الذين هرعوا من الصالون الصغير إليهم، ووجهت سؤالها لأمل: هل كتبت الكثير من

المقالات عن التلوث البيئي يا عزيزي؟ فأجابها بأن هذا الموضوع ضمن أهم أولوياته في البحث، وأنه حزين جدًا لأن التلوث صار يجتاح العالم كله، وأن نسب ثاني أكسيد الكربون ارتفعت إلى حد مقلق يهدد بانفجار كارثي قد يقضي على الحياة في الأرض كلها ويهدد بدخول عصر ناري جديد... الجميع منتبهون لما يقوله أمل ويوافقونه فيما يقول، وقد علق والده بأن الهيئات والجمعيات التي تكافح التلوث كثيرة حول العالم لكنها لا تقدم ما هو جديد والتلوث في ازدياد دائم... استأذن رامي في الكلام، وأضاف أن الحروب وما عرفته عن التطورات الذرية والكيماوية في العالم تهدده بمشكلات أكبر كما أن التدخل في بيولوجية الأرض أدى إلى الكثير من المشكلات في حين يزعم الإنسان أنه بهذا يتغلب على مشكلات الغذاء في العالم بينما لديه المساحات الشاسعة من الصحاري القابلة للاستزراع وتربية الدواجن والثروة السمكية التي تكفي العالم من الغذاء.

وقفت السيدة فريال متحدثة عن أن لديهم سفير بل عدد من السفراء الصغار المعترف بهم دوليًا ومنهم رامي ومن الممكن تكوين

جمعية دولية من العلماء والأطفال والمثقفين تمارس أنشطة فاعلة وتشكل تأثيرًا على المصانع الكبرى والشركات عابرة القارات لتشكيل مجلس عالمي من العلماء في شتى المجالات لبحث مشكلات التلوث والآثار السلبية على العالم المهدد بالخطر، ولابد أن يتشكل حول هذه الجمعية رأي عام عالمي يمارس الضغوط على مسببي التلوث حول العالم، ولابد من إيجاد عدد كبير من المستثمرين ورجال الأعمال الكبار الذين سيدعمون برامج هذه الجمعية.

انتهت الأمسية بالموافقة على هذا المقترح والشروع في تأسيس هذه الجمعية.

بعد انصراف الجميع كان هناك متسع من الوقت واتفق رامي مع صديقيه أن يلتقيا لبعض الوقت عبر الشابكة الإلكترونية لاستكمال النقاش... كانت السيدة مريم لم تزل في ريب من أمر المغامرة التي اشترك فيها الجميع تقريبًا إلا هي وزهرة والسيدة فريال وأمل... حين جلسوا إلى مقاعدهم نظرت في عيني رام بعمق وهمست له: أليس من الصواب يا عزيزي أن تتخلى عن تلك الفكرة حرصًا على سلامتكِ

وإرضائي وأنا أمك التي لا ولد لها إلا أنت، وأنت الذي عقدت عليه كل آمالي؟

ابتسم رامي في وجهها ابتسامة كلها حب وكلها إصرار أيضًا وقال: صدقيني أنا أحبك كما تحبينني، وكنت فكرت أن أنسحب لأجلك، لكنني عدت وناقشت نفسي حول الفكرة ووجدت أننا جميعًا ربما نكون ضحية لمجهول لا نعرف عنه إلا القليل، ثم إلى متى يا أمي أكرر عليكِ أنكِ علمتني أن أكون على قدر الكلمة التي أقولها، وأن أكون دائمًا في عور الضعفاء، وأن أكون كريمًا مع الناس وشجاعًا أمام المواقف الصعبة؟

كالعادة أخذت الدموع تسيل على خدي السيدة مريم، ولا تستطيع السيطرة عليها ومن خلال بكائها المكبوت قالت: أليس في العالم إلا أنت لتشارك في هذه المغامرة وأنت في هذه السن الصغيرة علاوة على أنك وحيدي؟ اقترب منها رامي جدًا وأجابها: بلى هناك الكثيرين غيري، وأخذ يعدد عليها أسماء أصدقائه الذين يشاركونه

المشروع، وأضاف ربما أكون أنا بدون هؤلاء بلا قيمة ولا فائدة مني وكلهم يصرون على أننا يد واحدة في مواجهة كارثة تهدد الأرض كلها، وربما بدوننا لا تكون هناك أرض يسكنها الإنسان لأن الإنسان لن يكون موجودًا وإن وجد سيكون مشوهًا... كفكفت دموعها، وسألته: ألا تحب أن تشرب بعض العصير يا عزيزي؟ فابتسم لها قائلاً : أريد ابتسامتك ومرحك وتشجيعي، هل نسيت أنني مقبل على امتحانات خلال أيام وأحتاج دعمك لكي أبقى محتلاً مكاني على طاولة الخمسة عشر؟ احتضنته أمه بشدة وابتسمت له قائلة: لم تخيب أملنا فيك أبدًا يا رام، والله دائمًا معك يعينك ويحميك... قبلها رامي واستأذنها في أن يدخل غرفته لأنه وعد أمل وزهرة أن يلتقوا لبعض الوقت عبر الشابكة فسمحت له وانصرف.

حين دخل غرفته وجد أنه في حالة مزاجية لا تسمح له بكثير كلام مع أي من أصدقائه، فأرسل لزهرة وأمل برسالتين يعتذر لهما... قفزت في رأسه أفكار تتعلق بالتعامل مع ذلك الوحش الذي سرق الحصان وأسقطه وجعله مثار الأحاديث فقام إلى كتابه المفضل يقرأ

فيه عن أوصاف الوحوش وكلما قرأ يتبين له أن التكهنات والفروض في الكتاب أكثر مما يمكن رؤيته بالعين والتعامل معه بكل ما يعرف من أسلحة، وانتبه إلى أن سنه والكتب التي يسمح له بقراءتها لا تسمح له بمعرفة الكثير عن الأسلحة، كما أن المواقع الإلكترونية المسموح له بالتعامل معها أيضًا لا تمده بمعلومات عن السلاح، رامي يلتزم بكل القوانين وكل النصائح التي تقدم له، ورغم الحرية التي يمنحها إياه والداه إلا أنه لا يسمح لنفسه بتجاوز ما ينصحانه به خصوصًا في التعامل مع الشابكة الإلكترونية، وكلما لاح له موقع ما ينتبه إلى معاملات الأمان في الولوج لهذه المواقع ويسأل عنها إما أساتيذه أو والديه ومدى ملاءمتها له.

انتبه رامي إلى أنه يهدر وقته الليلة دون فائدة ودون استمتاع، فقرر أن يخلد إلى النوم باكرًا ليرتاح من هذا الإجهاد الذهني... قام إلى سريره وحين وضع رأسه على الوسادة، تذكر نصائح أمه بأن أسوأ ما قد يخترق الإنسان الغرور، لأن الغرور يضيع كل ما لدى الإنسان من مواهب وأشياء جميلة... لا يعرف رامي لماذا قفزت إلى عقله هذه

النصيحة، لكنه تبين أن بعض الغرور تطرق إلى نفسه ما دامت النصيحة قد زارته الآن تحديدًا... جلس في سريره مبتسمًا وقد تبين أن الغرور قد حل فيه والدليل أنه فكر في أنه الآن قوي ويمتلك من الطاقات ما لا يتوفر لغيره، وأنه الآن مائز على الجميع وفائق جدًا، لهذا فالعالم كله في حاجة له، وأن أمل القضاء على وحوش مجهولة مرتبط به، بل ربما بدونه قد يدمر العالم كله، أخذ يهمس لنفسه والابتسامة على وجهه، أخذ يهمس بعبارات تدور حول أنه رغم كل ما يمتلك من قوة فما هو إلا فرد في فريق كل واحد منهم يمتلك قدرات تميزه على غيره، ولولا هذا الفريق فما هم إلا طاقة معطلة لا فائدة منها، بل ربما لولا ما قدمه له أصدقاؤه المقربون، وأساتيذه من معاونة وحب لما اكتشف ما لديه من مهارات.

١٠-في قبو مشدد الحراسة

كان تحديد موعد للقاء السيد (ج.أ) أمرًا غير متوقع بالنسبة لرامي، فهو كان يعتقد أن مجرد لقاء هذا العالم أمر لا يمكن لغير العلماء تحقيقه، لكن الأكثر إدهاشًا هو هذه الترتيبات السرية لعقد الاجتماع في قبو ملحق بالسرداب الرابط بين المدرسة و المرصد الفلكي، بعد أن اتخذت ترتيبات حراسة مشددة عليه وقد وصل المجتمعون وكأن كل واحد منهم لم يكن يعلم بأن غيره آت للقاء الأستاذ إبراهيم أستاذ الفلك، الذي أعد طاولة اجتماعات بسيطة وقد حضر الأستاذة سالي بيكر البروفيسور (ج.أ. تمام) الدكتور عمر، الأستاذ فريد المدير المساعد للبحث العلمي، سام روبير، مصطفى العالم، يوسف فهد ، سارة إيزيدوري، السيد مراد، السيد سامر، السيد نبيل البابي، والمفاجأة كانت دخول رجل هادئ الوجه، أنيق الملبس، له أنف كبير، وعينان واسعتان، وشعر مجعد أسود، طويل القامة... دخل في هدوء فكان أول من قام له احترامًا السيد (ج.أ) الذي رحب به وقدمه للجميع، إنه العالم (ت.م. طومسون) مؤلف كتاب وحوش الغابات

الكونية... صافح الجميع بكل أدب مع هزة رأس دالة على التقدير لكل من يصافحه، وحين صافح رامي، صافحه بحرارة ونظرة ثاقبة في عينيه دون أن يوجه له أي سؤال، وإنما اكتفى بأن جلس في مقعد قبالة رامي مباشرة الذي كان يجلس بين الدكتور عمر ومديرة المدرسة بينما كان والده يجلس إلى جوار السيد طومسون... نظر الجميع للمديرة وأعينهم تسأل سؤالا واحدًا قبل ابتداء الاجتماع فأجابت بهمس: لا تقلقوا هؤلاء الستة من الحراس هم أكفأ من يقوم بأي مهمة وهم معنا منذ أسسنا المدرسة ويعرفون كل خباياها، وأضافت: إنهم أكثروا من الأسئلة حول ما جرى في المدرسة من أحداث وكان كل واحد منهم أحرص من الآخر وأكثر منه تكتمًا على الأسرار... ابتسم الأستاذ إبراهيم للجميع مع نظرة مطمئنة وموثقة لما قالت المديرة.

* * *

أشارت المديرة نحو السيد نبيل البابي، الذي بدأ حديثه مثنيًا على رامي التلميذ المجتهد النشيط الحائز على العديد من الأوسمة والجوائز، والذي يثق فيه الجميع ويحبه زملاؤه، وأشار إلى زملائه الموجودين

قائلاً: وكما ترون إن أصدقاء رام من كافة الأعمار، وأكثر ما يميزه هو صدقه الذي اعتدناه منه... كان الجميع ينظرون إلى رامي نظرة كلها احتفاء إلا السيد تمسون فكان ينظر في كل وجه وجسم رامي نظرة كلها أسئلة... أضاف السيد البابي أن هذا الاجتماع يعد سريًا لأنه ينطوي على الكثير من الأمور الاضطرارية فنحن أمام ظاهرة غريبة لا تهدد المدرسة وحدها بل من المؤكد أنها تهدد العالم كله ثم أخذ يشير نحو كل واحد من الحضور معرفًا به وباختصاصه منهيًا كلامه بأن هذا جمع من العلماء الحقيقيين الذين رصدوا جهدهم لخدمة الإنسانية والذين أزعجهم أمر هذه الهجمات على المدرسة وفي نفس الوقت نحن أمام عدة كشوف علمية لابد أنها ستخدم البشرية كلها، ونؤكد من مواقعنا أننا أمام العلم لا نتعامل بالبيروقراطية والتعقيدات وإنما نذلل كل الصعاب وهذا واجب العلم الذي فهمه الكثيرون على وجه خطأ فالعلم الذي يسعد البشرية حقيقة لا الذي يبتكر مخترعات تستنفذ الموارد الطبيعية وتدمر البيئة وتسيء إلى الإنسان... دون أن يختم كلامه أشار السيد البابي نحو الدكتور عمر قائلاً: تفضل يا دكتور الكلمة لك.

بابتسامته الطفولية بدأ الدكتور عمر كلامه بأنه استأذن رامي ووالده في عرض نتائج الاختبارات التي أجراها على رامي بناء على طلب والده لما لاحظه من أمور أدهشته، فعرضها على السيد نبيل البابي حيث إن بينهما علاقات وثيقة ولأنه أحد القيمين على هذه المدرسة، وبالفعل وافق السيد البابي على حضور عدة اجتماعات معي وانتهى بنا الأمر إلى التواصل مع السيد (ج.أ) ... تناول السيد تمام طرف الحديث من الدكتور عمر قائلاً: حين أخبرني الدكتور عمر تحينت عدة فرص وسألت ابنتي زهرة عن زميلها رام فقصت علي عدة قصص عنه وأنه يعاني هذه الفترة من رؤية كائنات تهاجم المدرسة، وتأكدت منها من صدق زميلها، وربطت بين صفاته التي أخبرتني بها وما كلمني فيه الدكتور عمر وفي الواقع حينها لم أضيع وقتًا وحضرت للقاء السيدة مديرة المدرسة التي قصت علي الكثير من الأحداث وتفاصيل التحقيق الذي عقد هنا في المدرسة وموقف المحقق، ومواقف رام منه وكذلك موقف الأستاذ إبراهيم ومحاولة الربط بين ما يجري وكتاب وحوش الغابات الكونية فاكتملت لدي الحلقات وقررت إخبار السيد طومسون بكل ما حصلته من معلومات وكان متعاونًا

جدًا وأبدى تفهمه لصعوبة الموقف وأهمية الأحداث، ولم يفتنا أن نلجأ إلى جهة تقنية لها مكانتها العالمية وأعني مؤسسة السيد سامر وقد علمت أن علاقة طيبة تربط بين عائلته وعائلة السيد مراد وأنه أهدى كرسيًا متطورًا لرام، ورأيت أننا في حاجة شديدة لهذا التكامل الشامل... سلم الكلمة لمديرة المدرسة التي كانت تجتهد لجعل صوتها هادئًا فقالت: لا أخفي أن الوضع حرج ومحرج وأن المدرسة في مفترق طرق، ليست وحدها وإنما المشروع كله، لكنني الآن أشعر باطمئنان أن هذا الفريق يجتمع الآن لنبدأ خوض تجربة ننقذ بها العالم من ظاهرة غريبة، وهذه فرصة جيدة لأن أشكر تلميذي الحبيب رام لإصراره وثباته على موقفه، وأعتذر لأنني في بعض الوقت شككت في بعض ما يقول، لكن عزائي أنني كنت أعتقد أن كل الشرور انتهت بالقبض على أعضاء جماعة النجمة السوداء وحبسهم مدى الحياة.

بدأ الأستاذ إبراهيم حديثه بعد كل هذه الخطب موضحًا أن الذي سيقدمون عليه تجربة تصل لمستوى الحرب الحقيقية التي تواجه فيها قوة معلومة تتمثل في هذا الفريق قوة غير معلومة ومعلوماتنا عنها

مهما تأكدت تبقى قليلة من الناحية التقنية والعلمية، ولعل السيد طومسون يتفق معي في أن هذه المغامرة مفيدة له شخصيًا حيث تثبت ما أورده في كتابه من جهة ومن جهة أخرى فإن النجاح في هذه المغامرة سيضع يده حقيقة على وحوش الغابات الكونية... ثم استطرد يقول: لا أنكر أنني قلق، وأنني في حاجة لعون كبير من جهات فلكية ووكالات فضائية لكننا لا نملك المبررات الكافية لإقناع أية جهة بما سنقوم به لأنها فروض في وجهة نظرهم، وإن كانت بالنسبة لنا هي حقائق واقعة بناء على الأبحاث والتجارب التي أجراها الدكتور عمر.

* * *

كان رامي أثناء هذه الأحاديث بين الإنصات للفهم، ومواجهة أفكاره التي لم تعد كما كانت منذ عدة أشهر فهو الآن أكثر استقرارًا، وأكثر يقينًا أنه مقبل على خوض ما لم يخضه غيره... كان ينقل نظره بين أصدقائه من زملاء المدرسة ويبتسم لأنه بين هذا الفريق من علماء المستقبل الذين يحبونه ويصدقونه وعلى استعداد لخوض مغامرة قد تكون حربًا، يخوضونها معه ويكونون عونًا له... كذلك كان فريق رامي ينظرون نحوه بإعجاب وإصرار فهو السبب في عقد اجتماع كهذا ربما لم

يكن باستطاعة أحدهم أن يجتمع بواحد فقط من هؤلاء الموجودين، كانت نظراتهم نحو صديقهم الأصغر سنًا، نظرة إعجاب ببطل يحتاج إلى جيش يدعم خطته ويساعده في تنفيذها... لكن ترى ما الخطة التي يجب أن تتبع ولم يتم بعد تجهيز المعدات اللازمة لمثل هذه المغامرة، وهل سيسفر الاجتماع عن خطوات جادة؟

* * *

غادر الجميع القبو وهم على عهد ووعد أن يعملوا كل في مجاله على ألا يؤثر ما يجري على سير الدراسة في المدرسة، وألا يعرقل ما يقومون به خططهم الدراسية، فليس من الممكن أن نضحي بأهدافنا وخططنا لمستقبلنا، لأن الحلم الكبير لابد أن يتكون من أحلام صغيرة قابلة للتحقق ولا يتم هذا إلا بالدراسة والإصرار على النجاح... بسرعة توجه رامي وزملاءه إلى غرفهم لإنجاز تكليفاتهم... سارة كانت الأسرع لأنها خشيت أن يفوتها وقت تقديم واجباتها بالبريد، أما رامي فكان قد أعد الكثير من واجباته في وقت الغداء حيث قرر أن يكتفي بشراء بعض المخبوزات والعصير لتكون عشاءه في غرفته...

لحق يوسف برامي إلى الغرفة وكان رامي ينجز تكليفات أستاذ الرياضيات بتركيز شديد، فانتحى جانبًا ينهي ما تبقى له من تلخيص عشر صفحات من كتاب عصر العلم... حين أنهيا واجباتهما عادا للحديث حول ما دار في الاجتماع وعن إمكانيات مواجهة هذه الكائنات، كان يوسف هو الأقل اهتمامًا بما يجري رغم انضمامه للفريق، وما زال يصر على تدخل قوى شريرة بواسطة السحر الأسود، لأنه أشد كفاءة من العلم فالجن يمكنهم فعل أي شيء وهم أسرع من الإنسان والخوارق لا تأتي إلا منهم أو بسببهم... لم يعقب رامي على ما يقول، لكنه ظل يستمع لما يقول دون مقاطعة، حتى بدأ يوسف يغوص في حكايات عن استغلال الفراعنة القدماء للجن في حراسة مقابرهم لآلاف السنين، وربما استطاع المصريون القدماء بالجن والسحر في إنشاء أبنيتهم، وتحنيط الموتى... تحرك عن مكانه إلى سريره يصف لرامي ما شاهده من أفلام سينمائية عن الفراعنة ومومياوات الفراعنة وعودة الفرعون الغاضب... كان يتكلم والفخر يملأ قسمات وجهه إلى أن انتهى من العرض الحركي لمعلوماته التي يبثها لرامي... ابتسم له رامي وسأله عن الكتاب الذي كان يلخص منه، فأخبره أنه كتاب عصر العلم...

اعتدل يوسف في جلسته على السرير وبانت عليه علامات الخجل لأنه انتهى من عصر العلم إلى عصر السحر... اقترب رامي بكرسيه من يوسف وقال: إن للجن عالمهم ولنا عالمنا ومهما كان فنحن في عصر سريع متدفق المعلومات، وأنا نفسي أمامك ربما كان من الأجدر أن أؤمن بما تقول لما أمر به وإنني أحيانًا أشعر بالخوف يا يوسف... أخاف أن أكون في كابوس أو أن أتحول إلى إنسان منبوذ من الناس، لكنني في نفس الوقت أعود فأتذكر أن حالتي هذه هي الأنسب لي، والآن هي مفيدة للجميع ولولا ما أنا فيه لما اكتشفنا الخطر، أما العلم يا يوسف فهو الذي اخترع الآلات والمختبرات التي تم من خلالها فحصي هذا الفحص الشامل الذي قام به الدكتور عمر... قاطعه يوسف قائلاً: بمناسبة ذكر الدكتور عمر يا رامي ألا تلاحظ أن سمنته هذه مفرطة وغير عادية، إنه يشبه البالون... خرج رامي من الحالة التي كان عليها من الوجوم والجدية، وضحك قائلاً: هو نفسه يا يوسف عبر بمثل تعبيرك عن نفسه حين قال لي: أعرف أنني أشبه المنطاد، وأضاف: لكنه أمر طارئ وسيزول قريبًا، وفي الحقيقة هذا التعقيب استوقفني وأسررته في نفسي ولم أسأله مرة أخرى، لكنه علل ان هذا بفعل الشيكولاتة...

بطريقته الطريفة الساخرة سأله يوسف: هل تعتقد أنه يعاني السحر يا رام؟

١١- ورشة تصنيع سرية

في عطلة نهاية الفصل الدراسي توجه رامي مع والده إلى مصنع السيد سامر المتخصص في تصنيع الكراسي المتحركة... فرح رامي جدًا حين وجد الجميع قد سبقوه إلى هناك وكلهم في انتظاره، لكنه لم ير مصطفى العالم فسأل عنه، فما كان من السيد سامر إلا أن قال: انتظر وسترى... اصطحبهم السيد سامر إلى مكان فسيح جدًا هو عبارة عن ورشة كبيرة بها العديد من الأجهزة والآلات، وكان مصطفى مع السيد تمام أمام كرسي متحر لا يختلف شكله عن شكل الكرسي الذي يستعمله رامي، حين رأياه رحبا به بحفاوة فخرج صوتاهما معًا: أهلاً رام... اقترب أيها البطل... وقف رامي أمام الكرسي الجديد فوجده يشبه الذي يستعمله لكن هناك بعض التعديلات حدثت فيه فهذا مزود بنظام تحريك أوتوماتيكي فأدهش رامي سائلاً: لمن هذا الكرسي الذي يشبه الذي أستعمله؟ هل التحق بمدرستنا تلميذ جديد يعاني ضعف عضلات اليدين؟ أم أنه زميل مصاب بالشلل الدماغي... هنا تذكر رامي صديقه أسعد التلميذ في الصف السابع كانت آخر مرة

رآه فيها حين اصطحبه والده منذ أكثر من عشرة أشهر معه في زيارة لعائلته ليشاركه في إقناع والدته لإلحاقه بالمدرسة من جديد بعد أن أجريت له عدة جراحات وكان قد تعرض مع والده لحادث مروري وكان يجلس في المقعد المجاور لأبيه في السيارة دون أن يربط حزام الأمان، وعلى الرغم من أن والده لم يكن المتسبب في الحادث إلا أنه عوقب بالحبس ثلاث سنوات وغرامة مالية لإهماله الاعتناء بابنه... كان أسعد حزينًا جدًا حين التقاه رامي لأنه تسبب في إيذاء والده وحبسه، وحرمان أسرتهم من عائلها الوحيد ولولا التأمين عليه لما استطاعت والدته إجراء كل هذه الجراحات التي أجريت له، ومع هذا كانت أفضل النتائج لكل المحاولات بقاءه على تلك الحال لا يستطيع تحريك أطرافه، فالأضرار التي أصابت الدماغ لم يكن من الممكن التغلب عليها كاملة، لكن أسعد ذكي جدًا ويملك مهارات عقلية فائقة، ووالدته ترفض أن يلتحق بأي مدرسة لأن المدارس التي وافقت على قبول ابنها ستجعله في بيئة منعزلة كل من فيها من المعاقين حركيًا ففي بلدهم لا تستقبل المدارس العامة مثل هذه الحالات، كما لا توجد مدارس خاصة بحالات الشلل الدماغي وتوصيات الأمن المروري

والأمن العام في الجزيرة أوصت بإبعاد عائلتهم عن الجزيرة بسبب إهمال والده... بدت علامات الامتعاض على وجه رامي بهذه الذكرى المؤلمة التي احتلت ذهنه والتي أعادت إليه ملامح صديقه الذي يفتقده الآن ويتمنى أن يهديه هذا الكرسي... انتحى رامي بوالده زاوية من المكان وأخبره بما يجول بخاطره وأنه حزين جدًا فهذا الفريق ينقصه أسعد الذي يمتلك قدرات عقلية رياضية ربما تفوقهم جميعًا، وأسقط جام غضبه على كل الآباء وكل الأمهات الذين يهملون أبناءهم ويعرضونهم للأضرار، ويضيعون حياتهم بسبب الإهمال، حاول أبوه أن يخفف من وطأة الموقف مشيرًا إلى أن صديقه أيضًا أخطأ إذ لم يربط حزام الأمان فربما كان أبوه شارد الذهن في أمر مهم يخص عمله، أو أنه كان يفكر في أمر ما يسعد ابنه... رفع رامي رأسه فالتقت عيناه بعيني أبيه وقال له: لا تبرر لهم يا أبي فأنت لم تنس مرة واحدة أن تنبهني لربط حزام الأمان، مع أنك في كل مرة كنت تجدني قد ربطته بالفعل، لكن ما يحزنني أكثر هو حرمان أسعد من المدرسة وتركه على هذه الحالة من الحزن والانطواء، أنا لا أنسى حين همس لي بمرارة أنه صار بلا فائدة، وأنه لا يريد الحياة فقد فقد كل شيء وفقد والده... ربت السيد مراد

على كتفه راسمًا ابتسامة على وجهه وذكره بأنه بذل كل ما يستطيع، وقدم كل الضمانات ليلتحق أسعد بالمدرسة ويكون زميلاً له، والأمر متوقف على اجتيازه الاختبارات المتعارف عليها، ليلتحق بالمدرسة مع بداية العام الدراسي الجديد، أومأ رامي برأسه إيجابًا لكنه لم يكن قد اجتاز ما هو فيه من حزن... ناداه مصطفى ليعود إلى حيث كان ويرى مع الجميع الاختراع الفريد من نوعه... لم يرد رامي أن ينشر الحزن في المكان إذا ذكر أصدقاءه بأسعد.

بدأت عملية العرض لإمكانات الكرسي المتطور ضغط مصطفى أحد الأزرار في تكئة الكرسي فتمدد الجزء الأمامي منه بما يقارب المتر، وتمدد للجهة الخلفية ساحبًا العجلتين الكبيرتين إلى الوراء بما يعادل نصف متر، ثم اتسعت القاعدة عن اليمين وعن الشمال، فصار لرامي مقعد فوق قاعدة معدنية متحركة، أيضًا من الناحية الخلفية برز من تحت مقعده جزء كبير كان عبارة عن محرك ضخم قياسًا بحجم الكرسي... أشار السيد تمام بيده اليمنى نحو هذا المحرك قائلاً أليس هذا هو المحرك النفاث الذي كنت تحلم به يا سيد رام؟ كان الذهول

يملأ رامي أكثر وأكثر، ونظره مثبت في الكرسي والآلة التي يشير نحوها العالم الكبير، والابتسامة على وجوه الجميع... بدأ الكرسي يرتفع عن مستواه الطبيعي وعجلاته مثبتة على الأرض، وبدأ مصطفى يصف هذه العجلات بأنها مصنعة من مواد مطاطية تختلف عن تلك التي تصنع منها الإطارات العادية فوزنها قابل للتغير وفق الحاجة، ويتم التحكم فيها من خلال... وأشار إلى اللوح الكفي في تكئة الكرسي اليمنى وقد اعتدل لمواجهة الأصابع ، إنه لوح إلكتروني حساس يتحكم في أنظمة معقدة وما يخص الإطارات يتلخص في التحكم فيها من خلال برامج مخزنة على هذا اللوح المتصل بالعجلات بألياف ناقلة للأوامر، كما يتم من خلال اللوح الكفي الاتصال الآمن بمركز تحكم عن بعد أعدت له قاعة سرية في المدرسة، ثم أضاف مبتسمًا وهكذا طبقنا نتائج نظريات النانو... انتقل الشرح بعد ذلك إلى نموذج الرادار الذي سيخدم مشروعهم جدًا وسيكون مكانه في الفناء الخلفي للنادي الصحي وسيتم تصنيع قاعدة له والاتصال به سيكون عبر الشابكة.

انقضى اليوم في محاضرات وورشة عمل مطولة كان الجميع فيها كالجنود الذين يتلقون الأوامر المشددة، ولا مجال لتفويت كلمة واحدة مما يقال فلكل واحد دور سيؤديه ولا مجال للخطأ، وتم الاتفاق على نقل التجريب والتدريب إلى مختبر الدكتور عمر.

في غرفته كان رامي يؤدي بعض التمارين الرياضية البسيطة مرتديًا ملابس شتوية جميلة ألوانها المتداخلة من تلك التي يفضلها متمثلة في الأزرق والبنفسجي والأصفر، ربما مارس هذه التمارين الخفيفة ليتخلص من إرهاق يومه قبل أن يخلد للنوم بعد يوم كان مشحونًا بالنقاشات والأحداث... فجأة وجد أنه مهتم جدًا لأمر صديقه أسعد الذي تذكره حين كان في المصنع مع فريق العمل... في الحقيقة رامي دائم الاهتمام بالناس الذين يعانون المشكلات ودائم البحث عن حلول عملية لهم... هو يحب الجميع بعاطفة جياشة لكنه في نفس الوقت يؤمن بأن العاطفة بغير عقل لا تحقق النتائج المرجوة... استعاد ما أخبره به والده عن تلك الجهود لعودة صديقه إلى المدرسة وأنه سيكون معهم ابتداء من العام الدراسي المقبل... ابتسم رامي ابتسامة دالة على السعادة وسحب الغطاء حتى رأسه ليستمتع بالدفء.

١٢- رامي السارق

تمكن أيسر من إغراء بعض التلاميذ بأن يكون جماعة سرية ضد رامي الذي بدأ يستحوذ على إعجاب كل من في المدرسة، معللا بأن الأساتيذ يحابونه وأن المديرة تقدمه على غيره من التلاميذ، لهذا لا ينتبهون جميعًا لغير هذه المجموعة المغرورة... لم يستطع إقناع الكثيرين لكنه أقنع الذين عرف عنهم الشغب وأكثرهم من متدني الأداء تشهد تقاريرهم أن لا واحد منهم شغل مكانًا على طاولة الخمسة عشر إلا هو فقد شغلها مرات كثيرة لكن هذا لم يمنعه أن يكون أنانيًا لا يحب إلا نفسه... سأله أحدهم في إحدى المرات التي التقى بهم فيها بعيدًا عن الأنظار عند إحدى الأشجار الضخمة، سأله ماذا سنستفيد إذا آذينا هذا الفريق، فرد عليهم ليس من الضروري أن نستفيد، الأهم أن نؤذيهم ونكسر غرورهم... إنه يراهم مغرورين ويريد أن يشيع عنهم هذا ليكرههم التلاميذ ويبتعدوا عنهم... اقتنع أصحابه بما يقول لهم والحقيقة أنه أجاد في اختيارهم فمنهم من عوقب بالفصل المؤقت من المدرسة ومنهم من حرم من الكثير من الدرجات التشجيعية، ومنهم من حرم

من الإقامة في منازل التلاميذ لمدة شهر وهدد بالفصل النهائي من المدرسة، بل إن والد أيسر نفسه هدد بأن ولده قد يكون السبب في إبعادهم عن الجزيرة نهائيًا لما يشيعه في المدرسة من القلاقل والإحباط... قرر أيسر أن يحيك مع أصحابه مؤامرة ضد رامي تحديدًا وخطط مع أصحابه لتشويه صورته وملاحقته بما لا يحب...

كان موعد مباراة كرة السلة قد اقترب وفريق السلام الذي ينتمي إليه رامي ويوسف قد اقترب فحددوا موعد جريمتهم في ذلك اليوم... أما رامي في تلك الأثناء فكان منشغلاً بدروسه وبمعاونة سام في تجاربه المعملية علاوة على اهتمامه بدراسة معمقة لكتاب وحوش الغابات الكونية، أما سارة فكانت أشبه به تلك الأثناء علاوة على أنها تشارك مع زهرة في فريق شكلته الأستاذة ليلي لإقامة معرض للصور الفوتوغرافية والجرافيك تحت شعار (نحتاج للطبيعة والطبيعة تحتاجنا) واهتمت سارة برسم لوحات تستعرض من خلالها الظواهر الكونية وتبادل العلاقات بين عناصر الكون كله، وقدمت مشروعًا لرسم بعض الظواهر الطبيعية، وظواهر أخرى تسبب في إحداثها الإنسان، ورسمت

عدة لوحات توضح من خلالها حالات الانقراض السريعة لكثير من الحيوانات، كما استوحت رسومًا أخرى مما قصه عليهم رامي فاستلهمت أشكالاً لحيوانات تقترب من أن تكون أشباحًا تهاجم جماعات من البشر، وأناس آخرون يصنعون هذه الحيوانات، أما زهرة فاهتمت برسم الجداول الصغيرة في طبيعة زاهرة وبيئة ممتلئة بالأشجار والنباتات والطيور... كان اشتراك زهرة في هذا المعرض مضافًا إلى اشتراكها في فريق الموسيقا مع أستاذتها لينا صديقة الفريق، وهم يستعدون لعرض عدة حفلات في إطار المشروع السنوي للمدرسة تحت شعار (عالم واحد)

نزل رامي بين أعضاء الفريق إلى ملعب كرة السلة، في مواجهة فريق النخبة والذي يعد من أقوى فرق المدرسة في كرة السلة، وهو الفريق الذي لا يضم أي لاعب من ذوي الإعاقة... بدأت المباراة حامية، وكل فريق يحاول أن يحسم المباراة لصالحه... كان رامي يقدم عرضًا رياضيًا رائعًا تناغم فيه كل أعضاء فريقه الذين تحملوا الكثير من مخالفات الفريق الآخر، فقد تعرض يوسف لركلة قوية من أحد لاعبي

الفريق المنافس كادت تكسر عنقه، ونصحه رامي أن يلعب جالسًا على كرسيه إلا أنه رفض،مبررًا أن اللعب بدون الكرسي هو الأفضل في هذه المباراة، وأن هذا يمكنه من الحركة الأسرع والمراوغة...

* * *

أثناء المباراة التي يحضرها أغلب تلاميذ المدرسة والأساتيذ في صالة الألعاب الكبرى كان أيسر ورفاقه ينفذون الجريمة، فقد تسلل أيسر إلى المختبر الذي يجري فيه سام تجاربه وسرق كميات من الأملاح ومواد التجريب، وعددًا من القطع المخبرية الصغيرة ونزع عددا من عدسات الميكرسكوبات في المختبر ووضع كل هذا في عدد من الأكياس البلاستيكية المعدة لحفظ الشرائح وتوجه بها إلى غرفة رامي ويوسف، بينما كان رفاقه يسرقون بعض الأغراض الشخصية من الغرف التي يعرفون أن أصحابها تركوها مفتوحة... كل هذا تم دسه في حاجيات رامي بعناية وفي أماكن من الغرفة بحيث لا ينتبه لوجودها ويكون إخفاؤها قد تم بطريقة مقصودة.

عاد هؤلاء الخمسة إلى الصالة الكبرى للألعاب واندسوا بين الجمهور دون أن يشعر أحد بغيابهم، لكن المباراة كانت توشك على الانتهاء وكان فريق النخبة متقدمًا على فريق السلام بفارق تسع نقاط، مما جعل أيسر أكثر سعادة فهذا يوم هزيمة كبرى لرامي المغرور كما يسميه... اجتهد فريق السلام وأحرز عدة كرات متتالية حتى تقلص الفارق بين الفريقين إلى ثلاث نقاط وتمكن يوسف من إحراز رمية ثلاثة كانت الحاسمة في تعادل الفريقين وانتهت المباراة بهذا التعادل، مما بث الحزن الشديد في نفس أيسر.

دفعت سارة الكرسي المتحرك الذي تجلس عليه زهرة إلى خارج الصالة في انتظار يوسف ورام، ولحق بهما سام، واستقبلوا الفريق كله بالتهاني والابتسامات والتشجيع، ورغم الحزن الذي يكسو وجه يوسف إلا أن الجميع صبره بأن هذه النتيجة جيدة وتؤهلهم إلى الدور قبل النهائي ومع التدريب الجيد سيتمكنون من الوصول إلى النهائي... انصرف اللاعبون إلى غرف الملابس، بينما توجه الباقون لانتظارهم في قاعة الطعام الكبرى حيث موعد تناول الغداء، وهناك كان أيسر

يترقب ما سيحدث، ويتخيل موقف رامي تحديدًا حين تكتشف المسروقات في غرفته وبين حاجياته... كانت الأستاذة لينا كعادتها بينهم تثني على زهرة المشاركة في فريق الموسيقا الذي يرتب لحفلات جميلة ماتعة، مرت إلى جوارهم الأستاذة نادية المدير المساعد للأنشطة المدرسية وأثنت على مشروع سارة الذي يعد الأول من نوعه، وأثنت على المخططات الأولية التي قدمتها بالقلم الرصاص كما أثنت على بعض من تلاميذ المدرسة في عدد من الأنشطة.

بعد تناول الغداء انصرف التلاميذ إلى القاعات وفق مواعيد دروسهم، ولم يمر أكثر من ساعة وبينما يتنقل التلاميذ بين غرفهم والقاعات حتى انتشر في المدرسة خبر اختفاء مستلزمات من أحد مختبرات المدرسة، مع إبلاغ تلاميذ عن فقدهم لأشياء مهمة من غرفهم وعلى الفور أصدرت مديرة المدرسة أمرها للسيد صالح باتخاذ اللازم تجاه هذا الأمر، فانتشر الحراس في المدرسة، مع أمر المديرة بعودة كل الأساتيذ والتلاميذ إلى غرفهم الخاصة أثناء فترة البحث... تمت عملية البحث وفق لوائح المدرسة وأسفرت عن اكتشاف المسروقات في

غرفة رامي ويوسف... توجه السيد صالح حاملاً المسروقات إلى مديرة المدرسة مخبرًا بأن الأشياء وجدت في غرفة يوسف ورامي، وبالأخص وجدت أكثر الأشياء بين أشياء رامي الشخصية... انزعجت المديرة جدًا لما يقوله مدير أمن المدرسة فهو يوجه الاتهامات المباشرة إلى رامي ومعه يوسف، مع علمه بأنهما بعيدان عن شبهة... استدعت المديرة التلميذين إلى مكتبها بينما كان أصدقائهما في حالة ذعر وضيق شديد يصل حد الثورة لما حدث، فلا أحد يصدق أن رامي ويوسف يسرقان، ويصران على أن الأمر مدبر وأنها مكيدة... انقسم تلاميذ المدرسة بين مستنكر لما حدث، ورافض تصديق أن رامي يسرق، وفريق ثالث يوجه أسئلة قابلان؟ ولماذا هذه الأشياء تحديدًا، والبعض يجيبون بأنهما يخططان لإحداث شغب وقلق في المدرسة ليثبتا أن رامي على حق فيما قال وما فعل، وفريق واقف لا يعلق ولا يعرف غير الصمت والانسحاب من المشهد... لم يبد أيسر وفريقه أية ردود أو تعليقات فهم موزعون بين التلاميذ لإحصاء ردود الأفعال والتعليقات ترتيبًا لمرحلة ما بعد السرقة...

بسؤال رامي ويوسف أنكرا معرفتهما بأي شيء وأصرا على نفي أن يكونا سارقين، كان رامي في حالة يرثى لها من العصبية، والاستنكار لما هو فيه، إنه كان يلعب مع فريقه، وتناول الغداء ثم ذهب إلى غرفته لجلب أدواته الدراسية وتوجه من فوره مع يوسف إلى قاعة الكتابة اللاتينية، لكن المديرة بكل أسى قررت أن تنفذ لوائح المدرسة بفصل رامي ويوسف من السكن المدرسي وستتحدد المدة باجتماع مجلس المديرين المساعدين...

انصرف يوسف ورامي من مكتب المديرة والأسى يعتصر قلبيهما ليجدا أصدقاءهما في انتظارهما، وعددًا من التلاميذ المتجمهرين، الذين فضهم صوت الإذاعة الداخلية الآمر بانصراف الجميع إلى قاعاتهم الدراسية فورًا... أما الأصدقاء فقد قرروا البقاء مع رامي ويوسف فلديهم رصيد يسمح بالتغيب وتعويض الغياب في قاعات إضافية... خيم عليهم الحزن جميعًا بينما يسيرون عبر الممر الطويل إلى الحديقة الكبرى لعل الخضرة والماء يخففان عنهم وقع الكارثة التي هم فيها، وفي نفس الوقت هم لا يصدقون أن هذه الواقعة حقيقية وإنما هي مدبرة، ولم

تسمح لهم الصدمة بتوجيه الاتهام لأحد، فلم تمر المدرسة بتجربة سرقة بهذا الحجم من قبل، لكن في نفس الوقت لا يمكن أن يقوم الاثنان بهذه الجريمة المحكمة فالشاهد الوحيد فيها متهم هو الآخر فكلاهما متهم وكلاهما كان يفترض أن يكون الشاهد... طرأ على ذهن سام أن يكون أيسر وراء هذه الجريمة المنكرة، لكن سارة ويوسف استبعدا هذه الأمر فأيسر على الرغم من سوء أخلاقه لا يمكن أن يدبر هذا التدبير المحكم...

* * *

ساعتان فرتا مسرعتين دون أن يتوصلوا إلى حل، وباغتهم استدعاء لرامي ويوسف حيث أبلغتهما المديرة بنتيجة الاجتماع الذي قرر أعضاؤه تخفيف الحكم عليهما من الفصل من السكن المدرسي شهرًا كاملاً إلى أسبوعين فقط، الأول منهما فصل كامل من المدرسة مع حرمانهما من الترشح لطاولة الخمسة عشر لشهر كامل... كانت صدمة شديدة أدت إلى أن انحدرت الدموع من عيني يوسف، أما رامي فقد تجمد دون أي رد، ولم ينطق بكلمة واحدة... وبعد صمت ثقيل أخبرتهما مديرة المدرسة أن إجراءات استدعاء والديهما تتم الآن لاصطحابهما... حاولت المديرة أن تكون صلبة بما يتفق والموقف لكنها

لم تستطع ليقينها أنهما لم يرتكبا هذه الجريمة، ففضلت أن تخفف عنهما بأن أخبرتهما أنها ستراهم يوميًا خلال الساعات الدراسية، والعقاب يتمثل في حرمانهما المبيت في المدرسة، وهذا هو القانون، وأنها لن تكتفي بهذا وإنما ستتابع بنفسها التقصي لمعرفة المجرم الحقيقي وراء كل هذا، لأن ما حدث يسيء إلى المدرسة خاصة في الظروف التي تمر بها وهما من أكثر العارفين بها.

* * *

كان اليوم الدراسي قد انتهى وتلاميذ المدرسة يتنقلون بين قاعات أداء الواجبات المنزلية، وآخرون إلى المكتبة، وغيرهم إلى الصالات الرياضية والملاعب، حين وصل والد رامي منزعجًا لما ورد في التقرير المرسل إليه، وبدخوله إلى المديرة هدأته بكلمات طيبة وكذلك حدث مع والد يوسف... حين انصرفوا كان الأصدقاء سارة وزهرة وسام والأستاذة لينا والأستاذ إبراهيم في انتظارهم فوقفوا ليصافحوهم مودعين ومهونين عليهم ما حدث، وكذلك عدد من تلاميذ المدرسة، وأيسر من ورائهم يشيعهم بنظرات شامتة، وزهو بنفسه لما حقق من انتصار

على اثنين ممن يراهم أعداء مغرورين، وانصرف ليكتب مقالته التي سينشرها في مجلة الحائط الإلكترونية والمعنونة بـ (رامي السارق).

لأول مرة تستقبل السيدة مريم خبرًا كهذا، واتهامًا كهذا لحق بابنها، إنها من قبل وافقت الأب حين برر لها كذب ابنها بأنه يحبها ولم يرد أن يضعها في موقف محرج، وأخبرها أنه ناقشه في الأمر وتعهد له رامي ألا يكرر ما يغضب أمه، لكن هذه المرة الصدمة قوية، فابنها الذي تلاحقه الصحافة صار سارقًا، لهذا استقبلته وكلها استعداد للشجار، لكن ما أسكتها كان وصول يوسف معه إلى البيت... حبست غيظها حتى انفردت بزوجها الذي أخبرها أنه استأذن والد يوسف أن يقضي ابنه هذه الفترة مع صديقه رامي كي لا يتكبد عناء السفر، كما أن رامي كان راغبًا في هذا.

في غرفته كان رامي ثائرًا جدًا بسبب القرار الذي اتخذته المديرة ضدهما وهي موقنة أنهما لم يرتكبا هذا الجرم، ولابد أنها مكيدة دبرت لهما، وكان يوسف صامتًا متخشبًا لا ينطق، وهو على هذه الحالة منذ غادر المدرسة، لكن رامي الذكي كبت غيظه، وقرر أن يكرم ضيفه الذي

سيقضي معه فترة الفصل من المدرسة، فساعده في إخراج ملابسه وكتبه من حقيبته، وصفها في المكان الذي أفرغه وخصصه له رامي في الخزانة... أرشده رامي للحمام الخاص به ليستحم ويبدل ملابسه... في هذه الفترة كان رامي قد أعد بعض السندويتشات الخفيفة، والعصير في المطبخ وأحضرها إلى الغرفة ليتناولها مع صديقه، وقررا ألا يعطلهما ما هما فيه عن أداء واجباتهما كي لا يفوتهما شيء، وقررا ألا يمر الأمر بالسهولة التي يتوقعها من نصب لهما هذا الفخ، فلابد من كشفه.

لم ينقض من الوقت أكثر من ساعة حتى تلقى السيد مراد مكالمة هاتفية من السيد (ج.أ) يخبره فيها أنه على علم بما حدث في المدرسة وأنهم قرروا أن تبدأ التدريبات من الغد لاستغلال هذا الأسبوع فيما يفيد.

١٣-أسبوع من التدريبات الشاقة

قررت مؤسسة إنسان بلا حدود دعم مشروع التحدي لما تبين لها أن الخطر محدق وأنه لابد من مواجهة حقيقية خصوصًا وأن الهيئات العلمية لم تعترف بدراسات البروفيسور طومسون، وأنه يواجه تحديًا شرسًا من أصحاب المصالح لأن أبحاثه تهدد مشروعاتهم بالخطر، فقررت المؤسسة من خلال أفرعها أن تعمل على إقناع إدارات الحماية في العالم بأن العالم مقدم على خطر عظيم لا يستهان بعواقبه، لكن النتائج لم تكن مرضية، لكن ظهرت بعض المؤشرات لاستعدادات عسكرية ضد هذا الخطر المحتمل، لكنه سيبقى ضمن الاحتمال، لهذا قررت المؤسسة دعم تدريب رامي بأقصى إمكاناتها كما حملت على عاتقها تنفيذ مشروع العالم الشاب الراحل علاء الدين الذي مات في أحداث تزامنت وبناء المدرسة، ولعلمه أن المدرسة قد تتعرض للخطر، بل والعالم مهدد بأخطار كثيرة وضع مشروع القبة الإلكترونية والتي تمثل درعًا إلكترونيًا على شكل قبة عملاقة متعددة الميزات فهي قادرة على تنقية الهواء وطرد الملوثات خارج النطاق الذي تضرب

عليه، كما أنها تمنع مرور أي جسم غريب عبرها... استقدمت المؤسسة المهندسين والخبراء بالإضافة إلى الموجودين في الجزيرة لتنفيذ المشروع الضخم وتزامن معه تطوير الورشة السرية بدلاً من الانتقال إلى مختبر الدكتور عمر لتناسب تدريبات رامي وفريقه وفقًا للدراسة التي وضعها بالاشتراك مع البروفيسور طومسون والبروفيسور تمام والسيد سامر، فقد طابقت الورشة إلى حد كبير المختبر الذي تم فيه فحص رامي، وزادوا عليه آليات تدرب رامي على تحمل القذف لمسافات بعيدة والتحليق بكرسيه الجديد، واستغلوا أسبوع الفصل من المدرسة في تدريبات شاقة تحملها رامي وتجاوب مع كل التعليمات، ورغم المشقة إلا أنه كان سعيدًا لأنه الآن يمتلك آلة لا مثيل لها تجمع بين العديد من الصفات والقدرات... ركب رامي نموذج الكرسي المعد للتدريب والمعلق في حوامل قوية متصلة بمركز تثبيت قوي من الفولاذ فائق الصلابة... هذه الآلة بأكملها تستجيب إلى الأوامر التي تصدر من اللوح الكفي المعد للتحكم في الكرسي... جلس رام على الكرسي فتمددت منه أحزمة أمان قوية حول الوسط والكتفين ولبس خوذة أعدت خصيصى له لونها أحمر، للخوذة نظارة سوداء تغطي الوجه لها القدرة

على التحكم في مستويات الضوء المار إلى العينين... لبس قفازيه ظهر الكف أحمر بلون الخوذة وباطن اليد والأصابع أزرق... القفاز يصل إلى ما بعد المعصم محاط بدائرة زرقاء... بدأت الأنظمة تعمل حين لمس رامي علامة التشغيل في اللوح الكفي... كانت الشاشة أمام عينيه تعرض له بيانات التشغيل ومدى جاهزية المعدات... من خلال السماعة الملحقة بالخوذة جاءه صوت البروفيسور تمام ببدء تشغيل المحرك النفاث فشغله... هذا هو المحرك الأول من نوعه الذي لا يصدر صوتًا عاليًا وبفضل فكرة مصطفى العالم تم تثبيته في هذا الكرسي، كما أنه يعمل بطاقة كهربية مخزنة في بطاريات ذات سعة تخزين عالية جدًا تتوقف حين يندفع الكرسي بسرعة عالية ليتم التشغيل من خلال إعادة تدوير الهواء في المحرك... بدأ رامي في تنفيذ مناورة بالكرسي أدى فيها عدة عمليات صعبة للانطلاق من وضع الثبات والقفز المتزن والدوران بالكرسي في مساحات ضيقة... كان التدريب أشبه بتدريب طيار على نموذج طائرة... ثم جاءه الأمر بالتحليق فأجرى رامي عدة أوامر سريعة باللوح الكفي فاستدعى نموذج طائرة شراعية يعمل آليا والتحم بالكرسي من الأسفل ليكون الكرسي هو قمرة القيادة وبدأت

تجربة التحليق والمناورة الجوية داخل المختبر.

استغرقت عمليات التدريب أسبوعًا كاملاً في كل مرة يجري الدكتور عمر فحصًا قبل البدء وبعد الانتهاء وفي كل مرة تظهر نتائج رامي مطمئنة للجميع... أما يوسف فتم تدريبه على المراقبة والتتبع الأرضي وحصر البيانات... هو عمل شاق ويحتاج إلى سرعة بديهة وذهن حاضر وذاكرة قوية، فمن خلاله يتم الاتصال برامي والتحكم في الكرسي أو الملحقات وقت الخطر.

بانتهاء الأسبوع كان الاثنان قد أتقنا العمل وأحسنا التدريب واطمأن الجميع لأن الأجهزة كلها وفق ما أرادوا... وبابتداء العطلة الأسبوعية لحق بهم سام ويوسف وسارة وحضر مصطفى أيضًا ليطمئن أن مشروعه قد نجح... كان الجميع فرحون لأنهم سيحضرون مع رامي العرض التدريبي النهائي وبهرت سارة بيوسف الذي أثبت أنه قادر على أن يكون مرشدًا ملاحيًا أرضيًا بتفوق... داعبته سارة بقولها: هل تنازلت عن أناقتك أيها الفتى المغرور؟... التفت إليها بينما كان يعدل من

جلسته على كرسيه المتحرك قائلاً نعم يا سيد أيسر... فانفجر الضحك يملأ المكان إلا أن وجه سارة احمر خجلاً من رد يوسف، ولكزته في كتفه ورددت: نعم أنت مغرور جدًا، والأكثر اهتمامًا بهندامك، وأنا شامتة فيك لأن رامي جعلك تهتم بالعمل أكثر من الاهتمام بقصة شعرك... قال سام: نحن نشهد أن يوسف تبدل في بضعة أيام وهذا دليل على جدية المشروع، ودليل على أننا فريق يستطيع أن يتكيف مع أي عمل يسند إليه... من خلفهم لم يزل مصطفى يراجع مع رامي والسيد سامر أدوات تثبيت المحرك في الكرسي المتحرك، ويفحص قضبان التقاء مجسم الطائرة بأسفل الكرسي ومعاملات الثبات... التفتوا إليه جميعًا وهو يشارك البروفيسور تمام اختبار مجسم الطائرة في وضع الثبات، وفحص التحكم عن بعد للاطمئنان على استجابة المجسم لأوامر التشغيل بدون طيار والتحول الأوتوماتيكي استجابة للأوامر الصادرة عن لوحة التحكم من خلال كرسي رام.

بهرت سارة بهذا النموذج فما أمامها يكاد أن يكون طائرة حقيقة وقد عبرت عن شعورها هذا مما جعل البروفيسور تمام يؤكد لها أنها طائرة

حقيقية لكن بقدرات أقل من غيرها لأنها مصممة لغرض معين، ورغم ما يكتنف الأمر من خطورة إلا أن الواجب يحتم علينا خوض هذه المغامرة... أشار إلى المجسم اللامع باللون الفضي أمامه شارحًا: طول المجسم كما ترون سبعة أمتار مزودة بمحرك نفاث يعطيها القدرة التحليق على ارتفاع ثلاثة آلاف متر، وكما رأيتم يمكن لهذه الطائرة التحليق بدون طيار مع برنامج تحكم محكم عن بعد... والإبداع في الطائرة إمكانية الارتفاع من المكان وكذلك الهبوط دون الحاجة لمدرج بفضل جناحين مفصليين ودفة متعددة الزوايا... كانت الأنظار المثبتة على الطائرة دالة على الانبهار لما يرون والذي تم بأيدي هؤلاء العلماء... أصرت سارة أن تتولى هي عملية طلاء أجزاء من جسم الطائرة على أن تبدأ من الغد وفي عطلة نهاية الأسبوع القادم إذا لم يسعفها الوقت... سألها السيد سامر عما سترسم فانتحت جانبًا بورقة وقلم لدقائق ثم عادت إليهم وقد قررت رسم شعار لرامي عبارة عن سهم صاعقة كهربية ينطلق من حرف اسمه الأول مشكلاً حرف اسم أبيه الأول فأعجب به الجميع وقرروا أن يكون هذا هو الشعار المعتمد لرام والذي يوضع على أشيائه، ومن فورها بدأت سارة في إنجاز عملها.

١٤-حملة أصغر سفير

بابتداء الأسبوع التالي عاد رامي وسام إلى المدرسة عودة نهارية فقط، وتكفلت السيدة مريم بنقلهما من وإلى المدرسة يوميًا... في اليوم الأول من العودة كان استقبال التلاميذ لرامي ويوسف استقبالاً فاترًا والبعض نبذهما مما أدرى إلى ضيق رامي، ولولا سارة وزهرة لما بدأت خطة الإيقاع باللص الحقيقي، فهما طوال الأسبوع الماضي تراقبان التلاميذ وتجمعان المعلومات حتى أخبرتهما إحدى الفتيات أنها سمعت أيسر يتفق مع خمسة من التلاميذ للإيقاع برامي في شرك لا يستطيع النجاة منه

* * *

في اليوم التالي اجتمع يوسف ورامي بزهرة وسارة في غرفة الأستاذة لينا ورتبا لأمرين ضروريين في وقت واحد أولهما انطلاق حملة أصغر سفير العالمية لإنقاذ العالم من الوحوش الكونية، وهذا النشاط سيغري أيسر ضد رامي حتى يدبر له مكيدة أخرى وحينها يتم الإيقاع به... وافقتهم

الأستاذة لينا، وتولت هي إبلاغ المديرة ليضبط أيسر بجرمه وينال عقابه، أما مشروع الحملة فقررت المديرة إبلاغ السيد نبيل البابي به ليتخذ اللازم.

وصل خطاب من السيد نبيل البابي بعد أسبوعين يؤكد أن المنظمة وافقت على فكرة المشروع وتم مخاطبة جهات داعمة، وجهات ثقافية، وجهات بيئية في العالم وأبدوا استعدادًا للدعم والمشاركة...

الحملة بدأت بمقالات يكتبها رامي ومصطفى وسام والبوفيسور طومسون والسيد نبيل البابي وتترجم إلى كل لغات العالم، وشاركت سارة بالترجمة للإيطالية والإسبانية، وأرسلت والدتها تدعم المشروع وتساهم بالترجمة، وكذلك السيدة مريم تطوعت في الحملة مع السيدة فريال صاحبة الفكرة... عدد كبير من المدارس حول العالم شاركت داعمة لرامي أصغر سفير وكذلك عدد من السفراء واتخذت الحملة شعار(عالم بلا وحوش كونية) تركزت المقالات حول ثاني أكسيد الكربون والاحتباس الحراري، ومصادر انبعاث الطاقة الضارة، والملوثات... صار العالم كله يهدد بمقاطعة كل منتجات المصانع

التي لا تدخل في الاتفاقية التي يتم عقدها لاستعمال مرشحات العوادم، واستعمال الطاقة البديلة، ووقف التجارب النووية. كتب رامي مقالة أثرت في كل من قرأها وعنونها: قبل أن نحارب عدوًا مجهولاً لابد أن نوقف الحروب بيننا... دارت المقالة حول أن السلام هو أصل الكون وكل الكون مرتبط بالحب، والإنسان اليوم يشعل الحروب في كل مكان فيقضي على الإنسان بالقتل بالسلاح، ويقضي عليه باستقدام وحوش مجهولة تفتك بمن سيبقى في الأرض.

انتشرت الحملة وازداد الداعمون وأعلنت دول وقف الحروب بينها، وشكلت هذه الدول اتحادًا يواجه كل دولة تشعل الحروب والنزاعات في العالم، لكن الخطوة الأسرع كانت إبرام اتفاقية عالمية لإجراء تجربة لمدة شهر قامت هذه التجربة بأن رصدت مجموعة من المنظمات الاقتصادية مبالغ مالية لتمويل مشروع مرشحات تدوير عوادم تشغيل المصانع المصدرة للأدخنة حول العالم، كما تضمنت الاتفاقية تعطيل عمل المصانع ثلاثة أيام أسبوعيًا خلال هذا الشهر.

مع هذه النجاحات لم تتوقف حملات النشر والدعاية وصارت صورة أصغر سفير في العالم ورفاقه معلقة في بقاع الأرض، وبدأ الشهر الموعود، وفي يومه الأول كان كل تلاميذ المدرسة يصلون كل على دينه لله كي ينجح المشروع... ملأت الصلوات كل أركان المدرسة وكأن العالم كله يصلي في لحظة واحدة إلا أيسر الذي حاول إعادة نصب نفس الشرك بنفس الطريقة في غباء لا يتكرر مستغلاً انشغال كل من في المدرسة فصورته الكاميرات التي دسها مصطفى والأستاذ إبراهيم في الممرات وفي غرفة رامي وغرف أصدقائه جميعًا.

عرض أيسر ومن شاركوه الجريمة في المرة الأولى على مجلس المديرين، واتخذ فيهم قرار حاسم ونهائي مؤكد بالأدلة، ونص القرار على فصل أيسر نهائيًا من المدرسة بعد أداء الامتحانات النهائية لهذا العام، ومعاقبة رفقائه بفصل جزئي لمدة فصلين دراسيين.

بعد أسبوعين من بداية تنفيذ الاتفاقية العالمية استعرت حمى النشر عن الخيول العربية باهظة الثمن التي تسرق من المزارع

الخاصة، وعرجت الأخبار على حالات سرقة خيول وقعت منذ خمسة أعوام ولم يستدل على سارقيها، والتقارير تؤكد أن لا أدلة على أن يدًا امتدت لفتح الحظائر والكسور في الأسقف تم تحليل حوافها فتبين أن المواد المستخدمة في الكسر مجهولة المصدر... توافق مع هذه البرامج والتقارير خط مواز يثير الجدل من جديد حول كتاب وحوش الغابات الكونية، وبدأت أبحاث تحلل ما ورد في الكتاب وتلقى كل من البروفيسور تمسون والبروفيسور تمام عروضًا كثيرة للحديث عن الظاهرة إلا أن العارضين يئسوا من نجاح كل حملات التفاوض معهما، لكن ما وافق عليه البروفيسور تمسون هو ترجمة كتابه إلى كل اللغات تقريبًا وتلقى مبالغ مالية كبيرة عزم على تسخيرها لمغامرتهم الكبرى التي ستمثل في حد ذاتها فتوحًا علمية كثيرة... استغل البروفيسور تمام هذه الأحداث في أن حصل على براءة اختراع للطائرة وإذن تحليق بها، وفور أن صدرت براءة الاختراع انهالت عليه عروض الاستغلال لهذه التكنولوجيا إلا أنه رفض تمامًا كل العروض، كما استطاع كل من البروفيسور طومسون والأستاذ إبراهيم من الحصول على موافقات خمسين مركزًا فلكيًا للتعاون معهما.

صدر إذن التحليق بارتفاع ثلاثة آلاف متر كما قرر فريق العمل، ورفض البروفيسور تمام ومصطفى العالم استغلال الطاقة الكاملة للمحرك والطائرة لأكثر من ذلك خوفًا على من سيستغلون الطائرة، وقد وضعوا في اعتبارهم مسارات الطيران في سماء الجزيرة كي لا تتعارض مجالات طائرتهم مع الخطوط الملاحية ومجالات بث الطائرات الأخرى وبهذا أمكن التطبيق التجريبي الفعلي للطائرة، وأجريت التجربة بنجاح حيث حلقت في المحيط المقرر لها مارة من فوق المدرسة وقد اطمأن الجميع لقدرات يوسف على التحكم في الطائرة من المقر الأرضي.

المفاجأة الحقيقية كانت في إجراء تعديلات سرية على الطائرة ولم يفصح عنها لأنها قيد التجريب فقد زودت الطائرة بكاميرا متطورة تعمل بتقنية الفمتو ثانية على افتراض أن هذه الكاميرا يمكنها رصد وتصوير الوحش الكوني الذي لا يراه إلا رامي، كما زودت الطائرة بقاذف ليزر يعمل بنفس التقنية، ومضخة غاز. المثير للقلق التقارير التي نشرت عن جمعيات الحماية البيئية عن اختفاء بعض الحيوانات المفترسة وقتل البعض الآخر في تلك المحميات.

١٥-في المرصد البحري

قارب الأسبوع الثالث من الشهر المقرر لتنفيذ الاتفاقية قد انتهى، ونشر البروفيسور طومسون عدة تقارير تفيد أن الغابات الكونية بدأت في الارتفاع ببطء عن المواضع التي كانت تستقر فيها، مبتعدة نسبيًا عن الأرض، وأن تحليل البيانات والرسوم يعطي مؤشرات عن أن أحجام الوحوش بدأت تتضاءل، لهذا فالسعادة عمت العالم وبالأخص تلاميذ مدرسة (عالم واحد) لكن الحرص كان ضروريًا فالخطر لم يزل قائمًا لهذا قررت مديرة المدرسة استضافة العلماء من أصدقاء رامي في زيارة خاصة تبدأ من السرداب الممتد من المدرسة إلى المرصد الفلكي والذي لم يكن مخصصًا لهذا فقط وإنما هو متفرع إلى طريق آخر ينحدر بطريقة هندسية وتقف إلى جانبيه عربات أشكالها جميلة على شكل قوارب يسع الواحد منها عشرة أفراد، والمقعد الأخير في كل واحد منها مخصص للأستاذ المرافق لكل فريق متوجه إلى المرصد، وتدار بطريقة إلكترونية وفيها كاميرات مراقبة وأيضًا الممر الطويل أيضًا مزود بأنظمة مراقبة دقيقة... لم يكن رامي قد دخل إلى هذا المكان

من قبل لأنه لم يكن بعد قد تلقى دروسًا في الاستكشافات البحرية، ومثله في هذا الشأن يوسف وسارة، أما سام، ومصطفى فقد ذهبا إلى هناك مرات عديدة فسام قد درس الأحياء ومن ضمنها الأحياء المائية ومصطفى أجرى بعض الأبحاث المائية في المواد الإضافية التي يختارها لرفع معدلاته التقييمية... توجه الجميع إلى المكان الذي تتوقف فيه العربات واستقلوا واحدة منها التي انطلقت إلى باب كبير مكتوب عليه: إن كان الإنسان يعتقد أنه توصل إلى أسرار الفضاء فإنه لم يزل واقفًا على أبواب أسرار البحار... فورًا ارتسمت في مخيلة رامي ملامح الأسماك العملاقة التي شغلت تفكيره وتصر أن تكون هي المخلوقات التي رآها... انفتحت الأبواب بعدة أزرار قامت مديرة المدرسة بالضغط عليها، وحين تقدمتهم نوهت إلى أنها اختارت الوقت الذي لا طلاب ولا باحثين في المرصد كي تبقى العملية سرية، وبنظرة إلى تلاميذها الذين يحبونها، أشاروا لها بما يدل على أن الأمر سيبقى سريًا، أما رامي من بين الجميع فكأن عينيه صارتا مثل كوكبين في الفضاء الفسيح يسيران في مسارات دائرية منتظمة، لقد كان يمسح المكان في ذهول، ولا يحب أن يبقى جاهلاً في مكان لأول مرة يدخله تبادل

الجميع ممن دخلوا هذا المكان لأول مرة النظرات المختلطة فلم يكن من المتوقع أن تضم مدرسة مثل هذا المرصد الزجاجي العالق في المياه وتتحرك من حوله المخلوقات البحرية في حركة شبه منتظمة وكأنها مدربة على أسلوب إعاشة في هذا المكان، أو أنها مخلوقات مصنوعة وليست طبيعية، تسرب هذا الشك إلى نفس سارة التي مالت قليلاً نحو يوسف سائلة إياه: هل تظن أننا في بيئة بحرية حقيقية أم أننا أمام شاشة كبيرة تعرض علينا فيلمًا من أفلام الخدع المتطورة... سمع مصطفى العالم هذا الهمس فابتسم لهما مؤكدًا في همس أنهم هنا في عمق أكثر من ألف متر تحت سطح الماء وأن هذا البيئة التي يرونها بيئة طبيعية... لم يكن الأستاذ فريد المدير المساعد للبحث العلمي ببعيد عن هذا الهمس، فقد تناول هو الحديث ووجهه إلى الجميع شارحًا طبيعة المكان، حيث إن هذا المرصد تم التفكير في إقامته مع التفكير في إقامة هذه المدرسة خصوصًا بعد ما تعرضت له الجزيرة من هجوم جماعة النجمة السوداء حين كانت المدرسة في طور الإنشاء، وقد خطط له عدد من العلماء في كثير من التخصصات، وأن البيئة البحرية التي يرونها هي بالفعل بيئة حقيقية طبيعية، لكن الأمر لا يخلوا من بعض

التدخلات فيها كي لا تهجرها الكائنات البحرية فهناك نظام تغذية تقوم به المدرسة للمخلوقات البحرية، كما يتم هنا ـ وأشار إلى عدة أبواب ـ إجراء العديد من الاختبارات على البيئات البحرية وتطور الكائنات البحرية بهدف الحفاظ على التوازن في البيئة البحرية ومعرفة ما يطرأ على البحر المحيط بالجزيرة من تغيرات طبيعية أو اصطناعية... تقدم الجميع خلف الأستاذ فريد الذي فتح إحدى الغرف الممتلئة بالأجهزة الحاسوبية والشاشات العملاقة، قال: من هنا أعددنا منافذ للهروب من المدرسة في حال حدث هجوم مدمر على المدرسة، فهذه الغرفة وأشار نحو أحد الحوائط وكان هو الوحيد الذي لم يكن من زجاج، فانفتح الجدار عن ممر استثنائي طويل ثم أكملت المديرة هذا هو الممر المؤدي إلى الغواصة المجهزة لحمل كل من في المدرسة... في طريق العودة من هذا المكان لاحظ الجميع أن رامي توقف في مكانه ينظر في ماء البحر، فنظر الجميع باهتمام، لكن اهتمام رامي كان الأشد فصمت الجميع واكتفوا بتبادل النظرات المتسائلة، لكن وجه رامي بدأ يتغير لونه وبدت عليه العصبية الشديدة وأخذ يفرك يديه وأصابعه كأنها فقدت سيطرته عليها فهي تتباعد وتتقارب في عصبية شديدة... في

اللحظة التي كان يهم بالاندفاع نحو الزجاج كان الدكتور عمر قد سبقه وتلقاه بين ذراعيه وتبعه سام الذي أحكم سيطرته عليه، ورامي يحاول إبعادهم بكل طاقته... إن به من القوة ما يؤهله لإسقاط سام أرضًا لهذا تدخل والده... كل هذا ورامي لا ينطق بكلمة واحدة إلى أن أداروا وجهه إلى الناحية المعاكسة... كانت مديرة المدرسة والأستاذ إبراهيم على موقفيهما من النظر في الماء ولم يروا أي شيء غير عادي، ما انتبه له الأستاذ إبراهيم التغير في مستوى حركة الماء وتكون موجات في جوف البحر قد عكرت الماء شيئًا ما.

لم ينطق رامي إلا بعبارة إنه هنا... أنا رأيته هنا... سأله البروفيسور طومسون باهتمام: ماذا رأيت يا رام؟ سحب رامي نفسًا عميقًا وقال في هدوء: معلوم أن أسماك الشيطان السوداء العملاقة تعيش في هذه البيئة البحرية... نظر سام في عيني رامي بغيظ وارتفع دمه في وجهه فصار كالجمرة وقاطعه: هل رأيتها ولم نرها يا رامي ولم نر أثرها؟ أجابه رامي بهدوء نعم رأيتها... اقترب سام منه وجثا على ركبتيه أمامه وقال: صف ما رأيت يا رام... قال رامي رأيت كائنًا أسود اللون ذا بطن

أبيض له جناحان وذيل طويل، وله ما يشبه القرنين يخرج من بينهما عنق يشبه عنق الحصان ورأس يشبه رأس الضبع لكن له أذنان كأذني الخفاش... رأيته يحلق بالقرب من الحائط الزجاجي... صمت رامي لبرهة ثم قال: انتظروا رأيت حدبًا في ظهره يمتد إلى زعنفة تشبه دفة الطائرة قبل أول السوط... زفر سام قائلاً: كل الأوصاف لسمكة الشيطان وقلما تقترب من هنا لكن... قاطعه البروفيسور تمسون قائلاً العنق والرأس يا سام.

تسرب القلق إلى نفس المديرة التي عبرت بقولها: هذا يعني أن الخطر صار محدقًا بالمدرسة التي تبدو محاصرة من الجو والبحر... ارتعدت أوصالها وهي تكمل: أنا لست مستعدة لأن نخسر هذا المشروع، ولا أريد أن يقنعني أحد بأن هناك قوى خارقة تأتي من الفضاء لتدمر عالمًا كله نقاء كالذي أسسنا له في هذه المدرسة... ليس من اللائق أيها السادة أن يجتمع هنا في هذا العدد من العلماء والمبتكرين ويؤذى تلميذ واحد في مدرستي... ارتكنت إلى أحد الجدران ولأول مرة يراها تلاميذها وزملاؤها تبكي وتنتحب ويصدر عنها الكلام مختلطًا

متداخلاً كأنها دخلت في نوبة هستيرية... قفزت واقفة في مواجهة رامي وأمسكت بكتفيه تهزه هزًا وتصرخ في وجهه: إذا كنت أنت كما يقولون عنك فلماذا لا تفعل شيئًا لأجل زملائك، وأنت الذي تسببت في كل هذا الذعر يا رامي... عدلت من صوتها ورسمت ابتسامة على وجهها وعادت تقول له: رامي أنت ابني الحبيب ولا تنكر أنني أقدم لك كل ما أستطيع من مساعدة ومودة وأنت ترى الآن أننا في قلب الخطر فأرني دليلاً قاطعًا على أنك تحب مدرستك، هل نسيت أنك أصغر سفير في العالم؟ لماذا لا تكلم هذه الوحوش؟

تهامس الحاضرون فانتبهت، واعتدلت ترتب هندامها وتنظر في وجوه الواقفين وعلى وجوههم حزن عميق وقالت: كلنا معرضون للخطر... عقب البروفيسور تمسون: العالم كله مهدد بالخطر إذا صدق حدسي، لكن ماذا أفعل أكثر مما أقدمه؟

اقترب رامي من المديرة وأمسك بيدها رافعًا رأسه ليواجهها بعينيه وقال: تعرفينني وتعرفين أنني لا يمكن أن أتراجع عن وعد قطعته مهما

كلفني هذا، وكلنا من حولك ندافع عن العالم وليس عن مدرستنا فقط، وتأكدي بإذن الله أننا سنتغلب على من يريد بنا الشر... ردت عليه بتنهيدة من عمق صدرها وقالت: أتيت بكم إلى هنا لتروا المرصد البحري ووسيلة الأمان القصوى التي حاولنا توفيرها للمدرسة لكن على ما يبدو أنني فتحت علينا بابًا جديدًا للرعب، فهذه الأخبار ما أن تصل إلى التلاميذ سيصابون بالذعر فالعدو لم يعد بعيدًا عنهم إنه يسكن بينهم بعد أن كنا نعتقد أنه بعيد أو ربما جاء فقط ليخطف حصانًا... أنا لا أعرف كيف أواجههم بهذا الخبر، ولا أضمن ردود أفعالهم ولا أضمن ردود أفعال أولياء أمورهم، فمن حقهم الآن وقد بدت علامات الشر تنذر بالكارثة... ماذا أقول؟ انحدرت دموعها وقالت: من حقهم سحب أبنائهم من المدرسة أو نقلهم إلى مدارس أخرى سيرونها أكثر أمانًا.

١٦-الظهور الأخير

انتهت الامتحانات وأعلنت النتائج لطلاب المدرسة جميعًا ولم يبق إلا نتيجة امتحانات الصف الثالث عشر ونتيجته تأهيلية لالتحاق طلابه بالجامعات وفق التخصصات التي حددوها ودرسوا مقررات خاصة بها... بقي أسبوع على إعلان هذه النتيجة وقد استغل هذا الوقت في الترتيب للاحتفال الكبير الذي يقام بهذه المناسبة وفيه يكرم الفائقون من طلاب المدرسة والفرق التي شاركت في الأنشطة المختلفة... تم الترتيب لأن يحضر هذا الحفل عدد كبير من الشخصيات العامة وأساتذة الجامعات والعلماء ومراسلي الصحف العالمية... إنها أول دفعة تخرجها المدرسة والتي تمثل ثمرة التحدي الأكبر لهذه المؤسسة.

كان كل من في المدرسة يصلون الليل بالنهار للتدريب على الأدوار في الحفل ومن ضمنها عروض الكراسي المتحركة التي يشارك فيها رامي ويوسف وزهرة بين زملائهم، كما سيتم افتتاح معرض هذا العام تحت شعار (عالم واحد) وتشارك فيه سارة وزهرة، أما سام

ومصطفى فهما مشاركان في عرض علمي يعرض فيه كل طالب مخترعاته التي رأت الهيئة العلمية بالمدرسة أنها جديرة بالعرض وقد حصلت المدرسة على عرض ممتاز هذا العام من جهات علمية بتبني أفضل المخترعات والمكتشفات والأبحاث التي يقدمها تلاميذ المدرسة على اختلاف أعمارهم... الجميع في المدرسة على قدم وساق، وربما كانت هذه الترتيبات عزاء لهم عما عانوه خلال الشهور الماضية... وخلال هذا العمل الدءوب كانت المفاجأة الجميلة إذ أعلنت مديرة المدرسة فوز رامي مراد بجائزة أصغر سفير في العالم، وأنه مدعو لحضور مؤتمر كبير لتسلم جائزته وإلقاء كلمة عالمية بعد شهر من هذا التاريخ، كما ستحصل المدرسة على درع تقديرية لنفس السبب.

بقي على إعلان النتائج يومان، وأنجز كل فرد تدريباته ونالوا ثقة مدربيهم واطمأنت المديرة إلى أن العروض والحفل سينجزان على أكمل وجه، وسمحت للجميع بالراحة لليلتين لإنهاء ترتيباتهم الشخصية... كانت الليلة صيفية مقمرة ففضل عدد من التلاميذ والأساتذة إقامة حفل سمر في ساحة الملاعب بالقرب من باب البهو الكبير حيث إن

التعليمات تقضي بعدم الابتعاد عن مباني المدرسة بعد الغروب... كانت الموسيقا تصدح بعزف جميل من الأستاذة لينا يشاركها تلاميذها وبينهم زهرة... من القبة الفلكية كان الأستاذ إبراهيم يتابعهم بين الحين والحين، وكانت الأستاذة سالي في غرفة مكتبها تجري عددًا من الاتصالات وترسل بالدعوات لحضور الحفل... السيد صالح يظهر في الأماكن كلها في أوقات متفرقة ثم يعود إلى مكتبه... مد بساط كبير على الأرض المعشبة وصفت عليه أطعمة خفيفة والعصائر والشاي والحليب، وجلس السمار حول الطعام يتناوله بلذة وسعادة والقمر يشق طريقه إلى السماء العالية الصافية إلا من بعض الغيوم المتفرقة... انطلقت بعض الأسئلة الموجهة لرامي عن كرسيه الجميل ورامي كالعادة يجيب بأنه لا يختلف كثيرًا عن الكراسي المتحركة إلا في إمكانية التحريك باستعمال اليدين أو التحويل إلى النظام الأوتوماتيكي... رامي حافظ جيد للأسرار ويملك قدرة جميلة على التعبير الذكي الراقي ويحافظ على اتزانه النفسي، وربما كانت هذه غريزة فطرية فيه لا يتمتع بها الكثيرون منذ الصغر، ونمتها قراءاته وحبه للاطلاع وقراءة القصص والروايات، لكن أحدهم سأله عن الخوذة التي يمتلكها دون أن يستعملها، فبرر

بأن فرصة استعمالها لم تأتِ بعد لكنه سيستعملها في سباق الماراثون الذي سيقام ضمن فعاليات الحفل والقانون يسمح بارتداء الملابس الواقية... تزحزح رامي قليلاً إلى أن أسند ظهره إلى إطار كرسيه وناولته سارة كوبًا من عصير المانجو الطازج، واقترب منهما يوسف، وبالقرب منهما كان مصطفى وسام يتناقشان حول المشاريع التي سيعرضانها على اللجان العلمية التي ستحضر المعرض، كان كل منهما سعيد بصاحبه وبمشروعه الذي سيقدمه، وكلاهما من المشاريع الهامة صديقة البيئة، وقد صرح سام لمصطفى بأن البكتيريا الآن قادرة على ترطيب لحاء وأوراق النباتات لمنع النباتات من إطلاق غاز ثاني أكسيد الكربون حين ترتفع درجات الحرارة بنسب عالية، وهذا سيكون مفيدًا جدًا لأن النباتات الخضراء تكون خطرة جدًا إذا ارتفعت درجات الحرارة عن معدلاتها الطبيعية لأن النبات أثناء عملية التمثيل الضوئي ينتج الأكسجين وهذا يتم ليلاً لكنه نهارًا يتنفس ويصدر عنه ثاني أكسيد الكربون، ومع ارتفاع الحرارة يكون ما يصدره من ثاني أكسيد الكربون أضعاف ما يستهلكه... زهرة مع الأستاذة لينا والأستاذة ليلي وعدد من الفتيات يمزحن ويلعبن ويحكين طرفًا وأحاجي.

شم رامي رائحة نتنة حملها الهواء إلى المكان فرفع عينيه إلى السماء فلمح شيئًا ضخمًا سرعتة فائقة... كان هذا الشيء آتيًا من وجهة البحر باتجاه أحياء الجزيرة... ما يقارب النصف ساعة مرت وسمعوا صراخ تلاميذ يأتي من البهو الكبير، وصيحات تنادي: الوحش... هرع الجميع إلى شاشة التلفاز الكبير المعلقة في قاعة الاستراحة الكبرى، كانت الأخبار تبث معلومات عن أن المحمية البرية الطبيعية تعرضت لهجوم من وحش مفترس فتك بأكثر من نصف حيواناتها... سادت حالة من الهرج في أرجاء المدرسة وصدرت صافرات الإنذار وانطلق رجال الأمن يقودون التلاميذ إلى قاعة الطعام الكبيرة ويجلسونهم إلى الطاولات بناء على أمر المديرة والسيد صالح، وعاونهم التلاميذ المكلفون بالمناوبة العامة، وكان سام أحدهم لكنه استأذن في تكليف نائبه بالمهمة، وانطلق إلى يتبع رامي ويوسف إلى السرداب المؤدي إلى المرصد الفلكي، وأرسلوا الإشارة إلى الأستاذ إبراهيم الذي بدوره أرسل إشارة إلى كل من السيد سامر والبروفيسور (ج.أ) الذي تلقى الخبر فانطلق بالموتوسيكل النفاث فورًا في طريقه إلى المدرسة... أما مصطفى فقد سبقهم ووصل من الطريق الخارجي حيث قطعه عدوًا إلى قاعة

المرصد الفلكي وفتح غرفة صغيرة وشغل جهاز البث الكهربي اللاسلكي ووضعه على أهبة الاستعداد... وصل سام ورامي إلى القبة الفضائية مستعملين المصعد أما يوسف فقد لحق بمصطفى عبر الممر الداخلي وجلس إلى شاشة التحكم والمتابعة عن بعد... قدم الأستاذ إبراهيم الخوذة لرامي، وبمجرد أن وضعها على رأسه جاءه صوت يوسف يطلب منه فصل الطاقة عن المحرك استعدادًا لاستقبال الطاقة الكهربية من مركز التحكم عن بعد مع العلم أن هذا التوصيل ينقطع خارج حدود القبة الإلكترونية... جلس سام أمام شاشة كبيرة فخرج جهاز بث من قمة القبة لم يرتفع نها كثيرًا... في الساحة الخلفية لمركز (أجسامنا أمانة) انشقت الأرض ليخرج منها رادار صغير الحجم بدأ يعمل بسرعة وفق الأوامر التي أصدرها يوسف من مكانه في غرفة التحكم... انفتحت نافذة كبيرة في القبة الفضائية باتجاه حظيرة الخيول امتد منها مدرج بامتداد ثلاثة أمتار.

بهدوء تسللت الأستاذة لينا وسارة عبر السرداب إلى المرصد البحري وهناك انفتحت لهما الأبواب بواسطة البطاقات الإلكترونية

الخاصة... وعند باب الغواصة كانت المديرة في انتظارهما والهلع يبدو على وجهها... دخلن جميعًا إلى قمرة القيادة وكان الكابتن رابح في انتظارهن وقد جهز الحراب القوية المدعمة وزاد عددها إلى عشرين حربة قابلة للإطلاق، بهرت بها سارة حين شغل كاميرات غرفة الإطلاق... الأستاذة سالي والأستاذة لينا مشغولتان بالماسح المائي ولا يرون أي شيء غريب في محيط الجزيرة، وقد أكد الكابتن رابح أنه لم يرصد أي شيء غريب في القاع طوال اليوم وحتى اللحظة، ردت عليه المديرة قائلة: نتمنى ألا يحدث أي شيء غريب أو مزعج يا حضرة القبطان... استأنفت كلامها قائلة بحزن: أرجو أن تكون الغواصة على أهبة الاستعداد لو سمحت فربما يكون أبنائي في حاجة لها الليلة.

كان مصطفى قد أطلق القبة الإلكترونة حول محيط المدرسة حين تأكد أن البروفيسور تمام قد دخل، وسلك طريقه مباشرة إلى حيث يجلس مصطفى ويوسف، وأخبرهم أن البروفيسور طومسون يجري اتصالات مع المراصد الفلكية، فأخبراه أن الأستاذ إبراهيم على اتصال به وبالمراصد... تأكد مصطفى من أن الدرع تعمل وأن المدرسة الآن

مؤمنة فضائيًا بارتفاع ألفي متر... في الباب الفاتح على المدرج يجول ببصره في المكان مركزًا على حظيرة الخيول.

التلاميذ في المدرسة مشغولون بما قدم لهم من أطعمة وحلوى، أما الكبار منهم ففي نقاشات مع أساتيذهم حول الفروض المطروحة لافتراس الحيوانات... الجدال دائر في كل مكان، أما أيسر وأصحابه فيحاولون إثارة الشغب بكل الطرق ويحاولون الانصراف من القاعة الكبرى... أشاعوا الأسئلة الاستنكارية حول الغائبين، وأن غيابهم يعني أن كارثة ستحدث الليلة وأن رامي قد يقضي على تلاميذ المدرسة الليلة وربما كان هو ورفاقه وراء هذا الحريق... التلفاز يعرض التعليقات حول الحادث مستنكرين إياه ومتسائلين عن مستقبل الجزيرة التي يفترض أنها مؤمنة ضد مثل هذه الحوادث، وأن هذا الحريق قد يؤثر على سمعة الاتحاد الذي يديرها.

صوت صاعقة مدو أتى من حدود المدرسة تبعه عواء مزعج فهم التلاميذ بالخروج إلا أن الحراس منعوهم فتجمهروا على النوافذ

الكبيرة من وراء زجاجها وعلى مسافة مترين منها يحيط بهم المعلمون... تعالت الصيحات حين رأوا رامي يسقط بكرسيه المتحرك من ارتفاع عال وحين لم يرتطم بالأرض صاحوا مرددين رام... رام... رام... كان رام يرتفع بكرسيه عن الأرض بارتفاع يصل إلى عشرة أمتار ويناور شيئًا لا يرونه... كانت المسافة التي تفصل بين رامي والوحش حوالي المائة متر... ظل الوحش ينظر بعينيه اللامعتين في وجه رامي، ويستعد للهجوم عليه مصدرا صهيلاً رنانًا... لاحظ رام أن هذا الصوت يصدر من الفم الكبير لسمكة الشيطان... إنها كاملة الآن أمامه بحجمها الضخم... جناحاها مفرودان في الهواء، وسوطها يتلوى من ورائها طويلا جدًا... بين الجلبة كان أيسر ينادي بأعلى صوته إنه رامي الكاذب بهذه الآلة الحقيرة يحاول أن يفزعنا ولابد أنها هي التي تطلق هذه الأصوات.

شعر رامي أن الوحش يعاني الصدمة الكهربية التي تلقاها، وأنه يستجمع قواه أو ربما هو مصاب، فحاول أن يقترب منه... اندفع رامي في اتجاه الوحش الذي اندفع في اتجاه رامي بسرعة تفوق سرعة رامي مئات المرات... و كادت عين رامي أن لا تراه، وبحركة سريعة ارتفع رامي

بالكرسي ليمر من فوق الوحش مسددًا قذائف الكريستال الحادة التي أصابت الحدب الطويل في الظهر... لم يكن رامي متأكدًا أن الإصابة كانت سديدة، لكن الوحش أخرج سيقانه الثمانية من أكياس لحمية في بطنه ونزل واقفًا على الأرض، يرتفع عنها مسافة لا تزيد عن المتر... إنها قوائم حصان... أربعة في الخلف واثنان في الأمام... تسلل الخوف إلى صوت رامي الذي كان يجيب سؤال يوسف عما يرى فأجابه: أرى ثمانية قوائم لحصان وكتلة من اللحم أضخم من القبة الفضائية... كان مصطفى يعيد حسابات القبة الإلكترونة وهو متضايق جدًا لما حدث فلم يتوقع أن تخترق... قام الوحش واقفًا على قوائمه الأربع الخلفية فصار كحائط بارتفاع عشرة أمتار أو يزيد أمام رامي... نزل رامي إلى الأرض يتحين الفرصة للانقضاض والحيوان أمامه يصدر أصواتًا متداخلة والمسافة الآن ضاقت بينهما.

انطلق أيسر من باب البهو الكبير صائحًا: أنت أيها المخبول رامي ماذا تفعل بنا وماذا تريد بحركاتك هذه؟... كان الشر يتطاير من عينيه ورامي يناديه: ارجع يا أيسر... رامي يصرخ محذراً إياه وفي غمضة عين

كان الوحش قد هم قافزًا لأعلى وبحركة ذيله أصاب أيسر بطرفه فسقط على الأرض يصرخ من الألم، وينادي: كسر ظهري... حاول الوحش الفرار بينما أسرع رامي إلى أيسر وطلب إليه أن يزحف ببطء نحو الباب وسيحميه، فانقاد أيسر لأمره وزحف على بطنه باتجاه باب البهو... وكان الوحش يحاول أن ينفذ عبر الدرع إلا أنه في كل مرة يعترضه... حاول عدة مرات ورأى رامي سائلاً لزجًا قرمزي اللون يخرج من ظهره فتأكد أنه قد أصابه، وأخبر يوسف بهذا وبأن الإصابة لم تؤثر فيه كثيرًا... باقتراب يوسف من الباب أشار رامي للحراس فالتقطوه بسرعة إلى الداخل وأعادوا إغلاق الباب بإحكام.

عاد رامي يحلق بسرعة عالية لكنها لا تعادل سرعة الوحش، لكنه يحاول أن يسدد له ضربات أخرى... مرة أخرى عاود الوحش مهاجمة رامي بعد أن أتعبته محاولات الهرب... فنزل رامي مرة أخرى إلى الأرض وفعل الوحش مثله... حرك رامي كرسيه ببطء للأمام والخلف عدة مرات والوحش يتقدم باتجاهه وعينا رامي عليه تمامًا كأنه يعد دقات قلبه وحين صار الوحش في مرمى رامي أطلق عدة قذائف

متتالية، وانطلق بالكرسي في اتجاه الوحش منحرفًا يسارًا وموجهًا رشاشات الطلاء الفضي اللامع فأصاب به رأس الوحش وإحدى قرنيه فأصاب الطلاء العين التي في مقدم هذا القرن فانحرف الوحش بكامل جسده إلى الناحية الأخرى بينما رأس الضبع تلتفت بعنق الحصان في اتجاه رامي الذي تلقى ضربة من الذيل أصابت صدره، وبسرعة حلق عاليًا وهو يطلق الطلاء على ظهر الوحش وما تبقى لديه من قذائف الكريستال فصرخ الوحش صراخًا محمومًا وبدأ يحلق تحليقًا دائريًا سريعًا جدًا... حين اصطبغت أجزاء من الوحش بالطلاء بدأ من في القبة الفضائية ومن في المدرسة يرون هذا الرأس الضخم والقرن ودفة الذيل وجزءًا من الحدب الظهري، فازداد الفزع وكلهم يصيحون صيحات تشجع رامي... طلب رامي الطائرة فسرعة الكرسي لا تؤهله لهجوم قوي وقد فقد ذخيرته ويتوقع أن يخترق الوحش القبة فسرعته بدأت تزيد، وافقه مصطفى الرأي ونفذ يوسف الأمر فورًا فانفتحت الورشة في مصنع السيد سامر وانطلقت الطائرة باتجاه المدرسة بسرعتها القصوى... بقي متحفزًا وجاءه صوت البروفيسور يطمئنه بأن كل شيء على مايرام، ويطلب منه أن يكون مستعدًا، وفي نفس الوقت ناشده

أن ينسحب إذا كان قد أصيب أو أنه خائف، فنفى رامي الإصابة وأصر أن يكمل حتى النهاية، لكن علامات الإرهاق كانت بادية عليه وهو يقاوم ويصر... ظل رامي مرتفعًا بكرسيه عن الأرض بارتفاع أقل من المتر والوحش يزيد من سرعته حتى أثار دوامة هوائية جعلت رامي يفقد توازنه بكرسيه وكاد أن ينقلب به لكنه بدلاً من أن يسقط استجاب للدوامة وزاد من قوة دفع المحرك حتى صار في محيط الدوامة، فزادت سرعة الكرسي زيادة شديدة بفعل دوران الهواء... صار رامي جزءًا من الدوامة وبدأ يرتفع معها مكتسبًا سرعتها، وللحظة خاف أن تتقطع أحزمة الأمان أو يتفتت المعدن... ارتعد رامي حين شعر أنه صار يدور والوحش أقرب ما يكون من حدود القبة فصاح بأمر شديد: افتح يا مصطفى... مع هذا النداء سمع فرقعة ونباحًا صاحبه صهيل الوحش، وفي نفس اللحظة أزال مصطفى الدرع.

انطلق الوحش يترنح في الهواء في طريقه إلى البحر... كانت الطائرة تحلق على حدود المدرسة... تم التحام الكرسي بها بنجاح وكلاهما على سرعة تصل إلى خمسمائة متر ساعة... بمجرد الالتحام أغلقت القمرة

الزجاجية وكان رامي قد رفع سرعة الطائرة إلى ألف كيلو متر ساعة في اتجاه الوحش الذي أخذ ينخفض ملامسًا الماء ببطنه ورامي يرصده على شاشته من خلال الإشارة الرادارية التي ترصده بواسطة الطلاء الذي رشه عليه رامي، كانت شاشات المتابعة في المرصد وفي الغواصة أيضًا ترصده، علاوة على أن رامي بدأ تصويره بالكاميرا المتطورة الملحقة بالطائرة وصوب عليه شعاع ليزر قاطع فأصاب جذر ذيله فانقطع بينما كان يغطس مصدرًا صوتًا منكرًا... أعطى القبطان رابح الإشارة بأن الهدف في مرماه الآن، فأعطاه رامي الأمر بالإطلاق وبقي محلقًا على مسافة قريبة... انطلقت الحراب الكريستالية فأصابت إحداها الوحش بين جناحه وقرنه، وبينما يستدير أصابته الحربة الصيادة في صدره فسلك طريقه في الاتجاه الآخر... نهرت المديرة وسارة القبطان لأنه أطلق الحربة الصيادة لأن هذا قد يدمر الغواصة إذا جذبها بهذا الحبل، فأكد القبطان أن الحبل قوي، فسألت سارة مستنكرة: وماذا لو استدار وصدمنا... صحيح أن الحبل كان قويًا لكن بعدة قضمات استطاع الوحش قرضه وتحرر منه وانطلق من البحر محلقًا... كان رامي مستعدًا لحدوث مثل هذا الموقف... لكن المفاجأة أن الوحش

لم يهاجمه، وإنما حلق على ارتفاع منخفض متوجهًا نحو المدرسة وقائمه الأمامي الأيمن يتدلى منه إثر الإصابة في البحر، فانطلق رامي من خلفه ويوسف يصرخ فيه: اقض عليه يا رامي... كان الوحش قد اقترب جدًا من القبة الفضائية والمسافة ضاقت بينه وبين رامي... صوب رامي شعاع الليزر، ثم تراجع خوفًا من أن يخطئ التصويب فيدمر القبة الفضائية... حاول الوحش الاستدارة فأصاب القبة بجناحه فتهدم جزء من حائطها... كان الوحش متوجهًا نحو أبنية المدرسة، فأصابه رامي بشعاع ليزر أصاب جناحه الأيسر إصابة ليست بالغة، فاستدار مواجهًا لرامي فانطلق بالطائرة نحو السماء بسرعة عالية... تبعه الوحش الذي فقد قواه... صار فوق منتصف ساحة الملاعب الكبرى، فانقض رامي في اتجاهه... صارا متواجهين في مسافة ضيقة جدًا... ثبتت الطائرة محلقة وأطلق رامي غاز الأوزون في وجه الوحش بكثافة فسقط على الأرض وانتفض واقفًا على القوائم الأربع فأصاب شعاع الليزر الذي أطلقه رامي بثقة نحره وأصابت عشر قذائف كريستال بطنه فانقلب مستلقيًا على الأرض... أطلق رامي شعاع الليزر في الرأس بين أذني الخفاش فأصدر عواء طويلاً... صاحبه صياح كل من داخل المدرسة

وهتافهم قتل رام الوحش رأى رامي تلويحهم فعرف أنهم الآن يرونه مستلقيًا على الأرض ككومة سماد كبيرة... ظل الوحش ينتفض في مكانه حتى سكن تمامًا.

هبط رامي بالطائرة وقد أطبقت جناحيها على جسمها كرخ عملاق، ثم انطلق منها بكرسيه محلقًا فوق صيده الثمين في دوائر والهتاف يأتيه من كل مكان... حين رأى تلاميذ المدرسة المديرة وزملاءهم والأستاذ إبراهيم متجهين نحو الوحش حاولوا الانفلات من الحراس لكنهم لم يستطيعوا... هبط رامي بالكرسي، ونزع عن رأسه الخوذة بينما كان سام والبروفيسور تمام يتأكدان من أن الوحش قد مات.

* * *

لم يوافق رامي أن يحلق بالكرسي في المسافة بين جثة الوحش إلى باب البهو، رغم هتاف تلاميذ المدرسة بهذا المطلب، وإنما فضل أن يدفع عجلات الكرسي المتحرك إلى جوار يوسف وبقية أصدقائه، وحين وصل باب البهو كان كل من في المدرسة قد اصطفوا لتحيته فوقف

بينهم واستدار ليواجه أصدقاءه قائلاً أنا بدون هؤلاء لا شيء، وما أنا إلا تلميذ في الصف الرابع أنتظر احتفال التخرج بفارغ الصبر.

تقدمت المديرة الجميع نحو قاعة الطعام الكبيرة وطلبت أن يتخذوا أماكنهم إلى الطاولات وكالعادة ضمت إحدى الطاولات الأستاذة لينا والأصدقاء لكن ووقفت المديرة إلى جوار الطاولة وتقدمت بالشكر لكل من خاف على مدرسته وبذل كل جهده لأجلها، وشكرت الله أن جعلهم جميعًا أبناءها... صفق لها الجميع، وهي بدورها صفقت لهم وطلبت إليهم أن يتركوا رامي لتصحبه إلى المستشفى المدرسي للاطمئنان على سلامته... صفق كل الحاضرين وهتفوا باسم رامي بينما كانت المديرة تدفع به الكرسي المتحرك مغادرة القاعة في طريقها إلى المستشفى المدرسي.

انضم البروفيسور طومسون للمجتمعين حول الجثة يجرون فحوصًا لها ولحق به الدكتور عمر، كانا مصدومين لما رأوا ما لم يخطر ببالهما وإن كان البروفيسور طومسون تصور أن تكون هذه الوحوش قبيحة...

كان الدكتور عمر الأسرع في التعامل مع الجثة وأخذ الأنسجة منها من أماكن عدة... لكن مصطفى كأن أسرعهم بديهة حين تأمل الدماغ وقال: ها هنا يكمن السر فهذا الدماغ الخفاشي قادر على إصدار مشوشات تجعل هذا الكائن قادرًا على الاختفاء عن أي أجهزة رصد ورغم ضخامته إلا أنني أريد أن أتأكد من طبيعة خلاياه لأنني أتوقع سرعة غير عادية في حركة أسطحها، وهذا الأمر سيوضحه لنا الدكتور عمر... كان سام يأخذ مسحات من أنف المخلوق وفمه.

وصلت شاحنة ضخمة مؤمنة بقوات من حرس الجزيرة لنقل الوحش الى مركز العلوم البيولوجية بالجزيرة، ورافق السيارة البروفيسور طومسون والبروفيسور تمام لتتم عملية تسليم الوحش المحتمل أن يكون من وحوش الغابات الكونية... كان البروفيسور طومسون سعيدًا لأنه رأى أن الدلائل المبدئية تؤكد أن هذا الوحش ينتمي للفصيلة التي تحدث عنها في كتابه... أما رامي فقد عاد من مستشفى المدرسة بعد أن أكد الطبيب أنه بخير ولا أثر فيه لأية إصابات... كان يوسف ينتظره جالسًا في سريره والسعادة بادية عليه، رحب به قائلاً: اليوم أنت بطل

حقيقي يا رام، وستكون الأشهر في العالم كله... ضحك رامي من قلبه وقال له: ما رأيك أن ننام لنستيقظ مبكرين فلدينا غدًا يوم مزدحم وسنحتفل الاحتفال الختامي... توجه رامي للحمام فهو في حاجة للاغتسال وتبديل ملابسه.

في الصباح كانت سارة أول المنتظرين في البهو الكبير واستقبلت رامي ويوسف بالترحاب والسعادة ومالت على رامي وهمست له: لك مني اليوم هدية تليق بصديقنا البطل... من فورهم توجهوا إلى قاعة الطعام بين تحايا وتصفيق كل من في البهو وفي قاعة الطعام، لتناول فطورهم، ولم يكف التلاميذ عن طلب توقيع رامي والتقاط الصور التذكارية معه... أعلنت الإذاعة الداخلية أن نتائج طلاب الصف الثالث عشر ستعلن بعد قليل فساد الصمت القاعة تمامًا استعدادًا لبدء الموسيقا المعلنة اقتراب بث النتائج على الشاشات الكبيرة والمعلقة في الممرات والقاعات... أتى الصوت الإذاعي هذه المرة نسائيًا... إنه صوت مديرة المدرسة تقول: إعلان نتائج الصف الثالث عشر... انطلقت الأضواء الملونة في الشاشات ومن ثم ظهرت أسماء الطلاب يتصدرها اسم

مصطفى العالم... تبادل الحاضرون التحايا وكل طالب أعلنت نتيجته وقف يستقبل مهنئيه من الطلاب والأساتيذ، وكانت مفاجأة اليوم بعد إعلان النتائج عرض فيلم عن أبنية الجامعة التابعة لمؤسسة إنسان بلا حدود التي ستفتتح مع بداية العام الدراسي القادم.

خرج التلاميذ والأساتذة من قاعة الطعام إلى الممرات والصالات للتأكد من تمام الاستعداد لاحتفال اليوم الذي سيبدأ مساء... اختفت سارة عن أصدقائها، وكذلك زهرة، أما رامي فقد أخذ الإذن بلقاء مديرة المدرسة وقدم اعتذارًا عن المشاركة في عرض الكراسي المتحركة، وحين سألته المديرة ما إذا كان مريضًا أو متأثرًا بأحداث الليلة البارحة، أجابها بأنه يفضل عدم الاشتراك، لكنها ألحت في معرفة السبب لتقنع به مدرب الفريق ليعيد توزيع الأدوار، لكن رامي ألح أن يكون السبب سرًا، فوافقت... أخبرها رامي أنه

يريد الانسحاب كي يمنح الفرصة لزملائه فوجوده سيجعل الجمهور منتبهًا له فقط وبهذا يكون قد حرم زملاءه من متعة تقديم أفضل ما

عندهم وحرم الجمهور من الاستمتاع بكل العارضين... حيته المديرة لهذه الفكرة، وعلقت بأنها دائمًا على ثقة أن رامي رجل شهم أخلاقه أخلاق فارس... عاد إلى غرفته واستلقى في السرير يسترجع الأحداث.

ازدانت المدرسة للحفل النهائي واتخذ كل ضيف مكانه، وكان من المقرر أن يكون رامي نجم الحفلة، وأن يخرج من غرفته في موكب احتفالي أعده له زملاؤه... حين خرج من غرفته يرتدي بدلة سوداء تحتها قميص أبيض ورابطة عنق بنفسجية زاهية وجد أن حوائط الممر مزينة بالشعار الذي صممته له سارة، وفي البهو حتى صالة الاحتفالات الكبرى كانت كل الشاشات تعرض هذا الشعار مع صور لرامي.

بعد كلمة المديرة قدمت للبروفيسور طومسون الذي ألقى كلمة مختصرة قال فيها: أنا أشكر هذا المكان الذي ينطلق منه السلام، ويسعدني أن أزف لكم أن الفحوص الأولية للوحش تؤكد أنه غريبًا عن الأرض وأنه الليلة البارحة أصيب بهياج ناتج عن نقص ثاني أكسيد الكربون والإشعاع الذري، لهذا كانت شحنة الأوزون التي كانت من

فكرة للعالم الشاب سام روبير والتي نفذها البطل رامي مراد، كانت هذه الشحنة أحد أهم أسباب القضاء عليه.

قام السيد نبيل البابي لإلقاء كلمته التي تركزت على أن النتائج الأولية للفحص أبلغت للهيئات الدولية وجاءتنا رسائل تؤكد أن الإدارات العالمية تعتزم القضاء على الغابات الكونية.

موجة عارمة من التصفيق وهتاف باسم رامي عم المكان حين طلب السيد نبيل البابي صعود رامي إلى خشبة المسرح لتسلم الدرع التذكارية... حين وصل رامي بدأ عرض ما صورته كاميرا الفيمتو ثانية على شاشة كبيرة، وكان شركاء القضاء على الوحش خلف رامي يحملون دروعًا وشهادات تقدير يتوسطهم مصطفى العالم وأمامهم يوسف وزهرة على كرسيهما... أما السيدة مريم فهي بين الصفوف تبكي فرحًا، يكفكف دمعها السيد مراد.

أما المحقق بيتر توم والسيد صالح مدير أمن المدرسة فيخضعان للتحقيق في جهة أمنية بتهمة الإهمال في تأمين منشأة تربوية.

رقم الإيداع / ١٦٣٣٤ / ٢٠١٣ ط١

تدمك / ٥ - ٤٠ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨